المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم العقيـــدة



آراء النيسابوري الاعتقادية

من خلال تفسيره: {غرائب القرآن و رغائب الفرقان}

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة

إعداد الطالب

محمد بن مناج الدين ديوان

الرقم الجامعي (٤٣٠٨٨٠٥٢)

إشراف فضيلة الشيخ

أ.د/ محمد بن عبد الحافظ عبده

١٤٣٤هـ - ١٤٣٥هـ

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ... أما بعد:

فهذا ملخص هذه الرسالة، وهي بعنوان: آراء النيسابوري الاعتقادية، من خلال تفسيره: غرائب القرآن ورغائب الفرقان – عرض ونقد. إعداد الطالب: محمد بن مناج الدين ديوان، لنيل درجة الماجستير في العقيدة، وتتكون من مقدمة وتمهيد وستة أبواب وخاتمة.

المقدمة: لبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته، وكلمة الشكر.

والتمهيد: خصص لترجمة النيسابوري، وبيان منهجه، والكلام عن تفسيره.

وأما الباب الأول: فخصص لبيان مفهوم التوحيد، وفطرية وجود الله ومعرفته، وبيان المراد بتوحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وبيان المسائل المتعلقة بالإيمان بالله ﷻ.

والثاني: لبيان المراد بالإيمان بالملائكة، وخلقهم وصفاتهم وأعمالهم وأعدادهم وتفاضلهم.

والثالث: لبيان المراد بالإيمان بالكتب، وخصائصها، وموقف القرآن من الكتب السابقة.

والرابع: لبيان المراد بالإيمان بالأنبياء والرسل، والفرق بينهم، وخصائصهم، وتفاضلهم.

والخامس: خصص للكلام عن الإيمان باليوم الآخر: أهميته، وسؤال القبر وعذابه ونعيمه، وأشراط الساعة، وأحوال يوم القيامة، والجنة والنار.

والسادس: لبيان المراد بالإيمان بالقضاء والقدر، ومراتبه، وأقسام الإرادة، وخلق أفعال العباد، وتكليف ما لا يطاق.

وأما الخاتمة: فخصصت لبيان أهم نتائج البحث، ومنها: أن النيسابوري عاش في الفترة ما بين (٦٦٠-٧٤٠هـ)، وأنه يتميز بقوته العلمية، وشخصية مستقلة ومتحررة من التعصب والتقليد، وأنه يسير في إثبات المسائل الاعتقادية على منهج المتكلمين، على طريقة الأشاعرة، فقد وافقهم في مفهوم التوحيد، ونفي الصفات الاختيارية والخبرية، وفيما سوى ذلك وافق السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ،،،

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon His prophet Mohammed ... After that,

This is a summary of this blessed thesis, entitled: Alnisabure believing Views through his interpretation: oddity of the Koran and Rghaeb Alfurqan - presentation and criticism prepared by student:

MOHAMMED MONAGI ALDEEN DEWAN, to get a master degree in Doctrine, and consists of an introduction and preface, six chapters and a conclusion .

Introduction: Statement of the importance of the subject , and the reasons for choosing it, and the research methodology and plan, and a word of thanks.

preface: It is devoted to the translation of Imam Altesaburi , and the statement of his approach , and talk about his interpretation .

The first chapter: It is devoted to demonstrate the concept of monotheism and the innate and the existence and knowledge of God, and a statement of the meaning of deity and divinity, the names and attributes and the statement of issues related to faith in God Almighty .

The second: statement of faith of the Angels and their creation, and their qualities and their works and their numbers and their distinction .

The third: for the statement of faith in books and their characteristics , and the position of the Koran from the previous books .

The fourth: the statement of faith of prophets and apostles and the difference between them and their characteristics and distinction .

The fifth: devoted to talk about faith of the doomsday: the importance of, and the question of the grave and its torment and Blessing , and the Signs of time, and the conditions of the Day of Judgment and heaven and hell conditions.

The sixth: the statement of faith of Fate and destiny, and its ranks, and sections of the departments of management and the creation of mankind deeds, and to assign the unbearable .

The Conclusion: allocated to indicate the most important results, including the fact that the Imam Alnisabure lived in the period between (660 - 740 AH) and it is characterized by its strength practical and personal independent and free from intolerance and tradition, and he goes to prove matters of belief to approach the speakers on the way of Ash'aris as he agree with them in the concept of monotheism and denied experimental and charitable qualities, Allah bless all the Predecessors .

May Allah bless our Prophet Mohammed and his family and him recgnition of a lot ,,,

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما مزيدا إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن هدى ونور، وهو المعجزة الخالدة أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، وتحدى به العرب أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، غير أنهم عجزوا أن يأتوا حتى بمثل أقصر آية منه.

وحيث أن القرآن هو المصدر الأول من مصادر التشريع، وهو دستور المسلمين الذي يجب اتباع هديه، والتزام أوامره، والسير على نهجه، ولا يتحقق ذلك إلا بتدبره وفهم معانيه ومدلولاته، فقد اهتم علماء الأمة بتفسيره وفك أسراره ومعانيه، وتوضيح أوامره ونواهيه، عبر العصور والأزمان، وتناولوه من جوانب عدة، فمنهم من اهتم باستنباط أحكامه الفقهية، ومنهم من اهتم بالجوانب النحوية والبلاغية، ومنهم من تطرق للمسائل العقدية، وغير ذلك من الأمور، فظهر التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الصوفي الإشاري، وبعض هذه التفاسير تتضمن الكثير من الآراء المخالفة للعقيدة الصحيحة التي استمسك بها السلف الصالح.

فكان لزاما على طلبة العلم والعلماء، التنبيه على ما في هذه التفاسير من الآراء المخالفة لمنهج السلف، حتى لا يظن الناس أنها عقائد صحيحة ويتأثرون بها، فإن انتشار هذه التفاسير بين الناس واتباع ما فيها من العقائد الباطلة على أنها عقائد صحيحة، فيه خطر عظيم على عقيدة المسلمين.

فبيان الحق والصواب في ما كتبه أصحاب هذه التفاسير، وتمييز الباطل والخطأ، وتصويبه، واجب شرعي، فيقبل ما وافق الكتاب والسنة، ويرد ما خالفهما، فالحق أحق أن يتبع، دون التعرض لشخص المؤلف، وهذا هو المقصود من دراسة هذه التفاسير.

من أجل ذلك اخترت تفسير النيسابوري، المسمى: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،** لدراسة ما تضمنه من آراء عقدية ونقدها، لإعداد أطروحة الماجستير في قسم العقيدة، بكلية الدعوة وأصول الدين، في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وأطلقت عليها عنوان: **آراء النيسابوري الاعتقادية من خلال تفسيره**: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، **عرض ونقد**.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، أهمها:

١. أهمية تفسير النيسابوري، وكونه موسوعة علمية، فقد حوى حاصل تفسير الكشاف للزمخشري "ت٥٣٨هـ"، والتفسير الكبير للرازي "ت٦٠٦هـ".
٢. احتلال القضايا العقدية والمسائل الكلامية مساحة واسعة في تفسيره، فقد حوى جل المسائل العقدية.
٣. ردوده على بعض آراء الفرق المخالفة والمذاهب المنحرفة، كالفلاسفة والمعتزلة وغيرهم.
٤. اشتمال تفسيره على بعض الأخطاء العقدية، والتأويلات المخالفة لمنهج السلف، وهي حرية بأن تحصر وتبرز للتنبيه، ومن ثم نقدها نقدا علميا، خدمة لهذا السفر أولا، وخدمة للطلبة والباحثين ثانيا.
٥. أن دراسة مثل هذا الموضوع يجعل الباحث يطلع على أغلب المسائل الاعتقادية، ويقف على رأي السلف فيها، ورأي مخالفيهم، مما يكسب طالب العلم التأصيل العلمي الضروري في جانب العقيدة.

الدراسات السابقة:

بعد السؤال ومراسلة المراكز العلمية المتخصصة تبين عدم وجود موضوع مماثل، ولم يتم تقديم أي رسالة جامعية تتناول هذا الموضوع من قبل، غير رسالة ماجستير بعنوان: تفسير

غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، دراسة وتقويم، للباحث: محمد بن حسين الحازمي، مقدمة لقسم القرآن وعلومه، في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونوقشت عام ١٤٠٠هـ، وهي عبارة عن دراسة لمنهجه في التفسير.

كما وجدت كتابا بعنوان: النيسابوري ومنهجه في التفسير، للدكتور: ماجد زكي الجلاد، وهو أيضا دراسة لمنهجه في التفسير.

الطبعة المعتمدة:

تفسير: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ضبط وتخريج: زكريا عميرات، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

خطة البحث:

اشتملت الرسالة على هذه المقدمة، وتمهيد، وستة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

أولا: المقدمة: وبينت فيها:

أسباب اختيار الموضوع، الدراسات السابقة، الطبعات المعتمد، خطة البحث، المنهج المتبع في البحث، كلمة الشكر.

ثانيا: التمهيد: وخصص لترجمة النيسابوري، وبيان منهجه في التفسير.

ثالثا: الأبواب: وهي ستة:

الباب الأول: **الإيمان بالله،** وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: معنى التوحيد في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: فطرية وجود الله.

الفصل الثالث: توحيد الربوبية.

الفصل الرابع: توحيد الألوهية.

الفصل الخامس: توحيد الأسماء والصفات.

الفصل السادس: مسائل الإيمان.

الباب الثاني: **الإيمان بالملائكة**، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: المراد بالإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: خلق الملائكة.

الفصل الثالث: صفات الملائكة.

الفصل الرابع: أعمال الملائكة.

الفصل الخامس: عدد الملائكة.

الفصل السادس: تفاضل الملائكة.

الباب الثالث: **الإيمان بالكتب، وفيه** ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المراد بالإيمان بالكتب.

الفصل الثاني: خصائص الكتب السماوية.

الفصل الثالث: الكتاب الخاتم.

الباب الرابع: **الإيمان بالأنبياء والرسل**، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الفرق بين النبي والرسول.

الفصل الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل.

الفصل الثالث: خصائص الأنبياء والرسل.

الفصل الرابع: دلائل النبوة.

الفصل الخامس: تفاضل الأنبياء والرسل.

الباب الخامس: **الإيمان باليوم الآخر**، وفيه تمهيد، وأربعة فصول:

التمهيد: أهمية الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الأول: القبر: سؤاله وعذابه ونعيمه.

الفصل الثاني: أشراط الساعة.

الفصل الثالث: أحوال يوم القيامة.

الفصل الرابع: الجنة والنار.

الباب السادس: **الإيمان بالقضاء والقدر**، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: القضاء والقدر.

الفصل الثاني: مسألة أفعال العباد.

الفصل الثالث: مسألة تكليف ما لا يطاق.

رابعا: الخاتمة: وتتضمن أبرز نتائج البحث، والتوصيات.

خامسا: الفهارس: وهي على النحو التالي:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث النبوية.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس الفرق.
٥. فهرس المصادر والمراجع.
٦. فهرس الموضوعات.

المنهج المتبع في البحث:

١. اقتضت طبيعة الموضوع سلوك المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي النقدي، وذلك أن الموضوع: عرض ونقد.
٢. قمت بقراءة تفسير النيسابوري كاملا، قراءة فاحصة، واستخرجت المسائل العقدية.
٣. رتبت تلك المسائل حسب مباحث أبواب العقيدة، وفقا للخطة المعدة للبحث.
٤. جعلت الكلام المنقول بنصه بين علامتي التنصيص: "....."، وأذكر المرجع في الحاشية.
٥. ما نقلته بالمعنى، أو تصرفت فيه أنبه عليه في الحاشية بلفظ: انظر.
٦. المنهج المتبع في كتابة الآيات وعزوها:

أ- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

ب- عزوتها إلى سورها، مبينا أرقامها، وجعلت ذلك في متن البحث بعد الآيات مباشرة، مع جعل مقاس الخط بحجم خط الحاشية، لتفادي إثقال الحواشي.

٧. المنهج المتبع في كتابة الأحاديث وتخريجها:

أ- ميزت الكلام النبوي بخط خاص مخالف للخطوط المستخدمة في المتن.

ب- خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة، فإذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بذلك.

ج- وإذا لم يكن في الصحيحين، أخرجه من غيرهما، ثم أورد حكم الألباني، أو غيره من نقاد الحديث.

هـ- طريقة عزو الأحاديث تكون بذكر: عنوان المصنَّف، ثم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، ومع بعض المصنَّفات قد أذكر الجزء والصفحة أيضا.

٨. عزوت الأبيات الشعرية لمصادرها.

٩. ترجمت لمعظم الأعلام المذكورين في البحث، ما عدا الصحابة، وأصحاب المذاهب الأربعة، وأصحاب الكتب الستة، والخلفاء والأمراء، والمعاصرين على قيد الحياة.

١٠. قمت بتعريف الفرق، وكذلك البلدان غير المشهورة.

١١. ذيلت الرسالة بأربعة فهارس علمية، إضافة إلى فهرسي المصادر، والموضوعات.

١٢. ما ذكرته في منهجي هي السمة الغالبة، وقد أخالفه حسب مصلحة البحث وإخراجه.

كلمة الشكر:

وفي الختام: أتوجه بالحمد الجزيل لمن له الفضل أولا وآخرا، ربي ورب كل شيء ومليكه، إذ أعانني ووفقني ويسر لي إتمام هذه الرسالة، فله الحمد كله، وله الشكر كله.

وقد بذلت جهدي ووسعي بقدر ما فتح الله عليَّ، فإنه لا حول لي ولا قوة إلا به. ومع ذلك فلا أدعي الكمال، فإن التقصير والخطأ سمة البشر، والكمال للرب ﷻ، فما كان فيه من صواب فهو بتوفيق الله وفضله عليَّ، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه.

ثم أثني بالشكر لهذا الصرح العلمي الرائد بمكة المكرمة، جامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين عموما، وقسم العقيدة تحديدا، على ما يولونه من اهتمام بطلبة العلم.

والشكر موصول لرئيسَي قسم العقيدة، الرئيس السابق: أ.د. سالم بن محمد القرني، والرئيس الحالي: أ.د. فهد بن محمد القرشي، على إدارتهما لهذا القسم، وحل مشاكل الطلبه وتوجيههم، وتذليل ما يواجهونه من عقبات، كما أشكر جميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم، على جهودهم في تدريس المواد المقررة، والرقي بمستوى الطلبة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للشيخين الفاضلين، فضيلة الشيخ: أ. د. محمد بن سعيد القحطاني، وفضيلة الشيخ: أ.د. إبراهيم بن خليفة بن عبد اللطيف، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة، وإبداء ملاحظاتهما وتقويمها.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ: أ.د. سعود بن عبد العزيز العريفي على قبوله ليكون مقررا للجنة مناقشة الرسالة بدلا من فضيلة الشيخ: أ.د. محمد عبد الحافظ – رحمه الله تعالى- فلهم مني كل الشكر والتقدير والعرفان.

وأخص بالشكر شيخي، أ.د. محمد بن عبد الحافظ عبده –رحمه الله تعالى- فقد استفدت من علمه وطول باعه في تخصص العقيدة، ومن توجيهاته النيرة، وتصويبباته السديدة، أسأل الله أن يغفر له ويرحمه يسكنه فسيح جناته، ويلهم ذويه الصبر والسلوان، اللهم اغفر له ولوالدي وارحمهم وجميع أموات المسلمين.

أخيرا: أسأله ﷻ أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل الجهد المبذول في هذه الرسالة ذخرا لي يوم لا ينفع مال ولا بنون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

التمهيد

ترجمة النيسابوري

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياة النيسابوري.

المبحث الثاني: منهج النيسابوري.

التمهيد: **ترجمة النيسابوري**

المبحث الأول

حياة النيسابوري

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: **حياة النيسابوري الشخصية.**

المطلب الثاني: **حياة النيسابوري العلمية.**

المطلب الأول:

حياة النيسابوري الشخصية

أولاً : اسمه ونسبه:

هو نظام الدين، الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني[١] القمي[٢] النيسابوري[٣]، المعروف بـ : نظام الأعرج، والنظام الأعرج، والنظام النيسابوري .

---

(١) خُراسَانُ: كلمة مركبة من " خور " أي شمس ، و" أسان " أي مشرق ، وهي أكبر أقاليم بلاد فارس، كانت مقاطعة كبيرة من الدولة الإسلامية ، فتحت سنة ٣١ في أيام عثمان ﷺ، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز، تتقاسمها اليوم إيران الشرقية، وأفغانستان الشمالية، ومقاطعة تركمانستان السوفيتية . ومن أشهر مدن خراسان: نيسابور ومرو وبلخ، وسرَخْس، وكابُل، وخَوارزم، وبُخارا، وسَمَرقَنْد، وسِجِسْتان، وهَراة، وجُوزْجان، وجُرْجان، ونَسَا ، وغيرها.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢ / ٣٥٠). المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، ص ١٠٨. آكام المرجان في ذكر المدن المشهورة في كل مكان، (٧٢ –٨٢). حدود العالم من المشرق إلى المغرب، (١١٤-١٢١). معجم ما استعجم من البلاد والمواضع ٢/ ٤٨٩ – ٥١٥، و ١٣٠٥/٤.

(٢) قُمّ: بالضم، وتشديد الميم، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وهي بلدة بين أصبهان وساوة كبيرة، غير أن أكثر أهلها الشيعة، وبنيت هذه المدينة زمن الحجاج بن يوسف سنة ثلاث وثمانين. **ينظر**: معجم البلدان (٤ / ٣٩٧)، الأنساب للسمعاني (١٠ / ٤٨٤).

(٣) نَيْسَابُور: بفتح أوله، وهي أكبر مدن خراسان وعاصمتها، قال الحموي: " وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوّفت من البلاد مدينة كانت مثلها"، واختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابور. **ينظر**: معجم البلدان (٥ / ٣٣١)، آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان (ص: ٧٢)، حدود العالم من المشرق الى المغرب (ص: ١١٤)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٥٨٨ .

صاحب التفسير الكبير المسمى : " غرائب القرآن ورغائب الفرقان" ، فهو مفسر، وله اشتغال بالحكمة والرياضيات، ومشارك في أنواع من العلوم [(١)] .

ونسبته إلى "قُمّ" باعتبار أصله وموطن أهله وعشيرته[(٢)]. وأما انتسابه إلى "نيسابور" فباعتبار منشأه وإقامته بها.

ثانياً : مولده ونشأته:

أضربت كتب الطبقات والتراجم صفحا عن ذكر سنة ولادة النيسابوري ، شأنه في ذلك شأن كثير من الأعلام، أما مسقط رأسه فمدينة "قم"، لكنه نشأ وأقام بديار نيسابور، حيث انتقل إليها مع والديه وهو صغير، بيد أنه يمكن أن تستنبط الفترة التي ولد فيها ونحصرها بين سنة (٦٦٠ هـ – ٦٦٥هـ)، من خلال بعض الحقائق، وسيتم توضيح ذلك في معرض الحديث عن وفاته – رحمه الله تعالى –.

ثالثاً : أخلاقه وصفاته:

اتصف النيسابوري بصفات جليلة، وأخلاق فاضلة، وهمة عالية سامية منذ نعومة أظفاره، وعرف بحبه لله وخشيته منه ومن سخطه وعقابه، وكان كثير التعلق بالله، والتضرع إليه، والدعاء له، والانكسار بين يديه، والتوكل عليه، وطلب العون والتوفيق والسداد منه، وكان كثير الخوف من المعاصي والموبقات، زاهدا في زخارف الدنيا الفانية، بعيدا عن سفاسف الأمور وما لاطائل

---

(١) ينظر ترجمته في: روضات الجنات للخوانساري ٣/ ٩٦- ١٠١ برقم: ٢٦٠، بغية الوعاة للسيوطي: ٥٢٥/٦، معجم المفسرين لـ عادل نويهض ١٤٥/١، الأعلام للزركلي ٢١٦/٢، معجم المؤلفين لـ عمر كحالة: ٣/ ٢٨١- ٢٩١، طبقات المفسرين لـ الأدنه وي ، ص ٤٢٠، معجم المطبوعات العربية لـ يوسف سركيس: ٢/ ١٥٢٧، أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ٥/ ٢٤٨- ٢٤٩، برقم:٦٥٤، الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني: ٣١/١٦ – ٣٢ برقم: ١٣٣، و ١٨/ ٢٨٤ ، برقم: ١٢٤ ، كشف الظنون / ٤٤٨ ، برقم: ٨٩٧٨، التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ – ٢٨٤ ، هدية العارفين لإسماعيل البابابي١/ ٢٥٨ ، برقم : ١٩١٤ ، الموسوعة الميسرة ص ٧١٧ برقم ١٠٣٦ ، طبقات أعلام الشيعة لآغا بزرك الطهراني: ص ٤٦ – ٤٧ ، معجم مصنفات القرآن الكريم لـ علي شواخ: ١١٤/٣ ، برقم ١٦٧٤، الكنى والألقاب لـ عباس القمي: ٣/ ٢٥٦.

(٢) روضات الجنات للخوانساري ٣/ ٩٦ .

منه، وكان ورعا تقيا مخلصا لله متواضعا فصيحا بليغا وعالما في شتى العلوم، وقد حفظ القرآن في صباه وأوتي فهما للقرآن والسنة، ونظرة ثاقبة للأمور الكونية، وكان متقنا للغة الفارسية بالإضافة إلى إتقانه اللغة العربية، فقد ألف بالفارسية بعض كتبه.

نستشف ذلك من خلال ما نطق به لسانه وما سطرته أنامله، حيث يقول في بداية مقدمة تفسيره: "الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره للإسلام، فهو على نور من ربّه، وجبلني ذا نفس أبيّة، وهمّة عليّة لا تكاد تستأنس إلا بذكر حبه. أعاف سفساف الأمور، وأخاف الموبقات الموجبات للثبور، أميل عن زخرف الدنيا وزبرجها، وأكبح النفس أن تحوم حول مخرجها ومولجها" (1). وهذا الكلام يدل على ما أولاه الله من همة عالية، وزهده في الدنيا عن سفاسف الأمور ، وشدة خوفه من الله وبعده عن المعاصي.

وبعد الثناء على السلف بأنواع المحامد قال: " أسألك اللهم الاقتداء بأولئك، والتوفيق لشكر ما أسبغت عليّ من عطائك، وأتممت من نعمائك، وأعوذ بك أن أزلّ أو أضلّ فيما آتي وأذر، وأن أركن إلى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الأكبر. ثبّت أقدام أقلامي على الصدق، ولا تقض أن ينطق فمي بكلام سوى الحق، واجعلني بفضلك ممن لا ينظر إلا إليك ولا يرغب إلا فيما لديك. بريتني من غير سابقة علم مني، وربيتني من غير حق يوجب ذلك عليك" (2)، وفيه ما فيه من التعلق بالله والاعتماد عليه والإخلاص له .

ثم قال: " فإن افتخرت فيما أنعمت عليّ وقد أمرت ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى: ١١، وإن استغفرت فمما أسرفت على نفسي وقد قلت ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ النساء: ١١٠.

فيا من لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علّة، شرفني في الآخرة بالعزّة، واحرسني في دنياي من الذلّة، ولا تؤاخذني بالنقصان الإمكاني، ولا تعاقبني بالنسيان الإنساني، حتى يكون لك الفضل في الآخرة والأولى، والثناء في المبدأ والمحمدة في العقبى. أدعوك دعاء البائس الفقير

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٣) .

(٢) نفس المصدر (١ / ٣) .

المستعين، وأتضرّع إليك تضرّع الذليل المهين، المستكين الماثل بين يدي مولاه، الآيس بالكلية عمن سواه، فاسمع فإنك سميع الدعاء، وأجب فإنك قادر على ما تشاء. والصلاة والسلام على عبيدك المخصوصين بتأييدك، المنزهين عن الأدناس الجسميّة، المطهرين عن الأرجاس النفسية، الفائزين بأشرف مراتب الأنس، الواصلين إلى أعلى مدارج الأنس، الضاربين في أرقى معارج القدس، ولا سيما المصطفى محمد الذي أشرق في سماء النبوة بدرا، وأشرف على بساط الرسالة صدرا، سيد الثقلين وسند الخافقين، إمام المتقين ورسول رب العالمين " (١) .

يتبين لنا من هذه المشاعر الجياشة، والدعوات الصادقة بلاغته ومدى تضرعه وشدة انكساره بين يدي ربه .

ومما يدل على سعة علمه وتواضعه قوله : "وإذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في أكثر الفنون المنقولة والمعقولة، كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنّه فيما بين أهل الزمان. وكان علم التفسير من العلوم بمنزلة الإنسان من العين والعين من الإنسان. وكان قد رزقني الله تعالى من إبان الصبا وعنفوان الشباب حفظ لفظ القرآن وفهم معنى الفرقان. وطالما طالبني بعض أجلّة الإخوان وأعزة الأخدان ممن كنت مشارا إليه عندهم بالبنان في البيان- والله المنان يجازيهم عن حسن ظنونهم ويوفّقنا لإسعاف سؤلهم وإنجاح مطلوبهم- أن أجمع كتابا في علم التفسير، مشتملا على المهمات، مبنيا على ما وقع إلينا من نقل الأثبات وأقوال الثقات، من الصحابة والتابعين، ثم من العلماء الراسخين، والفضلاء المحققين المتقدمين والمتأخرين- جعل الله تعالى سعيهم مشكورا وعملهم مبرورا-، فاستعنت بالمعبود وشرعت في المقصود، معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون، لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون. كيف وقد قال عز من قائل ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥" (٢) .

ونستدل على إخلاصه العمل لله، وطلب مرضاته وابتغاء ما عنده من الأجر والمثوبة، من قوله في ختام تفسيره : "واعلموا إخواني رحمنا الله وإياكم، وجعل الجنة مثوانا ومثواكم، أن لكل

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤) .

(٢) نفس المصدر (١ / ٥ - ٦) .

مجتهد نصيبا قل أو أكثر، ولكل نفس عاملة قسطا نقص أو كمل، وأن الأعمال بالنيات، وبها تجلب البركات وترفع الدرجات، وأن المرء بأصغريه، وكل عمل ابن آدم سوى الخير كلّ عليه، والذي نفسي بيده وناصيتي بحكمه ومشيئته، عالم بسري ومحيط بنيتي، أني لم أقصد في تأليف هذا التفسير مجرد جلب نفع عاجل، لأن هذا الغرض عرض زائل، ولا يفتخر عاقل بما ليس تحته طائل – سحابة صيف ليس يرجي دوامها– وهل يشرئب إلى الأمور الفانية أو يستلذ بها من وهن من أعضائه عظامها، وكاد يفتر من قواه أكثرها بل تمامها؟" [(١)].

ثم قال: " وكان من معاصم المقاصد من إنشاء هذا التفسير أن يكون جليسي مدّة حياتي، وأنيسي في وقت مماتي حين لا أنيس للمرء إلا ما أسلف من بره، ولا ينفع الإنسان إلا ما قدّم من خيره. ولعمري إنه للمتبتل المنيب الأوّاه، نعم العون على تلاوة كتاب الله العزيز، ومحضرة مع القراءة ووجهها إن اشتبه عليه شيء منها، ومع الآي والوقوف إن ذهل عن أماكنها ومظانها. وكذا التفسير بتمامه إن أراد البحث عن الحقائق أو عزب عنه شيء من تلك الدقائق، وكذا التأويل إن كان مائلا إلى بطون الفرقان وسالكا سبيل الذوق والعرفان. وإني أرجو من فضل الله العظيم وأتوسل إليه بوجهه الكريم، ثم بنبيه القرشيّ الأبطحيّ، ووليه المعظم العليّ، وسائر أهله الغر الكرام وأصحابه الزهر العظام، وبكل من له عنده مكان ولديه قبول وشان[(٢)]، أن يمتعني بتلاوة كتابه في كل حين وأوان من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان على الوجه الذي ذكرت، ولأجل هذا لقيت في تأليفه من عرق الجبين وكد اليمين ما لقيت. وأن يعم النفع به لسائر إخواني في الدين ورفقائي في طلب اليقين، ثم أن يجعله عدّة في ليلة يرجع عن قبري العشائر والأهلون، وذخيرة يوم لا ينفع مال ولا بنون "[(٣)].

هذه الكلمات النابعة من قلب صادق مفعم بالحب لله وممتلئ بالخوف منه، لدليل على ما يتمتع به هذا العالم الجليل من صفات الكرامة والأخلاق العالية والأدب الجم، أهلته لما وصل إليه من العلم والفهم والمكانة المرموقة في زمرة العلماء .

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٨ ٦٠) .

(٢) هذا توسل بغير الله عز وجل، لا يجوز شرعا.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٨ ٦٠ – ٦٠٩).

مما يدل على ذلك ما قاله الدكتور محمد الذهبي[١]: "كان رحمه من أساطين العلم بنيسابور، ملما بالعلوم العقلية، جامعا لفنون اللغة العربية، له القدم الراسخ في صناعة الإنشاء، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير، وهو معدود في عداد كبار الحفاظ والمقرئين، وكان مع هذه الشهرة العلمية الواسعة على جانب كبير من الورع والتقوى، وعلى مبلغ عظيم من الزهد والتصوف" [٢].

رابعاً: وفاته:

تضاربت كتب التراجم حول تاريخ وفاة النيسابوري، فذكر الخوانساري[٣] أنه: كان من علماء رأس المئة التاسعة على قرب من درجة السيد الشريف ، والمولى جلال الدواني ، وابن حجر العسقلاني وقرنائهم الكثيرين من علماء الجمهور، وتاريخ إنهاءات مجلدات تفسيره المذكور صادفت حدود ما بعد الثماني مئة والخمسين من الهجرة[٤] . ومعروف عن ابن حجر أنه عاش في الفترة ما بين (٧٧٣هـ – ٨٥٢هـ) [٥].

---

(١) هو د. محمد بن السيد بن حسين الذهبي، نال شهادة العالمية في علوم القرآن، وكان نابغا في التفسير، حتى لقبه الشيخ أبو زهرة بـ: إمام المفسرين، درَّس في القاهرة والطائف والعراق والكويت، وعين وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر، وأشرف على الكثير من رسائل الدكتوراة والماجستير، ولد سنة: ١٩١٥م، وتوفي في: ٣/ ٧/ ١٩٧٧م، من مؤلفاته: التفسير والمفسرون، الإسرائيليات في التفسير والحديث، الاتجاهات المنحرفة في التفسير، مقدمة في علوم القرآن، مقدمة في علوم الحديث، تفسير سورة النساء والنور والأحزاب، شرح أحاديث العقيدة في الصحيحين، الوحي. انظر: التفسير والمفسرون: ١/ ٥ – ٨ .

(٢) التفسير والمفسرون – للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ – ٢٨٤ .

(٣) هو محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الهزار جريبي الخوانساريّ الأصفهاني، مؤرخ، أديب، من مجتهدي الإماميين. ولد ونشأ في قصبة خونسار (بإيران) وانتقل إلى أصفهان فاستقر إلى أن توفي فيها. ولد سنة: ١٢٢٦هـ، وتوفي سنة: ١٣١٣هـ، أشهر مؤلفاته: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات –في التراجم–. و(أدب اللسان) في الأخلاق، و (تفصيل ضروريات الدين والمذهب) رسالة، و (أصول الفقه) أرجوزة، و (أحسن العطية في شرح الألفية) وتصانيف بالفارسية. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٤٩)، معجم المؤلفين (٩/ ٨٧).

(٤) انظر: روضات الجنات للخوانساري ٣/ ٩٧ .

(٥) انظر: شرح شرح نخبة الفكر : ص ٢٦– ٥٥ .

وذكر مثل ذلك صاحب أعيان الشيعة فقال إنه: من أهل المائة التاسعة، كان حيا بعد ٨٥٠هـ[١]. واختاره الزركلي [٢].

وأورد عمر كَحَّالة نقلاً عن كتاب أعلام الشيعة أنه كان حيا ٨٢٨هـ ، وقال في موضع آخر نقلا عن كتاب تاريخ السليمانية: أنه كان حيا ٨١١هـ [٣]. واكتفى صاحب كتاب الذريعة ببيان أنه: "من أوائل المائة الثامنة" [٤]، دون تحديد سنة، وفي موضع آخر قال: كان في أواخر المائة التاسعة [٥].

أما حاجي خليفة فذكر في موضع أنه توفي سنة ٨٢٨هـ[٦]، وفي موضع آخر ذكر أنه توفي سنة ٧٢٨هـ[٧]، وإلى القول الثاني ذهب صاحب كتاب هدية العارفين[٨] ، واختاره محقق تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري الشيخ زكريا عميرات .

هذه الأقوال والآراء وما بينها من سعة الخلاف تدل على أنها غير واقعية وغير معقولة، وأنها وضعت بلا سند أو برهان، ففي حين يرى البعض أن وفاته سنة ٧٢٨هـ ، يشطح آخرون ويزيدون على هذا التاريخ أكثر من مئة عام فيرون أنه كان حيا بعد ٨٥٠هـ.

بينما هناك حقائق توضح خطأ تلك الأراء، ويمكن من خلال تلك الحقائق تحديد فترة معقولة وقريبة من الواقع لحياته، فيمكن القول أن الفترة التي عاش فيها النيسابوري هي ما بين (٦٦٠هـ - ٧٤٠هـ)، وأن فترة ولادته محصورة بين (٦٦٠هـ - ٦٦٥هـ)، بينما فترة وفاته محصورة بين (٧٣٠هـ - ٧٤٠هـ)، استنادا إلى الحقائق والبراهين التالية :

---

(١) أعيان الشيعة: ٥/ ٢٤٨ ، الترجمة رقم (٦٥٤) .

(٢) الأعلام للزركلي: ٢١٦/٢ .

(٣) معجم المؤلفين (٣ / ٢٨١، و٢٩١).

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة لـ آغا بزرك الطهراني ١٦/ ٣١ برقم: ١٣٣ .

(٥) نفس المصدر ١٨/ ٢٨٤ برقم: ١٢٤.

(٦) كشف الظنون ، لـ حاجي خليفة : ٢/ ٣٣٩ ، برقم: ٨١٢٢.

(٧) نفس المصدر: ٢/ ٤٤٨ ، برقم: ٨٩٧٨.

(٨) هدية العارفين لـ إسماعيل باشا: ٢٥٨/١ ، برقم: ١٩١٤.

١. أن شيخ النيسابوري، قطب الدين الشيرازي[١] – وهو الوحيد المعروف من مشايخه – قد ولد سنة ٦٣٤هـ ، وتوفي سنة ٧١٠هـ، وعمره ٧٦ سنة.

٢. بينت كتب التراجم أن النيسابوري فرغ من كتابة بعض مؤلفاته، فذكرت أن كتابه (تعبير التحرير) فرغ منه عام ٧٠٤هـ، وكان تأليفه بإشارة من أستاذه قطب الدين الشيرازي[٢]، وفرغ من كتابه (توضيح التذكرة النصيرية) غرة ربيع الأول عام ٧١١هـ[٣].

٣. ثبت أنه وصل لتفسير سورة القدر في ٢٧/ ٩ / ٧٢٩هـ ، فقد ذكر ذلك عند تفسير السورة في معرض تحديد ليلة القدر ، حيث قال: " ومن الأمارات التي يحتمل اعتبارها، أن الضعيف مؤلف الكتاب وصل إلى تفسير هذه السورة في السابعة والعشرين من رمضان سنة تسع وعشرين وسبعمائة من هجرة النبي ﷺ" [٤].

٤. ترجح أنه انتهى من تفسيره أوائل شهر صفر من سنة ٧٣٠هـ، فقد ذكر مصحح التفسير أنه وجد في آخر بعض النسخ ما نصه: " علقه مؤلفه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ببلاد الهند في دار مملكتها بدولة آباد في آوائل صفر سنة سبعمائة وثلاثون من هجرة سيد الأولين والأخرين صلاة الله وسلامه عليه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين" [٥].

---

(١) مَحْمُود بن مَسْعُود بن مصلح الْفَارِسِي قطب الدّين الشِّيرَازِيّ الشَّافِعِي الْعَلامَة، قاض، عالم بالعقليات، مفسر، ولد بشيراز سنة: ٦٣٤هـ، وَكَانَ أَبوهُ طَبِيبا بهَا، فَقَرَأَ عَلَيْهِ، ثمَّ سَافر إِلَى النصير الطوسي، فَقَرَأَ عَلَيْهِ وبرع، وَقدم الشَّام ثمَّ سكن تبريز، وتوفي بها، وَكَانَ يخالط الْمُلُوك، متحرزا، ظريفا، مزاحا، لَا يحمل هما، وَلَا يُغير زِيّ الصُّوفِيَّة، وَكَانَ من بحور الْعلم، من تصانيفه: شرح الْمُخْتَصر لِابْنِ الْحَاجِب، وَشرح الْمِفْتَاح، وَشرح كَلِمَات ابْن سينا، وفتح المنان في تفسير القرآن نحو ٤٠ مجلدا، منه الجزء الأول مخطوط، وَمَات فِي ٢٤ رَمَضَان سنة: ٧١٠ هـ. انظر: الدرر الكامنة (٦ / ١٠٠) برقم: (٢٢٧١)، بغية الوعاة (٢ / ٢٨٢) ، برقم: (١٩٨٣)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٨٧)، .

(٢) الذريعة: ١٣/ ١٤٢ برقم: ٤٧٣ و ٣١/١٦ برقم ١٣٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٥/ ٢٤٨ – ٢٤٩، الترجمة رقم (٦٥٤)، كشف الظنون ١/ ٤١١ برقم: ٣٣٤٢، هدية العارفين ١/ ٢٥٨، برقم : ١٩١٤.

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥٣٧) .

(٥) تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢٢٩/٣٠ .

وعلى هذا يكون قد بدأ في كتابة تفسيره سنة: ٧٢٥هـ، وذلك أنه أخبر أنه أتم تفسيره في مدة خلافة علي ﷺ[١] . أي أنه أتمه في خمس سنوات، وهي مدة خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ تقريبا[٢] .

٥. أشار النيسابوري إلى أنه ألف كتبا عديدة قبل التفسير وبين أن تلك المؤلفات لولم تكن وسيلة إلى فهم معاني كتاب الله لكان متأسفا على ضياع العمر في تأليفها، وفي ذلك إيحاء إلى أن التفسير آخر مؤلفاته، حيث قال في خاتمة تفسيره: "ولو لم تكن العلوم الأدبية بأنواعها، والأصولية بفروعها، والحكمية بجملها وتفاصيلها، وسيلة إلى فهم معاني كتاب الله العزيز، واستنباط نكتها من معادنها واستخراج خباياها من مكامنها، لكنت متاسفا على ما أزجيت من العمر في بحث تلك القواليب، وأملت من الفكر في تأليف ما ألفت في كل أسلوب من أولئك الأساليب، ولكن لكل حالة آلة، ولكل أرب سبب، وطالما أغليت المهور للعقائل وجنبت الوسائل للأصائل" [٣] .

٦. صرح النيسابوري بأن من معاصم مقصوده من إنشاء هذا التفسير أن يكون جليسه مدة حياته، وأنيسه في وقت مماته [٤]، وفي هذا إيحاء آخر إلى أن التفسير آخر مؤلفاته، وأنه قنع من الحياة بعد أن أُنهكت قواه، فاستعد للموت بتأليف هذا التفسير، ليعينه على تلاوة كتاب الله العزيز في كل حين وأوان مدة حياته – أي بقية عمره – ، ودعا الله أن يجعله عدة في ليلة يرجع عن قبره العشائر والأهلون، وأن يجعله ذخيرة يوم لا ينفع مال ولا بنون[٥] .

٧. يمكن تقدير عمر النيسابوري حين انتهاءه من التفسير وأنه كان في الخامسة والستين من عمره أو أكثر ، بل قد يكون في عمر السبعين إن لم يكن في الخامسة والسبعين، أي أن عمره عند ختم التفسير كان في حدود السبعينات بين (٦٥–٧٥) سنة، نستشف ذلك

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٧) .

(٢) قال ابن الأثير: " وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين، وتسعة أشهر، وستة أيام، وقيل: ثلاثة أيام" . أسد الغابة لابن الأثير ٤ / ١٠٢، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٧٠/٤.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٨) .

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر (٦ / ٦٠٩) .

من خلال أمرين: **الأول**: أنه أشار في خاتمة تفسيره إلى وهن عظامه وفتور قواه أكثرها بل تمامها [١]، وهذا غالبا لا يكون إلا في حدود السبعينات من العمر. **الثاني** أن هذه المادة العلمية الغزيرة، والفوائد المتنوعة بتنوع العلوم والمحبوكة بهذه الصورة البديعة في هذا التفسير لتنم عن سعة علمية لدى هذا الإمام، وهي لم تأت إلا من كثرة الترحال في طلب العلم وثني الركب بين يدي العلماء، فلا تتأتّى إلا لمن أصقلته الليالي والأيام عبر سنين طويلة، خاصة إذا عرفنا أنه ألفه في مدة وجيزة بالنظر إلى ضخامة العمل، تقدر بخمس سنوات، ومع ذلك يقول أنه كان يمكنه إنجازه في مدة خلافة أبي بكر الصديق[٢] – أي سنتين وشهورا – لولا الأسفار الشاسعة والهموم المتعددة [٣].

بناء عليه فبالنسبة لفترة ولادة النيسابوري يقال: إذا ترجح أنه انتهى من تفسيره وهو في حدود السبعين من عمره، وترجح أيضا أنه انتهى منه أوائل صفر سنة (٧٣٠هـ)، فيكون قد ولد سنة (٦٦٠هـ).

وإذا افترض أن عمره أقل من سبعين فيمكن أن يكون في عمر الخامسة والستين، وقد ختم التفسير أوائل صفر سنة (٧٣٠هـ)، فيكون قد ولد سنة (٦٦٥هـ).

وعليه فتكون فترة ولادته محصورة بين سنتي (٦٦٠ – ٦٦٥) من الهجرة النبوية.

وأما بالنسبة للفترة التي توفي فيها فيقال: إذا ترجح أن التفسير هو آخر مؤلفاته، وأنه ألفه بعد أن قنع من الحياة، استعدادا للموت، ليعينه على تلاوة كتاب الله العزيز في كل حين وأوان مدة حياته – أي بقية عمره – ، وقد دعا الله أن يجعله عدة في ليلة يرجع عن قبره العشائر والأهلون، وأن يجعله ذخيرة يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلربما يكون قد توفي أثناء عام

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٨) .

(٢) قال ابن الأثير: " وتوفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين، وثلاثة أشهر وعشر ليال ". أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٤ / ٣٣١ ، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤ / ١٧٥ .

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٧) .

(٧٣٠هـ)، وبعد انتهاءه من كتابة التفسير، ويكون عمره بين (٦٥ -٧٠) سنة، وذلك بحسب ما فُرض أن ولادته محصورة بين (٦٦٠ - ٦٦٥).

وإذا افترض أنه عاش مدة بعد ختم التفسير فقد يكون عاش إلى خمس سنوات، فتكون وفاته سنة (٧٣٥هـ) ، ويكون عمره بين (٧٠ -٧٥) سنة.

أو قد عاش أكثر من تلك المدة، قد تصل إلى عشر سنوات، فتكون وفاته سنة (٧٤٠هـ) ، ويكون عمره بين (٧٥ -٨٠) سنة.

وعليه فيكون تاريخ وفاته محصورا بين (٧٣٠ – ٧٤٠) من الهجرة النبوية.

إذاً فالنيسابوري:

عاش في الفترة ما بين (٦٦٠هـ - ٧٤٠هـ)، **وولد**: في الفترة ما بين (٦٦٠ - ٦٦٥) من هجرة المصطفى ﷺ. **وتوفي**: في الفترة ما بين (٧٣٠هـ – ٧٤٠هـ). **وعمره**: ما بين (٦٥ - ٨٠) سنة .

هذه التحديدات والافتراضات بناء على ما ذكر من الحقائق والإشارات والإيحاءات، بلا جزم أو تأكيد، فهي لا تعدوا كونها ترجيحات واستنتاجات، ومحاولة لتحديد فترة مقبولة ومعقولة وقريبة من الواقع لولادة هذا العالم الجليل، وكذلك لوفاته، فلا توجد لدينا معلومات مؤكدة في هذا الصدد، خاصة بالنسبة لوفاته رحمه الله تعالى.

* * * * * * * * * * * * * * * *

المطلب الثاني:

حياة النيسابوري العلمية

أولاً: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

من السهولة بمكان إدراك مكانة النيسابوري العلمية، ومدى ما وصل إليه من قوة علمية في شتى المجالات، من خلال مؤلفاته؛ **أولا** من تنوعها، فإنه قد ألف في التفسير وفي علوم القرآن واللغة والصرف والحساب وفي علم الفلك، **وثانيا** من قوة هذه المؤلفات، فمن يطلع فيها يندهش من غزارة المعلومات والفوائد، ومن حسن الحبك والسبك والترتيب والتنظيم، خاصة التفسير، فمن يريد اللغة والبلاغة والصرف ففيه الشيء الكثير منها، ومن يريد علم القراءات فهو في بابه، ومن يريد الفقه والأحكام وآراء العلماء وأصحاب المذاهب فهو كتاب فقه، ومن يبحث عن السيرة والمغازي فسيجد بغيته فيه، ومن يروم قضايا العقيدة والمسائل الكلامية فسيروي غليله منه، كما أنه يخوض في المسائل الكونية والفلسفية ، وضمنه الكثير من المواعظ والحكم، فهو بحق من جهابذة العلماء.

قال عنه الزركلي: "مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات" [١]. وقال عمر رضا كحالة: "عالم مشارك في أنواع من العلوم" [٢].

وقال صاحب أعيان الشيعة: "ويظهر أنه كان ماهرا في جل العلوم، فهو حكيم في الحكماء، مفسر في المفسرين، نحوي صرفي في النحويين والصرفيين، رياضي في الرياضيات أهمها الحساب والهيئة، منجم في المنجمين، مؤلف في جميع هذه العلوم مؤلفات مشهورة، مشهور بذلك بين أهل زمانه" [٣].

---

(١) الأعلام للزركلي: ٢/ ٢١٦ .

(٢) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٣/ ٢٨٢ .

(٣) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ٥/ ٢٤٨ – ٢٤٩ ، برقم: ٦٥٤ .

أما صاحب روضات الجنات فوصفه بأنه: "إمام المفسرين، وعصام المتبحرين، نظام الملة والدين"، وقال: "وبالجملة فأمره في الفضل، والأدب والتبحر والتحقيق، وجودة القريحة، في متاخري علماء العامة، أشهر من أن يذكر وأبين من أن يسطر، وكان من كبراء الحفاظ والمفسرين" [1].

وقد تقدم ثناء الدكتور محمد الذهبي في حق النيسابوري[2].

فلا شك أن ما ذُكِر من ثناء في حق النيسابوري مؤشر على علو كعبه ورسوخه في العلم، وتبحره في شتى العلوم والمعارف.

ثانياً: طلبه العلم وشيوخه:

شحت مصادر التراجم والطبقات وكتب التاريخ عن تبيان رحلاته في طلب العلم ومشايخه، فلم يعرف من أساتذته غير شيخ واحد، وهو القطب الشيرازي محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، فيُذكر أنه ألف بعض كتبه بإشارة من شيخه الشيرازي [3].

لكن مما لا شك فيه أن مثل النيسابوري لا بد أنه تتلمذ على الكثير من المشايخ، وارتحل إلى العديد من الأقطار للنهل من معين العلماء، فلم يتسنم هذه المكانة العلمية بغير ذلك.

ثالثاً: تلامذته:

إذا كانت مصادر التراجم شحت عن ذكر مشايخ النيسابوري فلم تشر إلا إلى شيخ واحد، فكذلك الحال مع تلامذته بل أشد، فإنه قد نضب معينها فلم تذكر لنا شيئا عن تلامذته. ويقال هنا أيضا: لا شك أن مثل النيسابوري قد تتلمذ على يديه الكثير ، وقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها لينهلوا من علومه ويتعلموا من طريقته وأسلوبه.

---

(١) روضات الجنات للخوانساري: ٣/ ٩٦- ١٠١ ، برقم: ٢٦٠ .

(٢) يراجع ص: ١٨، من هذه الرسالة.

(٣) أعيان الشيعة: ٥/ ٢٤٨ - ٢٤٩، الترجمة رقم (٦٥٤) . الذريعة ٣١/١٦ برقم ١٣٣ .

يؤكد ذلك ما ذكره النيسابوري نفسه في مقدمة شرح الشافية، حيث قال: "وبعد فقد اقترحت الواردة علي، والمختلفة لدي، اقتراحا امتد مداه، وعَرْقُ مُداه، أن أشرح لهم التصريف المنسوب إلى ... المعروف بابن الحاجب" (١).

وما جاء في كشف الظنون لحاجي خليفة قال: الزيج العلائي: لنظام الأعرج، صححه تلامذته بعد وفاته، وهو فارسي على عشرة أبواب، ألفه لعلاء الدولة (٢).

ففي هاتين الإشارتين دليل واضح على أن كثيرا من التلاميذ قصدوا النيسابوري وصحبوه ولازموه.

رابعاً: مؤلفاته:

العجيب أن كتب التراجم والطبقات أغفلت جوانب كثيرة ومهمة من حياة النيسابوري، غير أنها بينت لنا مجموعة لا بأس بها من مؤلفاته، وهي تتميز بأنها في فنون متعددة، وعلوم متنوعة، شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء فإنهم لا يقتصرون على فن واحد، كما تتميز مؤلفاته بحسن الترتيب والتنظيم، فمن هذه المؤلفات:

١. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣)، وهو موضوع هذا الكتاب.

---

(١) شرح الشافية لابن الحاجب، تأليف: الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: ثريا مصطفى عقاب، رسالة دكتوراة – جامعة أم القرى: قسم التحقيق ص ٢ – ٣.

(٢)كشف الظنون ٢/ ٢٦٦ ، برقم ٧٤٢٦ .

(٣) نسب هذا التفسير إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، وانظر: الأعلام للزركلي ٢/٢١٦ ، أعيان الشيعة لمحسن الأمين ٥/٢٤٨، الترجمة (٦٥٤)، التفسير والمفسرون – للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ – ٢٨٤، هدية العارفين لإسماعيل الباباني ١/٢٥٨، الموسوعة الميسرة ص ٧٣٨ الترجمة رقم: ١٠٣٦، معجم المفسرين لعادل نويهض١/١٤٥ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ١٦/٣١ – ٣٢ ، برقم: ١٣٣، كشف الظنون ٢/ ٤٤٨ ، برقم: ٨٩٧٨، معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٣/٢٨١ – ٢٩١، معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ٢/١٥٢٧، طبقات المفسرين للأدنه وي: ص ٤٢٠.

٢. لب التأويل: وهو تفسير للقرآن أيضا، سار فيه على نهج الكاشي[١] في تأويلات القرأن، قال الخوانساري:" مجلد آخر في لب القرآن نظير تأويلات المولى عبد الرزاق الكاشي".

وهو مطبوع مع التفسير كما ذكر ذلك صاحب كتاب أعيان الشيعة[٢].

٣. أوقاف القرآن: في علم الوقف والابتداء في القرآن، ذكر الخوانساري أنه: " على حذو ما كتبه السجاوندي [٣] "، وهو مطبوع مع التفسير أيضا[٤].

٤. شرح الشمسية في المنطق [٥].

---

(١) الكاشي: عبد الرزاق (جمال الدين) بن أحمد (كمال الدين) ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (أو الكاشاني أو القاشاني): صوفي مفسر، من العلماء. له كتب، منها (كشف الوجوه الغر – ط) في شرح تائية ابن الفارض، و (اصطلاحات الصوفية – خ)، وله (شرح منازل السائرين – ط) للهروي الحنبلي، و (السراج الوهاج) في تفسير القرآن، و (شرح فصوص الحكم لابن عربي – ط) و (تأويلات القرآن – خ)، ورسالة (في القضاء والقدر – ط)، لطائف الاعلام فِي إشارات أهل الافهام فِي اصْطِلَاحَات الصُّوفِيَّة، وتوفي سنة:٧٣٠هـ، وقيل ٧٣٥هـ. انظر: الأعلام: ٣٥٠/٣، كشف الظنون: ١/ ١٧٦، برقم: ٩٤٨ – ٣٢١، برقم: ٢٤٦١ – ٣٦٤، برقم: ٢٨٠٣ — ٢/ ٢٧٧، برقم: ٧٥٥٣ ، هدية العارفين: ١ / ٥٦٧ .

(٢) نسب هذا الكتاب إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، وانظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٢ ، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ — ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، التفسير والمفسرون – للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ — ٢٨٤، =هدية العارفين ٢٥٨/١، الموسوعة الميسرة ص ٧٣٨ ، الترجمة رقم: ١٠٣٦، معجم المفسرين ١٤٥/١، الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ٢٨٤/١٨ برقم: ١٢٤.

(٣) هو محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي، أبو عبد الله: مفسر، عالم بالقراءات. من كتبه: التفسير، و(الإيضاح في الوقف والابتداء – خ) و (علل القراءات)، توفي سنة ٥٦٠هـ. الوافي بالوفيات: ١٤٧/٣، طبقات المفسرين للسيوطي: ١٠١/١، الأعلام للزركلي: (٦/ ١٧٩) .

(٤) نسب هذا الكتاب إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، وانظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٢ ، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ — ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، التفسير والمفسرون – للدكتور الذهبي: ١/ ٢٧٥ — ٢٨٤، هدية العارفين ٢٥٨/١، الموسوعة الميسرة ص ٧٣٨ برقم: ١٠٣٦، معجم المفسرين ١٤٥/١، الذريعة ٤٨/٢ برقم: ١٨٨٢.

(٥) الشمسية: متن مختصر في المنطق، لنجم الدين: عمر بن علي القزويني، المعروف: بالكاتبي، تلميذ: نصير الدين الطوسي، المتوفى: سنة ٦٩٣، ثلاث وتسعين وستمائة، ألفها: لخواجه شمس الدين: محمد، وسماه: بالنسبة إليه. نسب هذا الكتاب إليه: حاجي خليفة في كشف الظنون: ٢/ ٣٣٩ ، برقم: ٨١٢٣ . وانظر: هدية العارفين: ٢٥٨/١ .

٥. شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب[١]: قال الخوانساري: " وشرح على (شافية الصرف، ممزوج مسهول، يعرف بشرح النظام " ، وهو مطبوع[٢].

٦. الجملية في بيان أن الجمل نكرات أم لا [٣].

٧. شرح مفتاح العلوم للسكاكي[٤] في النحو والادب والاشتقاق والمعاني وَالْبَيَان[٥].

٨. الشمسية في الحساب[٦].

---

(١) هو عُثْمَان بن عمر بن أبى بكر بن يُونُس الكردى الأسنائى ثمَّ المصرى ، جمال الدِّين أَبُو عَمْرو المالكى النَّحْوِيّ، الْمَعْرُوف بِابْن الْحَاجِب، ولد سنة ٥٧٠، وَتوفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦ سِتّ واربعين وسِتمِائَة ،من تصانيفه أمالي الإيضاح فِي شرح الْمفصل. جَامع الامهات فِي الْفِقْه. جمال الْعَرَب فِي علم الادب. الشافية فِي التصريف. شرح كتاب سِيبَوَيْهٍ. عقيدة ابْن الْحَاجِب. كَافِيَة ذوى الارب فِي معرفَة كَلَام الْعَرَب. مُعْجم الشُّيُوخ. الْمَقْصد الْجَلِيل فِي علم الْخَلِيل المكتفى للمبتدئ شرح الايضاح لابي على الفارسى فِي النَّحْو. مُنْتَهى السؤل والأمل فِي علمي الأصول والجدل وَغير ذَلِك. انظر: شذرات الذهب ٤٠٥/٧، هدية العارفين : ١ / ٥٨٦، برقم: ٤٢٥٠، معجم المطبوعات العربية: ٧١/١.

(٢) نسب هذا الكتاب إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، وانظر: بغية الوعاة: ١/ ٥٢٥، الأعلام للزركلي ٢١٦/٢ ، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، التفسير والمفسرون – للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ – ٢٨٤، هدية العارفين ٢٥٨/١، الموسوعة الميسرة ص ٧٣٨ الترجمة رقم: ١٠٣٦، معجم المفسرين ١٤٥/١، معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٢٨١/٣ – ٢٩١، معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ١٥٢٧/٢، كشف الظنون ٣٠٦/٢ برقم: ٧٨٣٥، الذريعة: ٣١/١٦ – ٣٢ برقم: ١٣٣و ١٣/ ١٤٤ برقم: ٢٠٣.

(٣) أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ برقم: ٦٥٤.

(٤) سراج الدِّين، أبو يَعْقُوب يُوسُف بن أبى بكر مُحَمَّد بن على الْخَوَارِزْمِيّ الْحَنَفِيّ الأديب الشهير بالسكاكى، إِمَام فِي النَّحْو والتصريف والمعاني وَالْبَيَان وَالِاسْتِدْلَال وَالْعرُوض وَالشعر، ولد سنة ٥٥٥، وَتوفى سنة ٦٢٦هـ. من تصانيفه كتاب الطلسم فَارسي، مِفْتَاح الْعُلُوم: فِي النَّحْو والادب والاشتقاق والمعاني وَالْبَيَان مَشْهُور، وَعَلِيهِ شُرُوح وحواشي. تاريخ الإسلام ٨٢٨/١٣، بغية الوعاة: ٢/ ٣٦٤، هدية العارفين: ٢/ ٤٨٧ ، برقم: ٨٦٩٢ .

(٥) نسب هذا الكتاب إليه: حاجي خليفة في كشف الظنون: ٣/ ٣٢٢ برقم: ١٢٩٣٧، وانظر: هدية العارفين: ٢٥٨/١ ، و ٢/ ٤٨٧ ، برقم: ٨٦٩٢ ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ٨١/١٤ برقم: ١٨١٨.

(٦) نسب هذا الكتاب إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٢٨١/٣ – ٢٩١، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩، الترجمة (٦٥٤)، كشف الظنون: ٢/ ٣٣٩ ، برقم: ٨١٢٢، الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ٦/٧ برقم: ١١.

٩. توضيح التذكرة ، وهوشرح على تذكرة الخواجة نصير الدين محمد الطوسي[١] في علم الهيئة، فرغ منه غرة ربيع الأول سنة ٧١١هـ[٢].

١٠. تعبير التحرير، وهو شرح لـ "تحرير المِجِسْطي" ، ألفه بإشارة من أستاذه قطب الدين الشيرازي، وفرغ منه سنة ٧٠٤هـ وسماه تعبير التحرير أو تفسير التحرير، قال حاجي خليفة: " المِجِسْطِي: بكسر: الميم، والجيم؛ يونانية. معناها: الترتيب. أصله: ماجستوس، هو لفظ يوناني ومذكر، معناه: البناء الأكبر، مؤنثه: ماجستي. وهو: أشرف ما صنف في الهيئة، بل هو الأم. ومنه: يستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن. وهو: كتاب لبطليموس الفلوزي الحكيم. يذكر فيه: القواعد التي يتوصل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية. وعرَّبه: حنين بن إسحاق. وجرَّده، وحرَّره: حجاج بن يوسف. وثابت بن قرة. في عهد المأمون. لخصه: الأبهري. وعربه أيضا الحكيم المحقق نصير الدين محمد الطوسي" [٣].

---

(١) هو نصير الدَّين، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن الطوسى، الفيلسوف، أصله من جهرود ساوة من أعمال قُم، وَولد بطوس واشتهر بهَا، ولد سنة ٥٩٧هـ، وَتوفى بِبَغْدَاد سنة ٦٧٢ هـ، وله خمس وسبعون سنة، من تصانيفه آدَاب المتعلمين، تَجْرِيد الْكَلَام، تَحْرِير المجسطى، التذكرة النصيرية فِي الْهَيْئَة، زبدة الادراك فِي هَيْئَة الافلاك، زيج الايلخانى، سى فصل فِي التَّقْوِيم، شرح الاشارات لِابْنِ سينا، فَرَائض النصيرية، فُصُول النصيرية، قَوَاعِد العقائد، قوانين الطِّبّ. البداية والنهاية لابن كثير: ١٣/ ٢٨٣، هدية العارفين: ١٣١/٢، وذكر الخوانساري أن اسم الطوسي : محمد بن محمد بن محمد الطوسي، انظر: روضات الجنات: ٣/ ٩٨.

(٢) نسب هذا الكتاب إليه: الخوانساري في روضات الجنات ٣/ ٩٦، وانظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٢ ، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، التفسير والمفسرون – للدكتور محمد الذهبي: ١/ ٢٧٥ – ٢٨٤، هدية العارفين ٢٥٨/١ ،معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٢٨١/٣ – ٢٩١، كشف الظنون ١/ ٤١١ برقم: ٣٣٤٢، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥١/٤ برقم: ٢٠٣.

(٣) نسب هذا الكتاب إليه: حاجي خليفة في كشف الظنون ٣/ ١٨٥ برقم: ١١٧٩١، وانظر: الأعلام للزركلي ٢١٦/٢ ، أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، هدية العارفين ٢٥٨/١، كشف الظنون ٣/ ١٨٥ برقم: ١١٧٩١، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣/ ١٤٢ برقم: ٤٧٣.

١١. البصائر في مختصر تنقيح المناظر، وكتاب تنقيح المناظر لأولي الأبصار والبصائر: لكمال الدين أبي الحسن الفارسي [١]، وهو شرح لكتاب: المناظر، وأصل كتاب المناظر لأقليدس الصوري، والمحقق نصير الدين الطوسي حرر مناظر إقليدس وعرَّبه[٢].

١٢. كشف الحقائق: في شرح الزِّيج الإيلخائي[٣]، وهو لنصير الدين الطوسي، ألفه بالفارسية ، وشرحه النظام النيسابوري بالفارسية أيضا، وسماه كشف الحقائق[٤].

١٣. الزِّيج العلائي: صححه تلامذته بعد وفاته، وهو فارسي على عشرة أبواب، ألفه لعلاء الدولة [٥].

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) أبو الحسن، عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن مُحَمَّد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد، الفارسى القشيرى الحافظ، سبط أبي الْقَاسِم عبد الكريم القشيرى، محدث، حافظ، مؤرخ، لغوي، أديب، فقيه، ولد سنة ٤٥١، وَتوفي بنيسابور سنة ٥٢٩هـ، من مصنفاته: المفهم لشرح غريب صحيح مسلم، والسياق لتاريخ نيسابور، ومجمع الغرائب: في غريب الحديث. وفيات الأعيان (٣/ ٢٢٥)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٦)، الأعلام للزركلي (٤/ ٣١)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٦٧).

(٢) نسب هذا الكتاب إليه: صاحب أعيان الشيعة ٢٤٨/٥ – ٢٤٩ ، الترجمة (٦٥٤)، وصاحب كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ١٢١ برقم: ٤١٠.

(٣) الزيج :كل كتاب يتَضَمَّن جداول فلكية يعرف مِنْهَا سير النُّجُوم ويستخرج بواسطتها التَّقْوِيم سنة سنة . المعجم الوسيط:١/ ٤٠٩ .

الإيلخائي: نسبة إلى الدولة الإيلخانية . النيسابوري ومنهجه في التفسير، لماجد بن زكي الجلاد، ص ٣٦.

(٤) نسب هذا الكتاب إليه: حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ٢٦٣ برقم: ٧٤٠٨، وصاحب كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٨/ ٢٩ برقم: ٥٢٤.

(٥) نسب هذا الكتاب إليه: حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ٢٦٦ ، برقم ٧٤٢٦ ، وانظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٢/ ٨٧ برقم: ٥٧٥.

التمهيد: **ترجمة النيسابوري**

المبحث الثاني

منهج النيسابوري.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **منهج النيسابوري في التفسير.**

المطلب الثاني: **مذهب النيسابوري الفقهي.**

المطلب الثالث: **منهج النيسابوري العقدي.**

المطلب الأول:

منهج النيسابوري في التفسير

أولاً: أهمية تفسيره وثناء العلماء عليه:

إن تفسير النيسابوري تفسير نفيس ضمنه مؤلفه خلاصة جهود من سبقه من العلماء والمفسرين خاصة الإمامين الزمخشري والفخر الرازي، وما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وكذلك ما فتح الله عليه من الفهم لكتابه العزيز، فحوى الكثير من الفوائد والغرائب في شتى الفنون، وسلك فيه منهجا واحدا وواضحا وسهلا، وقد اتفق العلماء على الثناء على هذا التفسير، وكان أول من أشاد به هو مؤلفه، وبين كيف أنه بذل جهدا مضاعفا، وما لقيه من تعب ومشقة في تأليفه، فكان ذلك مبعث فخر واعتزاز له، حيث يقول في خاتمة التفسير: " ولعمري إنه للمتبتل المنيب الأوّاه نعم العون على تلاوة كتاب الله العزيز، ومحضرة مع القراءة ووجهها إن اشتبه عليه شيء منها، ومع الآي والوقوف إن ذهل عن أماكنها ومظانها. وكذا التفسير بتمامه إن أراد البحث عن الحقائق، أو عزب عنه شيء من تلك الدقائق "، ثم يقول: "ولأجل هذا لقيت في تأليفه من عرق الجبين وكد اليمين ما لقيت"[(١)].

وممن أثنى على تفسيره العلامة الخوانساري حيث قال: " وتفسيره المقدم إليه الإشارة من أحسن شروح كتاب الله المجيد، وأجمعها للفرائد اللفظية والمعنوية، وأحوزها للعوائد القشرية واللبية، وهو قريب من تفسير "مجمع البيان" كما وكيفا وسمة وترتيبا، بزيادة أحكام الأوقاف في أوائل تفسير الآي، ومراتب التأويل في أواخره، والإشارة إلى جملة من دقائق النكات العربية في البين" [(٢)].

وقال الغماري عن تفسير النيسابوري: "تفسير جليل، يشتمل على فوائد وتحقيقات، يحكي القراءات المشهورة، ويوجه ما احتاج منها إلى توجيه " [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٨ - ٦٠٩).

(٢) روضات الجنات للخوانساري: ٣/ ٩٧ .

(٣) بدع التفاسير لـ عبد الله الغماري ، ص ١٥٥ .

وقال الزرقاني: " تفسير النيسابوري يمتاز بسهولة عبارته، وبتحقيق ما يحتاج إلى تحقيق، مع قصد وخلو من الحشو"[1].

هذه الإشادات الصادرة من هؤلاء العلماء لتدل دلالة واضحة على مكانة وأهمية تفسير النيسابوري رحمه الله تعالى.

ثانيا: مصادره في التفسير:

بين النيساوري رحمه الله بعض مصادره في خاتمة تفسيره، وهذه المصادر هي:

١. التفسير الكبير للرازي رحمه الله.
٢. تفسير الكشاف للزمخشري رحمه الله.
٣. ومصدره في الوقف والابتداء كتاب السجاوندي [2].
٤. ومصادره في أسباب النزول كتاب جامع الأصول، وتفسيري الزمخشري والرازي، والتفسير البسيط للواحدي [3].
٥. أما مصادره من كتب الأحاديث، فمنها كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول، لأبي السعادات ابن الأثير[4]، والمصابيح [5]، والأحاديث الواردة في تفسيري الزمخشري والرازي.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ، ٢/ ٥٧ .

(٢) هو كتاب الإيضاح في الوقف والابتداء – للإمام محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي.

(٣) أبو الحسن على بن أحمد بن مُحَمَّد بن عَليّ الواحديّ، المفسر النحويّ. أستاذ عصره. من تصانيفه: كتاب الْبَسِيط، والْوَسِيط، وَالْوَجِيز، كلها فِي تَفْسِير الْقُرْآن، وَأَسبَاب النُّزُول، وَالدَّعْوَات، والمحصول، وَالْمَغَازِي، وَكتاب الإغراب فِي الْإِعْرَاب، وَشرح ديوَان المتنبي، وَكَانَت وَفَاته سنة: ٤٦٨هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٢ / ٢٢٣)، الوافي بالوفيات (٢٠ / ١٠١)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: ١٢٧)، الأعلام للزركلي (٤ / ٢٥٥).

(٤) العلّامة مجد الدّين أبو السّعادات ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشّيباني الجزريّ ثم الموصلي الشافعي الكاتب.ولد سنة: ٥٤٤هـ، كان فقيها، محدّثا، أديبا، نحويا، عالما بصنعة الحساب والإنشاء، ورعا، عاقلا، مهيبا. توفي سنة: ٦٠٦هـ، عن ثنتين وستين سنة . من مصنفاته: «جامع الأصول الستة الصحاح أمّهات الحديث»، النهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشّاف، في تفسير القرآن العظيم، أخذه من الثّعلبي والزّمخشري. انظر: شذرات الذهب (٧ / ٤٢- ٤٥)، البداية والنهاية (١٣ / ٦٥ – ٦٦)، وفيات الأعيان (٤ / ١٤١ – ١٤٣) .

(٥) المصابيح – أو مصابيح السنة – لأبي محمد، الحسين بن مسعود البغوى.

٦. ومصادره في اللغة كتاب صحاح الجوهري [١] والتفسيران.
٧. مصادره في المعاني والبيان والمسائل الأدبية التفسيران وكتاب المفتاح [٢]، وسائر الكتب العربية.
٨. ومصادره في الفقه التفسيران أيضا، والكتب المعنية في الفقه ولا سيما شرح الوجيز للإمام الشافعي [٣].
٩. أما التأويل فمصدره فيه الشيخ نجم الملة والدين المعروف بـ: " داية " [٤].

قال النيسابوري في خاتمة تفسيره: " وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير الجامع لأكثر التفاسير، وجل كتاب الكشاف، الذي رزق له القبول من أساتذة الأطراف والأكناف، واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغريبة، والتأويلات المحكمة العجيبة، مما لم يوجد في سائر تفاسير الأصحاب، أو وجدت متفرقة الأسباب أو مجموعة طويلة الذيول والأذناب. أما الأحاديث فإما من الكتب المشهورة كجامع الأصول والمصابيح وغيرهما، وإما من كتاب الكشاف والتفسير الكبير ونحوهما، إلا الأحاديث الموردة في الكشاف في فضائل السورة فإنا قد أسقطناها، لأن النقاد زيفها [٥] إلا ما شذ منها. وأما الوقوف فللإمام السجاوندي مع اختصار

---

(١) هو اللعلامة إِسْمَاعِيل بن حَمَّاد أَبُو نصر الفارابي الْجَوْهَرِي صَاحب كتاب الصِّحَاح فِي اللُّغَة الَّذِي يضْرب بِهِ الْمثل فِي حفظ اللُّغَة وَحسن الْكِتَابَة، مَاتَ متردياً من سطح دَاره بنيسابور سنة: ٣٩٣هـ، وَقيل إِنَّه تسودن وَعمل لَهُ دَفِين وشدهما كالجناحين وَقَالَ أُرِيد أَن أطير وقفز فَهَلَك، أَخذ الْعَرَبيَّة عَن السيرافي والفارسي، واللغة عَن خَاله إِبْرَاهِيم، وَمن تصانيفه: كتاب فِي الْعرُوض جيد سَمَّاهُ عرُوض الورقة، وَكتاب فِي النَّحْو. انظر: الوافي بالوفيات (٩ / ٦٩)، الأعلام للزركلي (١ / ٣١٣).

(٢) مفتاح العلوم – للعلامة يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ).

(٣) فتح العزيز بشرح الوجيز : للإمام عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني الشافعي، (المتوفى: ٦٢٣هـ)، والوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥ هـ) .

(٤) هو الشيخ نجم الدين، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهادر الأسدى الرازى المعروف بـ "داية"، المتوفى سنة ٦٥٤هـ. كان من خيار الصوفية "أخذ الطريق عن شيخه نجم الدين أبي الجناب المعروف بالبكرى، وكان مقيماً أول أمره بخوارزم، ثم خرج منها أيام حروب جنكيز خان إلى بلاد الروم، وهناك لقى صدر الدين القنوى وأخذ عنه، ويقال: إنه استشهد فى حروب جنكيز خان. التفسير والمفسرون (٢ / ٢٩٠).

(٥) هكذا في الأصل، ولعل الصواب والله أعلم: زيفوها.

لبعض تعليلاتها، وإثبات للآيات لتوقفها على التوقيف. وأما أسباب النزول فمن كتاب «جامع الأصول والتفسيرين» أو من «تفسير الواحدي» . وأما اللغة فمن «صحاح الجوهري» ومن «التفسيرين» كما نقلا. وأما المعاني والبيان وسائر المسائل الأدبية فمن التفسيرين والمفتاح وسائر الكتب العربية، وأما الأحكام الشرعية فمنهما ومن الكتب المعتبرة في الفقه، ولا سيما «شرح الوجيز» للإمام الرافعي. وأما التآويل فأكثرها للشيخ المحقق المتقى المتقن نجم الملة والدين المعروف بـ: "داية" قدس نفسه وروّح رمسه. وطرف منها مما دار في خلدي وسمحت به ذات يدي، غير جازم بأنه المراد من الآية، بل خائف من أن يكون ذلك جرأة مني وخوضا فيما لا يعنيني"[1] .

ثالثا: منهجه في التفسير:

سلك النيسابوري منهجا واضحا، وسار على نسق واحد ومطرد في كامل تفسيره تقريبا، ويمكن إجمال ذلك فيما يلي :

١. أنه اعتمد كثيرا على تفسير الكشاف للزمخشري [2]، والتفسير الكبير للرازي [3]، مع ما يضيف إليهما من الفوائد واللطائف من التفاسير الأخرى، وكذلك ما فتح الله عليه من

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٦ – ٦٠٧) .

(٢) أبو القاسم الزّمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي اللغوي المفسر المعتزلي، صاحب «الكشاف» في التفسير، و «أساس البلاغة» في اللغة، و «معجم الحدود» و «المنهاج» في الأصول، وغير ذلك. وكانت ولادته سنة: ٤٦٧هـ، بزمخشر، وتوفي ليلة عرفة سنة: ٥٣٨هـ، عاش ٧١ سنة. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨)، شذرات الذهب (٦/ ١٩٨) ، البداية والنهاية (١٢/ ٢٧٢)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٢٠).

(٣) هو العلّامة فخر الدين، أبو المعالي وأبو عبد الله، محمد بن عمر بن حسين البكري القرشي التميمي الرازي– من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ –، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي المفسّر المتكلّم، ولد في: ٥٤٤/٩/٢٥هـ ، وقيل: ٥٤٣هـ، بالري، وتوفي سنة:٦٠٦هـ، بمدينة هراة، ومن تصانيفه: التفسير الكبير، سمّاه «مفاتيح الغيب»، و «المحصول»، و «تأسيس التقديس» ،. قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطّوعاني مرّتين، أنه سمع فخر الدّين الرّازي يقول: "يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى. وروي عنه أنه قال: لقد اختبرت الطّرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلا، ولا تشفي عليلا، ورأيت أصحّ الطرق طريقة القرآن". انظر: وفيات الأعيان (٢٤٨/٤)، البداية والنهاية (٦٦/١٣)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١١٥)، شذرات الذهب (٤٠/٧).

العلوم والمعارف، ففي مقدمة تفسيره قال: " ولما كان التفسير الكبير المنسوب إلى الإمام الأفضل والهمام الأمثل، الحبر النحرير والبحر الغزير، الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والأصول، أفضل المتأخرين فخر الملة والحق والدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه وأسكنه بحبوحة جنانه، اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى، ومن الزوائد والغثوث ما لا يخفى، فإنه قد بذل مجهوده ونثل موجوده، حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الراغبين، فحاذيت سياق مرامه، وأوردت حاصل كلامه، وقربت مسالك أقدامه، والتقطت عقود نظامه، من غير إخلال بشيء من الفرائد أو إهمال لما يعدّ من اللطائف والفوائد، وضممت إليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات، أو رزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة " [(١)].

٢. بدأ كتابه بوضع إحدى عشرة مقدمة ، تطرق فيها لفضل القراءة وآدابها، والحديث عن: القراءات والمراد بالحروف السبعة، والرسم العثماني، والوقف والابتداء، والاستعاذة، وغيرها.
٣. يشير في بداية تفسير كل سورة إلى اسمها، ويبين المكي والمدني، ويذكر عدد حروفها وكلماتها وآياتها.
٤. يبدأ في تفسير السورة بعد تقسيم آياتها إلى مجموعات متجانسة ، فيفسر كل مجموعة على حدة بعد ذكر الآيات، وفق أربعة عناوين مطردة في غالبها، هي: القراءات، الوقوف، التفسير، التأويل.
٥. تحت عنوان القراءات: يبين القراءات العشرة، بالإضافة إلى اختيار أبي حاتم السجستاني[(٢)]، وينسب كل قراءة لصاحبها ، ويذكر أيضا القراءات الشاذة بيد أنه فصلها عن المتواترة ،

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٦)، وانظر: (٦ / ٦٠٦ - ٦٠٧).

(٢) هوَ أَبُو حَاتِمٍ ، سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ يَزِيدَ الجشمي السِّجِسْتَانِيُّ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ وَكَانَ بَارِعًا فِي اللغة. اشتغل فيها على أبي عبيد وَالْأَصْمَعِيِّ، وَأَكْثَرَ الرِّوَايَةَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ. وَأَخَذَ عَنْهُ الْمُبَرِّدُ وَابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُمَا. توفي سنة: ٢٥٥هـ. ومن مصنفاته: إعراب القرآن، ما يلحن فيه العامة، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود، القراءات. انظر: وفيات الأعيان (٢ / ٤٣٠)، البداية والنهاية (١١/ ٦).

فأوردها ضمن التفسير، حيث قال: " فنحن نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة إلى القراء السبعة، والأربع المنسوبة إلى الأئمة المختارين ... فهذا هو المعول عليه من القرآت وأما الشواذ فلا نتعرض منها إلا لما فيه نكتة أو غرابة وذلك في أثناء التفسير لا في خلال القراءات" [(١)].

٦. تحت عنوان التأويل: يتعرض للتفسير الإشاري للآيات، وهنا تظهر النزعة الصوفية [(٢)] [(٣)] لدي النيسابوري رحمه الله.

٧. يهتم ببيان الروابط والمناسبات بين السور بعضها ببعض، وكذلك بين الآيات.

٨. يذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

٩. يستطرد كثيرا في ذكر المسائل الفقهية وأقوال العلماء ومذاهبهم، مع توجيه أدلة كل مذهب، محتفظا بشخصيته العلمية في النقد، أو الاختيار والترجيح، أو الإضافة.

١٠. يخوض في القضايا العقدية والكلامية، ويتوسع في ذلك بذكر آراء العلماء وأهل الكلام **والفلاسفة** [(٤)]، ثم يتناولها بالتحليل والتقويم والنقد والرد.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٩ – ١٣).

(٢) الصوفية: هي فرقة تتصف في أصل نشأتها بالتقشف والزهد، والعزوف عن الدنيا وحظوظ النفس، وترك المباحات والتنعم والرفاهية، ثم تتطور وانحرف باختلاطه بالفلسفة اليونانية، والرهبنة المسيحية، والتنسك اليهودي، وأفكار الباطنية والمجوسية والهندوسية، فظهرت فكرة العلم اللدني، وانتشر القول بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد، واسقطوا الواجبات الشرعية عن البالغين وأباحوا المحرمات. انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص: ٢١–٢٦)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣١)، الصفدية (١/ ٢٦٣)، و(٢/ ٢٤١)، التصوف – المنشأ والمصادر، للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص: ٢٦، و٣٤، و٥٠، و١١٤)، دراسات في التصوف له أيضا (ص: ٣١٣)، فضائح الصوفية (ص: ٤٤)، كشف شبهات الصوفية (ص: ٧).

(٣) التصوف مخالف لمنهج أهل السنة، فلا يوافق عليها.

(٤) الفلاسفة: هم الذين يقولون أن الصانع موجب بالذات، وهو علة تامة أزلية مستلزمة للعالم، والعالم متولد عنه تولدا لازما، بحيث لا يمكن أن ينفك عنه، لأن العلة التامة مستلزمة لمعلولها، ومن ثم قالوا بقدم العالم وهذا أعظم حججهم على قدم العالم، وهذا من أعظم الكفر. وينكرون ماهية الرب الزائدة عن وجوده، وينفون الأسماء والصفات عنه، وقالوا واجب الوجود لذاته واحد من كل وجه، لا كثرة فيها بوجه. انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص: ١٢٧. انظر: الملل والنحل (١/ ٥٠)، الصفدية (١/ ١٠).

المطلب الثاني:

مذهب النيسابوري الفقهي

النيسابوري يستطرد كثيرا في ذكر المسائل الفقهية، ويعرض آراء المذاهب الأربعة وغيرها، مجملة تارة دون دليل أو نقاش، وتارة يفصل في ذكر تلك الأراء بذكر أدلتها ومناقشتها، ومن خلال عرضه لتلك الأراء أظهر النيسابوري ميله للمذهب الشافعي، فكثيرا ما ينتصر للشافعي، ويرد على الاعتراضات الواردة نحو مذهبه، وكذلك فإنه يذكر دليل الشافعية في المسألة في حين يضرب عن ذكر أدلة غيرهم، وذلك في كثير من المسائل.

فلا ريب أن النيسابوري شافعي المذهب إلا أنه لا يتعصب له، ولا يقلده دون نظر واجتهاد، فلا يقف عند آراءه وآراء غيره إذ يسردها موقف الجمود، لا بعترض ولا يتصرف، بل يناقش ويرجح ويورد الاعتراضات، مقدما الدليل على التعصب، والاجتهاد على التقليد، مقتديا في ذلك بإمامه الشافعي إذ قال: " إِذَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذْهَبِي وَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ "[(١)] – وهذا أصل من أصول الإمام الشافعي رحمه الله –، فيورد الاعتراضات على مذهب الإمام الشافعي نفسه إذا تبين له عدم صحة ما ذهب إليه.

فمثلا عند تفسير قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ البقرة: ١٨٣- ١٨٧، بدأ بتعريف الصيام لغة واصطلاحا، وشروط صحته، وبين اختلاف الأئمة في الأيام المعدودات، ثم ذكر اتفاق العلماء أن هذه الأيام المعدودات نسخت بصوم رمضان، كما وضح اختلاف الأئمة في المرض والسفر المبيحين للإفطار، وبين أيضا المراد بـ: " الذين يطيقونه"، ومقدار الفدية على من أفطر منهم، ثم

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب = تحفة الحبيب على شرح الخطيب (٥٥/١) ، وانظر: نهاية المطلب في دراية المذهب (المقدمة / ١٦٥)، المجموع شرح المهذب (٩٢/١) و (٤٦١/١٥)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (٥٤/١) و (٣/٣)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥٠/١)، حاشيتا قليوبي وعميرة (٦٢/٤)، حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (٦٧/٢)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١١٠/١) .

تكلم عن كيفية ثبوت دخول شهر رمضان، وتكلم أيضا عن مدة الإمساك وأنه من طلوع الصبح إلى غروب الشمس، وبناء عليه تحدث عن حكم نية الصوم في النهار للفرض والنفل، ثم أردف الحديث عن مفطرات الصوم وفصل فيها، وحكم الأكل والجماع ناسيا، ثم استطرد في الكلام عن الاعتكاف من حيث تعريفه لغة واصطلاحا، وشروطه [١].

ويقال مثل ذلك عند تفسير أغلب آيات الأحكام، فما على الباحث سوى استحضار أي آية من تلك الآيات وقراءة تفسيرها ليجد مدى الاستطراد والتفصيل للمسائل الفقهية، وسرد لأقوال العلماء، وآراء المذاهب المختلفة، مستدلا ومناقشا ومرجحا.

ومن مظاهر اهتمام النيسابوري بالمذهب الشافعي وتمذهبه به أنه كثيرا ما ينتصر للشافعي ويرد الاعتراضات الواردة نحو مذهبه، ومثال ذلك ما فعله عند تفسير قوله ﷻ: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ النساء: ٣، حيث قال: "ونقل عن الشافعي أنه قال: معناه أن لا تكثر عيالكم.

وطعن فيه بعض القاصرين بأن هذا في اللغة معنى «تعيلوا» لا معنى «تعولوا» . يقال: أعال الرجل إذا كثر عياله. ومنه قراءة طاوس أن لا تعيلوا ، وأيضا إنه لا يناسب أول الآية: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا** ﴾ النساء: ٣، وأيضا هب أنه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة، فكيف يقل عند اختيار التسري ولا حصر لهن؟

والجواب عن الأوّل: أن الشافعي لم يذهب إلى تفسير اللغة وإنما زعم أنه تعالى أشار إلى الشيء بذكر لازمه أي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال، لأن كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور. وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر، وهو أنه جعل قوله تعالى: ﴿ **أَلَّا تَعُولُوا** ﴾ النساء: ٣، من عال الرجل عياله يعولهم كقولك: مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم. ولا شك

---

(١) انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤٩٢ – ٥٢٠)، وانظر كذلك تفسير آية الزنا ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ النور: ٢، (٥ / ١٤٢).

أن من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما تصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال. فالحاصل أنه ذكر اللازم وهو الإنفاق وأراد الملزوم وهو كثرة العيال.

والحاصل على ما قلنا أنه ذكر اللازم وهو الميل والجور وأراد الملزوم وهو كثرة العيال.

والجواب عن الثاني: أن حمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار أولي وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي أيضا يؤل إلى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا.

وعن الثالث: أن الجواري إذا كثرن فله أن يكلفهن الكسب فينفقن على أنفسهن وعلى مولاهن أيضا فكأنه لا عيال. وأيضا إذا عجز المولى باعهن وتخلّص منهن بخلاف المهائر فإن الخلاص عنهن يفتقر إلى تسليم المهر إليهن" [1].

ورغم ميل النيسابوري إلى المذهب الشافعي إلا أنه لا يتعصب لهذا المذهب إذا صح لديه مذهب غيره، مثال ذلك ما جاء عند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ البقرة: ٢٣٨، فقد بين أن الشافعي احتج بالآية على أن الوتر ليس بواجب وإلا كانت الصلوات ستا فلم يبق لهن وسطى. فاعترض عليه النيسابوري بقوله: "وهذا إنما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد، لكنه يحتمل أن يكون الوسطى في الفضيلة من قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣، أو الوسطى في الزمان وهو الظهر، أو الوسطى في المقدار كالمغرب فإنه ثلاث ركعات فيتوسط بين الاثنتين والأربع، أو الوسطى في الصفة كصلاة الصبح يتوسط بين صفتي الظلام والضياء"[2] .

يخلص الباحث بعد هذا العرض إلى أن النيسابوري يستطرد في ذكر المسائل الفقهية، ويسرد آراء المذاهب، ويستدل لها ويناقشها ثم يختار ما يترجح له منها، وهو وإن كان يميل للمذهب الشافعي إلا أنه لا يتعصب له، بل يقدم الدليل عليه.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٣٤٨ – ٣٤٩) .

(٢) نفس المصدر (١ / ٦٥٦) .

المطلب الثالث:

منهج النيسابوري العقدي

النيسابوري يسير في إثبات المسائل الاعتقادية على منهج المتكلمين والمتأولين بصفة عامة، وعلى طريقة **الأشاعرة**[(١)] بصفة خاصة، فإنه ينفي الصفات الفعلية الاختيارية ويتأولها: كصفة الاستواء، والعلو، والمجيء، والغضب، والرحمة، كما ينفي الصفات الخبرية: كاليد، والساق، والعين، والوجه، وغيرها من الصفات، وإن كان يخالفهم في مسائل كثيرة، ويوافق فيها السلف، كما سيتضح ذلك عند الكلام عنها في مواضعها – إن شاء الله – .

نسبة التشيع إلى النيسابوري:

أُلصق بالنيسابوري صفة التشيع، فإن **الشيعة الإمامية** [(٢)] نسبوا التشيع إليه، وجعلوه من زمرتهم وطائفتهم، فهذا الخوانساري – صاحب كتاب روضات الجنات – نسبه إلى التشيع وعزا

---

(١) هي فرقة تنسب لأبي الحسن الأشعري، في طوره الثاني الذي تابع فيه ابن كُلاَّب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل، ونفوا الصفات الاختيارية، وأولوا الصفات الخبرية، وفوضوا معناها، ويعتقدون أن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، وإنما هو كلام نفسي، وأن أفعال العباد خلق من الله وكسب من العبد، والقول بالإرجاء في الإيمان، أي أن التصديق القلبي يكفي لصحة الإيمان دون العمل. انظر: أساس التقديس، ص: ٨٣-٩٩، و١٢٧-١٣٠. الإرشاد، ص: ٣-٨، و٥٢، و٦١-١٠٥، و١٦٦، و٢١٥-٢٢٦، الانصاف، ص: ٢١- ٤٧.

(٢) الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: الإمامة قضية أصولية، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفالها وإهمالها، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولا، وفعلا، وعقدا، إلا في حال التقية. وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية. وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه. انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٦)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥).

ذلك إلى محمد تقي المجلسي[1] – صاحب كتاب "روضة المتقين". وهو شرح كتاب " من لا يحضره الفقيه " لابن بابوية القمي[2] –، حيث قال الخوانساري: " ويوجد أيضا كما في البال نسبة التشيع إليه في بعض مصنفات الأصحاب، وكأنه شرح كتاب "من لا يحضره الفقيه" لمولانا محمد تقي المجلسي – رحمة الله تعالى عليه –، بناء على إجتهاد من جهة ما وصل إليه من علائم ذلك في ضمن التفسير، معتضدا بكونه من بلد لم يجبل إلا على الإمامية منذ بني، وسمي بالحسن مع كون أبيه محمد بن الحسين، مضافا إلى أنه ذكر اسم المحقق الطوسي – رحمه الله تعالى – في شرح تذكرته مع غاية التعظيم والتبجيل، ووصفه فيه: بالأعلم المحقق، والفيلسوف المحقق، أستاذ البشر، وأعلم أهل البدو والحضر، نصير الملة والدين محمد بن محمد بن محمد الطوسي – قدس الله نفسه، وزاد في حظائر القدس أنسه –.

وظاهر أن أحدا من أهل السنة لا يرضى بأن يذكر رجلا من الشيعة بهذه الأوصاف، ويدعو له بالخير، ويقرر له دخول الجنة كما لا يخفى" [3].

فبين الخوانساري أن المجلسي حين نسب النيسابوري إلى التشيع اعتمد في ذلك على أربعة أمور هي:

١. اجتهاد واستنتاج توصل إليه المجلسي من خلال استقراءه ونظره في تفسير النيسابوري.
٢. كون النيسابوري ولد في "قم" وهو بلد لم يجبل إلا على الإمامية منذ بني.
٣. وأن اسمه " الحسن "، واسم أبيه محمد بن الحسين.

---

(١) محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني المجلسي " ت١٠٧٠ هـ ": فقيه إمامي له اشتغال بإحياء آثار أهل البيت. من تلاميذ بَهاء الدِّين العامِلي (صاحب الكشكول) مولده ووفاته في أصفهان. له تآليف، منها (مختارات شعرية ونثرية – خ) في مكتبة السيد نصيري في طهران، عربية وفارسية، علق على بعض صفحاتها بخطه، و (روضة المتقين)، و (إحياء الأحاديث). الأعلام للزركلي (٦ / ٦٢).

(٢) أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، القمي، محدث إمامي كبير، ولد في: ٣٠٦هـ، وتوفي في: ٣٨١هـ، من مصنفاته: (من لا يحضره الفقيه – ط). انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٣)، الأعلام للزركلي (٢٧٤/٦)، معجم المؤلفين (١١/ ٣)، هدية العارفين: ٥٢/٢ – ٥٣، روضات الجنات، للخوانساري: ١٣٢/٦ – ١٤٤.

(٣) روضات الجنات، للخوانساري: ٩٧/٣– ٩٨.

٤. أنه مدح الفيلسوف الشيعي نصير الدين الطوسي، وذكره في شرح التذكرة – المسمى توضيح التذكرة النصيرية – مع غاية التعظيم والتبجيل، ووصفه فيه بـ: "العلم المحقق، والفيلسوف المحقق، أستاذ البشر، وأعلم أهل البدو والحضر، نصير الملة والدين ... قدس الله نفسه، وزاد في حظائر القدس أنسه". وأشار أن مثل هذا المديح لا يتصور أن يصدر من علماء أهل السنة في حق رجل من علماء الشيعة .

وإذا توقفنا قليلا عند هذه الأمور الأربعة ونظرنا إليها نظرة فاحصة لرأينا أنها إما حجج ضعيفة كما هو حال الأمر الرابع، أو متهافتة وواهية وهو حال الأمر الثاني والثالث، أو اجتهاد باطل ومردود على صاحبه وهذا هو وضع الأمر الأول.

فلا يصح الحكم على عقيدة شخص ما بمجرد معرفة اسمه أو مكان ولادته، فإن ذلك ليس دليلا على عقيدة المرء، كما أن النيسابوري وإن كان ولد في " قم " إلا أنه انتقل إلى نيسابور وهو صغير فأقام ونشأ فيها، ونيسابور مدينة معروف أن أغلب أهلها ممن يعتنق المذهب السني.

وبالنسبة لمدحه وثناءه على الفيلسوف الطوسي فلا يعول عليه أيضا كدليل لتشيعه، فقد اعترض محسن الأمين صاحب كتاب أعيان الشيعة – وهو شيعي– على المجلسي اعتباره هذا المدح دليلا على تشيع النيسابوري، حيث أورد مثل هذا المدح في حق الطوسي من أحد علماء السنة المعروف بسنيته، وهو العلامة القَوْشَجِي، فقال: "ولكن القَوْشَجِي[1] ذكر نحوه في حق النصير الطوسي في أول شرحه على التجريد، فقال: (المولى الأعظم، والحبر المعظم، قدوة العلماء الراسخين، أسوة الحكماء المتألهين، نصير الحق والملة والدين، محمد بن محمد الطوسي، قدس الله نفسه، وروَّح رمسه)، والقَوْشَجِي عدم تشيعه معلوم"[2].

---

(١) على بن مُحَمَّد السمرقندى الأصل ثمَّ الرُّومِي الْحَنَفِيّ، عَلَاء الدَّين، الشهير بالقَوْشَجِي، الْمُتَوفَّى سنة ٨٧٩ ه تسع وَسبعين وَثَمَانمِائَة. من تصانيفه تَارِيخ فَارسي، جَوَاهِر التَّفْسِير للزهراوين أعني سُورَة الْبَقَرَة وَآل عمرَان، رِسَالَة فِي الْجُمُعَة، رِسَالَة المحمدية فِي الْحساب، رِسَالَة فِي الْهَيْئَة فَارسي، شرح تَجْرِيد العقائد. هدية العارفين (١/ ٧٣٦)، وانظر: البدر الطالع (١/ ٤٩٥).

(٢) أعيان الشيعة، لـ: محسن االأمين: ٢٤٨/٥.

ومع ذلك، ومع أنه- أي صاحب كتاب أعيان الشيعة- ترجح لديه عدم وجود ما يشير إلى تشيعه في التفسير، حيث قال: " لاشك أن ظاهر حاله في كتابه في التفسير عدم التشيع، إلا أن يكون ذلك لنوع من المداراة" [1] — وهذا تكلف منه، ويستبعد ذلك على ما سيتقرر لاحقا-، إلا أنه حاول أن ينسب التشيع إليه بشواهد أخرى هي أيضا واهية لا ترقى للاستشهاد بها وجعلها دليلا على تشيع النيسابوري، حيث قال: " ومما يدل على ذلك — أي تشيعه — ما ذكره في تفسيره سورة الفاتحة بقوله: (وكان علي بن أبي طالب يقول: يا من ذكره شرف للذاكرين. وكان مذهبه الجهر بها — أي البسملة- في جميع الصلوات، وقد ثبت هذا منه تواترا – ومن اقتدى به لن يضل –، قال ﷺ: «اللهم أدر الحق معه حيث دار»[2])[3]"[4].

لا شك أن هذه الأمور المنسوبة إلى الإمام علي إن دلت على شيئ- على فرض ثبوتها- فإنما تدل على فضيلته، غير أنه ليس فيها أي دلالة على تشيع النيسابوري، وذلك من وجوه:

الأول: أن النيسابوري أورد قول الإمام علي- رضي الله عنه – واجتهاده، وحديث النبي ﷺ في حقه كما يورد أقوال غيره من الصحابة والأئمة ومذاهبهم بكل حيادية وإنصاف، ودون تعصب أو إقصاء- هذا على فرض نسبة ذلك إلى النيسابوري-.

الثاني: أننا إذا رجعنا إلى أصل المسألة نجد أن هذا الكلام ليس كلام النيسابوري، وإنما هو كلام الإمام الشافعي- رحمه الله- نقله النيسابوري عنه في معرض حديثه عن مسألة البسملة وهل هي من الفاتحة أو لا، وهل يجهر بها في الصلاة أو لا يجهر بها، فنقل مذهب الإمام أبي حنيفة وأحمد ومالك، ومن ضمن ذلك نقل مذهب الإمام الشافعي وحججه، فهذا الكلام

---

(١) أعيان الشيعة، لـ: محسن االأمين: ٢٤٨/٥.

(٢) الترمذي: باب مناقب علي بن أبي طالب ، ٦٣٣/٥ برقم:٣٧١٤ .
المعجم الأوسط: للطبراني، باب من اسمه محمد، ٩٥/٦ برقم: ٥٩٠٦. المستدرك: للحاكم، ٦٣٤/٣ برقم: ٤٦٢٩.
وقال الألباني عن الحديث إنه: ضعيف جدا. انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ص ٤٥٥ برقم: ٣٠٩٥.
والسلسلة الضعيفة، ١١٢/٥ برقم: ٢٠٩٤.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٨٩) .

(٤) أعيان الشيعة، لـ: محسن الأمين : ٢٤٨/٥ برقم: ٦٥٤.

الذي نسبه محسن الأمين إلى النيسابوري واعتبره دليلا على تشيعه ليس إلا تتمة لكلام الإمام الشافعي. فهل يعتبر الإمام الشافعي شيعيا؟

ومما استشهد به محسن الأمين على تشيع النيسابوري أنه صلى على عترة النبي ﷺ وآله، فقال: " ويمكن أن يستشهد لتشيعه بقوله في خطبة الرسالة الجملية: على نبيه المختار، وآله وعترته الأطهار وقوله في خطبة توضيح التذكرة: ثم على آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" [1].

ولا شك أن هذا الاستشهاد ضعيف، فإن أهل السنة يصلون على آل بيت النبي ﷺ وعترته، فليس ذلك حكراً على الشيعة.

ومن أعجب ما استشهد به الشيعة على تشيع النيسابوري، ما استشهد به أغا بزرك الطهراني، حيث قال: " وذكر المجلسي في (شرح الفقيه) شواهد لتشيعه ، حكاه عنه في (الروضات) ص ٢٢٥، وذكر شطرا من أوائله وفهرس مقدماته في (كشف الظنون)، وفيه قوله : "ولم أمل فيه إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة فبينت أصولهم ووجوه استدلالاتهم بها" ولعل هذا أيضا من الشواهد[2] .

فاستشهد بقول النيسابوري: " ولم أمل فيه – أي في التفسير- إلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة " [3] على تشيعه، وهذا من عجائبه.

ولنعد إلى استشهادات المجلسي على تشيع النيسابوري، فبعد أن ثبت ضعف وتهافت الأمر الثاني والثالث والرابع، بقي الكلام على الأمر الأول وهو أنه توصل إلى هذه النتيجة – أي تشيع النيسابوري – من خلال مطالعته ونظره في التفسير.

فهذا الاستنتاج باطل ومردود على المجلسي لأنه لا يوجد في تفسير النيسابوري ما يدل على تشيعه، بل على العكس من ذلك، فإن من يقلب نظره في التفسير ويتأمل كلام

---

(١) أعيان الشيعة، لـ: محسن الأمين : ٢٤٨/٥ برقم: ٦٥٤.

(٢) الذريعة، لـ: أغا بزرك الطهراني : ٣١/١٦ – ٣٢ برقم: ١٣٣.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٧) .

النيسابوري يجد أنه ناقش صلب المذهب الشيعي، فعرض معتقداتهم التي اختصوا بها وخالفوا فيها أهل السنة كالإمامة، وعصمة الولاة، وتفضيل علي على الصحابة رضي الله عنهم، وغيرها، ففند مذاهبهم وآراءهم، ونقد أدلتهم، وبين فسادها، وانتصر منهم لمذهب أهل السنة، فقرر ما يقررونه، ورفض ما يرفضونه.

وقد اعترف محسن الأمين – وهو من كبار علماء الشيعة – أنه لا يوجد في تفسير النيسابوري ما يشير إلى تشيعه، وأن ظاهر حاله في التفسير عدم التشيع –كما مر قريبا – .

وأكد ذلك الدكتور محمد حسين الذهبي ، حيث قال: " ليس فى تفسير النيسابورى ما يدل على تشيعه: وعلى كثرة ما قرأت فى هذا التفسير لم أقع على نص منه يدل على تشيع مؤلفه، وكل ما وقعت عليه، أنه قال فى خاتمة تفسيره (جـ٣٠ ص٢٢٨) : "وإنى أرجو فضل الله العظيم، وأتوسل إليه بوجهه الكريم، ثم بنبيه القرشى الأبطحى ووليه المعظم العلى.. إلخ"[١]، وهذه الجملة الأخيرة: "ووليه المعظم العلى" وإن كانت اعترافاً منه بولاية علىّ ﷺ، ليست دليلاً قاطعاً على تشيعه، بل نجد النيسابورى على العكس من ذلك يعترف فى نفس خاتمة تفسيره ... بأنه لم يمل فى تفسيره إلا إلى مذهب أهل السُنَّة والجماعة، وإذا رجعت إلى تفسيره لقوله تعالى ...: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ المائدة: ٥٤ ... لوجدته يرد على الشيعة استدلالهم بهاتين الآيتين على ولاية علىّ ﷺ وأنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ" [٢].

وللوقوف على حقيقة موقف النيسابوري من الفكر الشيعي في تفسيره نورد بعض الأمثلة التي ناقش فيها عقائد الشيعة وفندها ونقد أدلتهم وانتصر لمذهب أهل السنة، فمن أهم تلك العقائد والمبادئ مسألة الإمامة – أي إمامة علي ﷺ – وأن النبي ﷺ نص على استخلافه بعده.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٦٠٨) .

(٢) التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي، ٣٣٣/١ .

وقد ناقش هذه المسألة في عدة مواضع في تفسيره، من ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ المائدة: ٥٤ – ٥٥، فذكر النيسابوري خلاف المفسرين وآراءهم في المراد بالقوم المذكورين في قوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ ﴾، وذكر من ضمن تلك الآراء رأي الشيعة في أن المراد هو علي ﷺ وأن الآية نزلت فيه، ثم أورد استدلال الفخر الرازي بهذه الآية في الطعن على الشيعة الإمامية، فقال: قال فخر الدين الرازي: " هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية لأن الذين اتفقوا على إمامة أبي بكر، لو كانوا أنكروا نصا جليا على إمامة علي ﷺ لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم تحاربهم وتردهم إلى الحق. ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد فإن فرقة الشيعة مقهورون أبدا حصل الجزم بعدم النص" [(١)].

ثم أورد النيسابوري ما يمكن أن يعترض به الشيعة على كلام الرازي، فقال: "ولناصر مذهب الشيعة أن يقول: ما يدريك أنه تعالى لا يجيء بقوم تحاربهم، ولعل المراد بخروج المهدي هو ذلك، فإن محاربة من دان بدين الأوائل هي محاربة الأوائل. وهذا إنما ذكرته بطريق المنع لا لأجل العصبية والميل فإن اعتقاد ارتداد الصحابة الكرام أمر فظيع والله أعلم"[(٢)].

فبين أن مقصوده من إيراد هذا الاعتراض وإيراد ما يمكن أن يستشهد به الشيعة: هو الأمانة العلمية ليس إلا، والتزامه بمنهج البحث العلمي، لا لأجل تعصبه وميله للتشيع.

وفي الآية التالية اعتراض آخر على الشيعة يتضمن نفي النيسابوري التشيع عن نفسه، وذلك أنه اعترض على استدلال الشيعة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هو الإمام علي ﷺ، حيث قال: "فاستدلت

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦٠٥)، وانظر: تفسير مفاتيح الغيب: للرازي ٣٧٨/١٢.

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦٠٥).

الشيعة بها على أن الإمام بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب عليه السلام لأن الولي هو الوالي المتصرف في أمور الأمة" [(١)].

فاعترض على ذلك بعدة اعتراضات، فقال: "وأجيب بالمنع من أن الولي هاهنا هو المتصرف، بل المراد به الناصر والمحب لأن الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الآية وفيما بعدها هي بهذا المعنى، فكذا الولاية المأمور بها. وأيضا إن عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الآية وإنها تقتضي ظاهرا أن تكون الولاية حاصلة في الحال.

وأيضا إطلاق لفظ الجمع على الواحد لأجل التعظيم مجاز والأصل في الإطلاق الحقيقة، فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين، وأن بعضهم يجب أن يكون ناصرا لبعض، كقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ التوبة: ٧١.

وأيضا الآية المتقدمة نزلت في أبي بكر كما مر من أنه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب أن تكون هذه أيضا فيه. ثم إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الإمامية فلو كانت الآية دالة على إمامة عليّ لاحتج بها".

إلى أن قال : "وهب أنها دالة على إمامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حياة رسول الله ﷺ، فلم يبق إلا أنه سيصير إماما، ونحن نقول بموجبه ولكنه بعد الشيوخ الثلاثة" [(٢)].

وتأمل قول النيسابوري: "من هؤلاء الإمامية" فإن فيها إشارة ظاهرة إلى أنه ليس منهم.

ومن مناقشاته لفكرة الإمامة عند الشيعة ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ طه: ٩٠، حيث قال:"قال أهل السنة هاهنا: إن الشيعة تمسكوا بقوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» [(٣)]. ثم إن هارون ما منعته التقية في مثل ذلك

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦٠٦) .

(٢) نفس المصدر (٢/ ٦٠٦) .

(٣) البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي ، برقم: ٣٧٠٦ ورقم: ٤٤١٦ .
مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي، ١٥/١٤١ برقم: ٣٠- (٢٤٠٤).

الجمع، بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس إلى متابعته، فلو كانت أمة محمد ﷺ على الخطأ لكان يجب على عليّ كرم الله وجهه أن يفعل ما فعل هارون من غير تقية وخوف.

وللشيعة أن يقولوا: إن هارون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بـ: ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ الأعراف: ١٥٠، وهكذا علي ﷺ امتنع أولا من البيعة فلما آل الأمر إلى ما آل أعطاهم ما سألوا. وإنما قلت هذا على سبيل البحث لا لأجل التعصب" [١].

وهنا أيضا ينفى عن نفسه تهمة التشيع، ويبين أن مقصوده من إيراد اعتراض الشيعة هو الأمانة العلمية ، والالتزام بمنهج البحث العلمي، لا لأجل التعصب والميل للتشيع.

ففكرة الإمامة عند الشيعة هي من أهم عقائدهم، وقد رأينا كيف فند النيسابوري هذه الفكرة ونقد أدلتهم، منتصرا لمذهب أهل السنة [٢].

الخلاصة: اتضح من خلال هذا العرض أن النيسابوري من أهل السنة، وبراء من التشيع، وقد صرح بذلك فقال: "وإني لم أمل في هذا الإملاء إلّا إلى مذهب أهل السنة والجماعة فبينت أصولهم ووجوه استدلالاتهم بها وما ورد عليها من الاعتراضات والأجوبة عنها" [٣].

لكنه يسير على منهج المتكلمين، وعلى الطريقة الأشعرية على وجه الخصوص في تقرير المسائل الاعتقادية، إلا أنه خالفهم في كثير من المسائل ووافق فيها أهل السنة والجماعة.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٥٦٧) .

(٢) وانظر مناقشته ورده على الشيعة في مسألة توريث الأنبياء (٢/ ٣٦٤)، ومسألة عصمة الولاة (٢/ ٤٣٤– ٤٣٥)، و(٥٤٢/٣)، ومسألة تفضيل الإمام علي ﷺ على الصحابة (٣/ ٤٧١)، و(٥٢٤/٣)، واتهامهم لأم المؤمنين عائشة رضي لله عنها (٦/ ٥٣٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٦٠٧) .

الباب الأول

الإيمان بالله

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: معنى التوحيد في اللغة والاصطلاح.

الفصل الثاني: فطرية وجود الله.

الفصل الثالث: توحيد الربوبية.

الفصل الرابع: توحيد الألوهية.

الفصل الخامس: توحيد الأسماء والصفات.

الفصل السادس: مسائل الإيمان.

الفصل الأول

معنى التوحيد في اللغة والاصطلاح

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعنى اللغوي للتوحيد.

المبحث الثاني: المعنى الاصطلاحي للتوحيد عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: رأي النيسابوري في مفهوم التوحيد.

المبحث الأول:

المعنى اللغوي للتوحيد

التوحيد: مصدر وحَّد يوحِّد توحيداً، ووحد الشيء: أي جعله واحداً. ورجل وحَدٌ، وأحَدٌ، ووحِدٌ، ووحيدٌ، ومتوحِّدٌ، أي منفردٌ [(١)]، والواحد المنفرد [(٢)].

قال ابن فارس [(٣)]: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد [(٤)].

والأحد بمعنى الواحد، والواحد أول عدد الحساب، تقول في ابتداء العدد: واحد، اثنان، ثلاثة، إلى عشرة. والوحدة الانفراد، تقول رأيته وحده[(٥)]. ويقال وحَّده وأحَّده، كما يقال ثناه وثلثه [(٦)].

قال الجرجاني [(٧)]: التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم واحد [(٨)].

والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد، ذو الوحدانية والتوحد[(٩)].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، ص ١٥٠- مختار الصحاح للرازي، ص ٣٣٤.

(٢) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/ ٢٨٠- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ٩١.

(٣) أَحْمد بن فَارس بن زَكَرِيَّا بن مُحَمَّد بن حبيب، أَبُو الْحُسَيْن الْقزْوِينِي الرّازي اللّغَوِيّ، الشافعي، ثم المالكي، كَانَ نحويا على طَرِيقَة الْكُوفِيّين. من تصانيفه: مقاييس اللغة، و جامع التأويل في تفسير القرآن، وَمَاتَ بِالرَّيِّ فِي صَفَرٍ سَنَة: ٣٩٥هـ، وَوَهِمَ مَنْ قَالَ: مَاتَ سَنَةَ ٩٠. انظر: وفيات الأعيان (١/ ١١٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣)، بغية الوعاة (١/ ٣٥٢)، شذرات الذهب (٤/ ٤٨٠)، الأعلام للزركلي (١/ ١٩٣)، معجم المؤلفين (٢/ ٤٠- ٤١).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ٩٠.

(٥) مختار الصحاح للرازي، ص ٣٣٤.

(٦) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣/ ٢٨١- لسان العرب لابن منظور ٣/ ٧٠.

(٧) علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، مشارك في انواع من العلوم. له نحو خمسين مصنفا، منها " التعريفات، و شرح مواقف الإيجي، ولد سنة: ٧٤٠هـ، وتوفي سنة: ٨١٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٧)، معجم المؤلفين (٧/ ٢١٦).

(٨) التعريفات للجرجاني ١/ ٦٩.

(٩) تهذيب اللغة للهروي ٣/ ٢٨١ و ٥/ ١٢٥- لسان العرب لابن منظور ٣/ ٤٥٠- تاج العروس للزبيدي ٩/ ٢٦٨.

إذن فمعنى وحَّد الشئ وأحَّده توحيداً، جعله واحداً، وأما معنى وحَّد الله، أو أحَّد الله توحيداً، فهو الإقرار والاعتقاد بأنه واحد منفرد عن الأنداد والشريك والشبيه في ذاته وصفاته وأفعاله.

قال السَّفَّاريني[١]: " فمعنى وحَّدت الله، نسبت إليه الوحدانية، لا جعلته واحداً، فإن وحدانية الله – تعالى – ذاتية ليست بجعل جاعل" [٢].

وقال ابن حجر[٣]: " ومعنى وحَّدت الله اعتقدته منفردا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه" [٤].

وقال السعدي[٥]: " الواحد الأحد: وهو الذي توحَّد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقلا وقولا وعملا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بالعبادة" [٦].

فيتضح مما سبق أن دلالة التوحيد اللغوية دلالة اعتقادية قلبية.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان النابلسي الحنبلي السَّفَّاريني، شمس الدين، أبو العون، عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس وتوفي فيها. من مصنفاته: الملح الغرامية في شرح قصيدة (غرامي صحيح)، و غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، و لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقيد أهل الفرقة المرضية، وهو شرح منظومة الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، ولدسنة: ١١١٤هـ – وتوفي سنة: ١١٨٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي: ١٤/٦، معجم المؤلفين: ٢٦٢/٨.

(٢) لوامع الأنوار البهية للسَّفَّاريني ٥٧/١.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني القاهري الشَّافِعِي، أبو الفضل، الإمام الحافظ، المؤرّخ الكبير، صاحب: فتح الباري، و الإصابة في تمييز الصحابة، و الدرر الكامنة، و تقريب التهذيب، و تهذيب التهذيب، و تعريف أهل التقديس، ويعرف بطبقات المدلّسين، و بلوغ المرام، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، و إتحاف المهرة بأطراف العشرة، وغيرها. ولد سنة: ٧٧٣هـ في مصر، ومات في أواخر ذي الحجة سنة: ٨٥٣هـ. انظر: شذرات الذهب (١/ ٧٤)، الضوء اللامع (٢/ ٣٦)، الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٢٩١/١٥.

(٥) هو العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ولدسنة: ١٣٠٧هـ – وتوفي سنة: ١٣٧٦هـ ، ولد وتوفي ببلدة عنيزة بالقصيم، من مصنفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقول السديد في مقاصد التوحيد. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لـ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لـ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٩٤٥.

المبحث الثاني:

المعنى الاصطلاحي للتوحيد عند أهل السنة والجماعة

التوحيد في الدلالة الشرعية عند أهل السنة والجماعة يتوافق مع الدلالة اللغوية في أن الواحد يراد به الانفراد والاختصاص، فالتوحيد في الدلالة الشرعية عندهم هو كل ما انفرد الله به من الخصائص التي لا تكون إلا له ﷻ.

قال الطحاوي[(١)] في تعريف التوحيد: " نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، ولا شيئ مثله، ولا شيئ يعجزه، ولا إله غيره" [(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]: " وهذا حقيقة التوحيد: وهو أن لا يُشْرِكُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ" [(٤)].

وقال السَّفَّاريني: " نَعْنِي بِالتَّوْحِيدِ هُنَا الشَّرْعِيَّ، وَهُوَ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفْعَالًا" [(٥)].

---

(١) هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك، الأزدي الحجري المصري الطحاوي الحنفي، ولد بطحا قرية من صعيد مصر في: ٢٣٩هـ، وتوفي في: ٣٢١هـ. من تصانيفه: شرح معاني الآثار في الحديث، و مشكل الآثار في الحديث، و أحكام القرآن، والعقيدة السّنيّة. انظر: شذرات الذهب (٤/ ١٠٥)، وفيات الأعيان (١/ ٧١)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧)، لسان الميزان (١/ ٢٧٤)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٦)، معجم المؤلفين (٢/ ١٠٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص: ١٠- ٢٩- ٣٥- ٣٨.

(٣) هو شيخ الإسلام تقي الدّين أبو العبّاس ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، بل المجتهد المطلق. ولد سنة:٦٦١هـ، وتوفي سنة: ٧٢٨ هـ، من تصانيفه: الإيمان، والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، و الصارم المسلول، وشرح العقيدة الأصفهانية، والتوسل والوسيلة، ونقض المنطق، و السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، وغيرها. انظر: شذرات الذهب (٨/ ١٤٢)، الدرر الكامنة (١/ ١٦٨)، الأعلام للزركلي (١/ ١٤٤)، معجم المؤلفين (١/ ٢٦١).

(٤) فتاوى ابن تيمية ٣/ ٧٤ .

(٥) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٥٧).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ[1]: " وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له" [2].

وقال الشيخ ابن عثيمين[3]: " التوحيد هو: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات" [4].

فالتوحيد في الدلالة الشرعية عند أهل السنة والجماعة هو كل ما انفرد الله به من الخصائص التي لا تكون إلا له ﷻ وَهُوَ إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَأَفْعَالًا"، أو بعبارة أخرى هو: إفراد الله بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وهذا يتوافق مع الدلالة اللغوية في أن الواحد يراد به الانفراد والاختصاص.

فلا بد من إدراج الألوهية في تعريف الواحد والأحد والتوحيد، أي إفراد المعبود بالعبادة، فالإله بمعنى المعبود، وليس بمعنى الرب والخالق كما يقول المتكلمون.

فإن المتكلمين لا يذكرون الألوهية في تعريف الواحد، بل يعتبرون الألوهية والربوبية شيئا واحدا، وأنهما بمعنى الرب والخالق.

---

(١) هو العلامة المجاهد الشهيد سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي الحنبلي، ولد عام: ١٢٠٠هـ، وقتل عام: ١٢٣٣هـ، كان بارعا في التفسير والحديث والفقه. وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم (باشا)، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعا، فمزقوا جسده. له:تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، و أوثق عرى الإيمان. انظر: الأعلام للزركلي ١٢٩/٣، سليمان بن عبد الله – حياته وآثاره، للشمراني، ص ٤٥.

(٢) تيسير العزيز الحميد، لـ: سليمان آل الشيخ، ص: ١٧ .

(٣) هو محمد بن صالح بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد عام: ١٣٤٧هـ، وتوفي سنة: ١٤٢١هـ، من مؤلفاته: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، شرح لمعة الاعتقاد، شرح العقيدة الواسطية. انظر: لمعة الاعتقاد ص ١٣.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، ٨/١ .

المبحث الثالث:

رأي النيسابوري في مفهوم التوحيد

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى: "ولك أن تقول: إنه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له" [(١)].

ويقصد بالواحد الذي لا يتعدد، ولا يتبعض، ولا ينقسم، ولا يتركب، ولا يتجزأ، ولا يتحيز، وينفي عنه الكثرة والجسمية، يتضح ذلك من خلال أقواله وآرائه المبثوثة في تفسيره.

ومن ذلك قوله: "الواحد قد يكون اسما وذلك في العدد واحد، اثنان، ثلاثة. وقد يكون صفة كقولك «شخص واحد» ومعناه أنه لا ينقسم من جهة ما قيل: له إنه واحد. " [(٢)].

وقال: " والواحد الحق ﷻ واحد باعتبارين: أحدهما: أن ذاته ليست مركبة من أمور كثيرة بل ولا من أمرين أيضا وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾البقرة: ١٦٣... وثانيهما: أنه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب، وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات، وهو المراد بقوله: ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ البقرة: ١٦٣ " [(٣)].

وقال أيضاً: " أمَّا أنه واحد في ذاته فلأنه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز، وكل مركب مفتقر، وكل مفتقر ممكن" [(٤)].

وكذلك قوله: " **فمنها** أن واجب الوجود واحد في ذاته وبجميع جهات الوحدة، إذ لو فرض فيه تركّب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه إلى وجود ذينك الجزئين، فيقدح في كونه

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١ / ٤٥٢.

(٢) نفس المصدر ١ / ٤٥٠.

(٣) نفس المصدر ١ / ٤٥١.

(٤) نفس المصدر ١ / ٤٥٢.

قيوما. **ومنها** أنه لا شريك له وإلا اشتركا في الوجوب، وتباينا بالتعيّن، فيكون كلّ منهما مركّبا من جزئين فلا يكون قيوما ولا حيّا، فإن كلّ مركّب مفتقر وكل مفتقر ممكن. **ومنها** أن لا يكون متّحيزا لأن كلّ متّحيز منقسم، وقد ثبت أنه واحد. **ومنها** أنه ليس في جهة يشار إليها، وإلا كان متحيزا. **ومنها** أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك" [(١)].

وقال في موضع آخر: "ومنها أنه لو كان الباري يتعالى حاصلا في المكان والجهة. لكان الأمر المسمى بالجهة إما أن يكون موجودا مشارا إليه، أو لا يكون. فإن كان موجودا كان له بعد وامتداد وللحاصل فيه أيضا بعد وامتداد فيلزم تداخل البعدين، ومع ذلك يلزم كون الجهة والحيز أزليين ضرورة، كون الباري تعالى أزليا، ومحال أن يكون ما سوى الواجب أزليا، وإن لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا إليه بالحس، وذلك باطل" [(٢)].

ب- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري سار على نهج المتكلمين[(٣)] في مفهوم التوحيد، فإنهم يعرفون التوحيد بعدة تعاريف من أشهرها قولهم: إن الله واحد في ذاته لاقسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

قال الشهرستاني[(٤)]: " إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له" [(٥)].

---

(١)تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢ / ١٣.

(٢) نفس المصدر ٣/ ٢٤٧.

(٣) المتكلمون المقصد بهم: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

(٤) هو أبو الفتح، الأَفْضَلُ، مُحَمَّد بن عَبْدِ الكَرِيْمِ بنِ أَحْمَدَ، الشهرستاني الشافعي. كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. ولد في: ٤٧٩ هـ - وتوفي في: ٥٤٨ هـ، من كتبه: الملل والنحل، نهاية الإقدام في علم الكلام، الإرشاد إلى عقائد العباد. انظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٩٢.شذرات الذهب ٦/ ٢٤٦. الأعلام للزركلي ٦/ ٢١٥.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني، ٣٧/١، نهاية الإقدام للشهرستاني، ص ٩٠، التفسير الكبير للرازي، ١٤٨/٤، مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٩٨.

وقال ابن منظور[١]: " وَقِيلَ: الْوَاحِدُ هُوَ الَّذِي لَا يتجزأُ وَلَا يُثَنَّى وَلَا يَقْبَلُ الِانْقِسَامَ وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مِثْلَ" [٢] .

قال الجويني [٣]: " الباري ﷻ واحد، والواحد في اصطلاح الأصوليين الشيء الذي لا ينقسم، ولو قيل الواحد الشيء الواحد لوقع الاكتفاء بذلك، والرب ﷻ موجود فرد، متقدس عن قبول التبعيض والانقسام" [٤] .

وهم إذ فهموا التوحيد بهذا المعنى وقعوا في عدة مخالفات، منها:

المخالفة الأولى: أنهم يفسرون الواحد بأنه الذي لا يتعدد، ولا يتبعض، ولا ينقسم، ولا يتركب، ولا يتجزأ، ولا يتحيز، وينفون عنه الكثرة والجسمية والجهة.

وهذا كلام مجمل، يحتمل معنى حقا ومعنى باطلا، بيد أن المتأمل لكلام هؤلاء المتكلمين يجد أنهم يعنون بهذه الألفاظ المعنى الباطل.

المخالفة الثانية: أن التوحيد عندهم ثلاثة أنواع، وهي توحيد ذات الله تبارك وتعالى، وتوحيد صفاته، وتوحيد أفعاله — وهو توحيد الربوبية -، ولا حظَّ لتوحيد الألوهية في مفهومهم للتوحيد، ولا ذكر له ولا نصيب.

والسبب في ذلك أنهم يعتقدون أن معنى الرب والإله واحد، فتوحيد الألوهية عندهم هو نفسه توحيد الربوبية، فجعلوا معنى الإله: القادر على الاختراع والخلق، وجعلوا ذلك أخص وصف الإله، فمعنى لاإله إلا الله: لا خالق إلا الله.

---

(١) أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب)، اللغوي الحجة، ولد في:٦٣٠ هـ، وتوفي في: ٧١١ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/ ١٠٨. شذرات الذهب ٨/ ٤٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٣/ ٤٥١.

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الشافعيّ، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين. ولد في جوين (من نواحي نيسابور)، له مصنفات كثيرة، منها: الشامل، والإرشاد كلاهما في أصول الدين، والورقات، في أصول الفقه، ولد سنة: ٤١٩هـ – وتوفي سنة ٤٧٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٧. شذرات الذهب ٥/ ٣٣٨. الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٠.

(٤) الإرشاد للجويني، ص ٥٢.

المخالفة الثالثة: أن أهم وأشهر هذه الأنواع من أنواع التوحيد عندهم هو النوع الثالث، في قولهم: " وواحد في أفعاله لا شريك له" ، أي توحيد الله في أفعاله – وهو توحيد الربوبية –، وهو أن خالق العالم واحد، فاهتموا بتقرير هذا النوع من التوحيد واعتنوا بإثباته، وأفنوا أعمارهم في ذلك، واحتجوا لأجله بدليل التمانع وغيره، وظنوا أن هذا هو التوحيد المطلوب، وهو الذي دعت إليه الرسل، وأنه معنى لا إله إلا الله كما مر.

قال الشهرستاني: " ودلالة التمانع في القرآن مسرودة على من يثبت خالقا من دون الله ﷻ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ المؤمنون: ٩١، وعن هذا صار أبو الحسن رحمه الله إلى أن أخص وصف الإله هو القدرة على الاختراع فلا يشاركه فيه غيره ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلهين" [١].

قال شيخ الإسلام: " فإن عامة الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُقَرِّرُونَ التَّوْحِيدَ فِي كُتُبِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ: غَايَتُهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا التَّوْحِيدَ (ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ). فَيَقُولُونَ: هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ لَا قَسِيمَ لَهُ، وَوَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَوَاحِدٌ فِي أَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَرُ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَهُمْ هُوَ الثَّالِثُ وَهُوَ " تَوْحِيدُ الْأَفْعَالِ " وَهُوَ أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ وَهُمْ يَحْتَجُّونَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ دَلَالَةِ التَّمَانُعِ وَغَيْرِهَا وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْمَطْلُوبُ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِنَا لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ حَتَّى قَدْ يَجْعَلُوا مَعْنَى الْإِلَهِيَّةِ الْقُدْرَةَ عَلَى الِاخْتِرَاعِ" [٢] .

إذن النيسابوري متوافق مع المتكلمين في مفهوم التوحيد، **والرد عليهم من وجوه:**

١. أن النصوص يُرجع في تفسيرها إلى لغة العرب، يقرر شيخ الإسلام قاعدة مهمة وهي أن النصوص يُرجع في تفسيرها إلى لغة العرب وماذا فهموا منها.

فإذا وقع خلاف حول نص من النصوص الشرعية من الكتاب أو السنة – في الصفات وغيرها –، فيجب الرجوع إلى النصوص الأخرى فيهما التي تبين هذا النص وتوضحه، وكذلك

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ص ٩١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٩٨.

الرجوع إلى لغة العرب، وفهم الصحابة والسلف من خير القرون وما قالوه في بيان معنى هذا النص، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

لا كما يفعله أهل البدع ونفاة الصفات من المتكلمين وغيرهم، حيث يُرجعون ذلك إلى عقولهم، أو إلى أقوال شيوخهم، أو إلى شواذ اللغة، أو إلى مصطلحات الفلاسفة التي تلقوها من غير المسلمين.

قال شيخ الإسلام: "الوجه الثاني أن الاستدلال بالقرآن إنما يكون بحمله على لغة العرب التي أنزل بها، و قد نزل بلغة قريش كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ إبراهيم:٤، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ الشعراء: ١٩٥، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام واصطلاح خاص، بل لا يحمله إلا على تلك اللغة، فإذا كان أهل الكلام ممن قد اصطلح في لفظ الواحد والأحد والجسم وغير ذلك من الألفاظ على معانٍ عنوها بها إما من المعنى اللغوي أو أعم أو مغايرًا له، لم يكن له أن يضع القرآن على ما وضعه هو، بل يضع القرآن على مواضعه التي بينها الله لمن خاطبه القرآن بلغته، ومتى فعل غير ذلك كان ذلك تحريفًا للكلم عن مواضعه.

ومن المعلوم أنه ما من طائفة إلا وقد تصطلح على ألفاظ يتخاطبون بها، كما أن من المتكلمين من يقول الأحد هو الذي لا ينقسم، وكل جسم منقسم، ويقول الجسم هو مطلق المتحيز القابل للقسمة، حتى يدخل في ذلك الهواء وغيره، لكن ليس له أن يحمل كلام الله وكلام رسوله إلا على اللغة التي كان النبي ﷺ يخاطب بها أمته، وهي لغة العرب عمومًا ولغة قريش خصوصًا.

ومن المعلوم المتواتر في اللغة الشائع بين الخاص والعام أنهم يقولون درهم واحد ودينار واحد ورجل واحد وامرأة واحدة وشجرة واحدة وقرية واحدة وثوب واحد، وشهرة هذا عند أهل اللغة شهرة سائر ألفاظ العدد فيقولون رجل واحد ورجلان اثنان وثلاثة رجال وأربعة رجال، وهذا من أظهر اللغة وأشهرها وأعرفها، فكيف يجوز أن يقال إن الوحدة لايوصف بها شيء من الأجسام، وعامة ما يوصف بالوحدة في لغة العرب إنما هو جسم من الأجسام" [(١)].

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٩٢ – ١٩٣.

فلفظ الواحد والأحد والتوحيد يُرجع في تفسيرها إلى الكتاب والسنة، ولغة العرب، وفهم الصحابة والسلف، لا إلى العقول، وفُهوم شيوخ المتكلمين، ، ومصطلحات الفلاسفة.

٢. أنه لا يوجد في لغة العرب ولا في الكتاب والسنة أن لفظ الواحد معناه: الذي لاينقسم ولا يتركب، وليس بجسم، كما يقول المتكلمون الذين رتبوا على تلك المقدمات – أي أن الواحد لاينقسم ولا يتركب، وليس بجسم – نفي صفات الله، وأنه غير مباين لخلقه، وغير مستو على العرش، ولا يرى، ولا يشار إليه في جهة العلو.

قال شيخ الإسلام بعد أن استبعد جواز استدلال المتكلمين – من الجهمية[(١)] والمعتزلة[(٢)] والصفاتية[(٣)] – بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى: ١١، أو قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

---

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، الذي أخذ مقالته في التعطيل، والقول بخلق القرآن عن الجعد بن درهم، وهو عن بيان بن سمعان، عن طالوت ابن أخت لبيد وزوج ابنته، عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ. ومن عقائدهم: إنكار جميع الأسماء والصفات، القول بخلق القرآن، والقول بفناء الجنة والنار، والقول بالإرجاء، أي أن الايمان هُوَ الْمعرفَة بِاللَّه تَعَالَى بالقلب فقط، وأن الْكفْر هُوَ الْجَهْل بِهِ فَقَط. والقول بالجبر، أي لافعل وَلَا عمل لأحد غير الله تَعَالَى، نفي رؤية الله في الآخرة. انظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، البداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠)، و(١٢/ ٣٥٠)، و(١٤/ ٣٥٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧)، الموسوعة الميسرة (٢/١٠٥٠)، توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، للخميس (ص: ١٠٢).

(٢) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد الذَين، تتلمذا على الحسن البصري، ثم اعتزلاه بعد أن زعم واصل أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ولكنه فاسق بمنزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخرة مخلد في النار، ثم قالوا بالقدر، أي أن الله لا يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الفاعلون لأفعالهم، والقول بخلق القرآن، ونفى رؤية الله في الآخرة، ونفي جميع الصفات عن الله تعالى. انظر: الفرق بين الفرق (١/١٥، و١٩٩)، التبصير في الدين (ص: ٦٧)، الملل والنحل (١/ ٤٦- ٤٩، و٨٦)، الموسوعة الميسرة (١/٧٣)، و(٢/١٠٥٠)، لوامع الأنوار (١/١٢)، شرح الطحاوية (ص: ٥٣٧)، شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١١١)، ومجموع الفتاوى (٣/ ٢٠- ٢٣)، و(٦/ ٤١)، و(١٢/ ٣١١، و٣٥٠)، منهاج السنة النبوية (٨/ ٥)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٠). (٢/ ٣٦٣)، الصفات الإلهية (ص: ١٤٠).

(٣) الصفاتية: الذين يثبتون شيئا من الصفات وينفون أكثرها، وهم الكلابية والأشاعرة والماتريدية والكرامية. أما غير الصفاتية: فهم الذين ينفون جميع الصفات كالمعتزلة، أو ينفون الأسماء مع الصفات وهم الجهمية، والذين قالوا لا يوصف الله بالنفي ولا الإثبات وهم غلاة القرامطة والباطنية. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٢).

أَحَـدُۢ ﴾ الإخلاص: ٤، على أنه لا صفة له، أو لا يرى في الآخرة، أو ليس فوق العرش – بناءً على مقدماتهم، وهو أنه لو كان كذلك لكان جسماً، والأجسام متماثلة، والله قد نفى المثل.

قال رحمه الله: " ومن عجيب ما يحتجون به أنهم يقولون: لو كان متصفاً بذلك لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان منقسماً، والمنقسم ليس بواحد، والله قد أخبر أنه واحد. مع أنه لا يوجد في لغة العرب، بل ولا غيرهم من الأمم، استعمال الواحد الأحد والوحيد إلا فيما يسمونه جسماً ومنقسماً، كقوله تعالى:﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ المدثر: ١١، ... وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٤٩. وقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٦، ... والعرب وغيرهم من الأمم يقولون: رجل، ورجلان اثنان، وثلاثة رجال، وفرس واحد، وجمل واحد، ودرهم واحد، وثوب واحد، ... وأمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله تعالى.

فلفظ الواحد وما يتصرف منه في لغة العرب وغيرهم من الأمم لا يطلق إلا على ما يسمونه هم جسماً منقسماً، لأن ما لا يسمونه هم جسماً منقسماً ليس هو شيئاً يعقله الناس، ولا يعلمون وجوده حتى يعبروا عنه" [(١)] .

ويقول في معرض رده على دعوى المتكلمين أن الجسم أقله أن يكون مركبًا من جوهرين، وذلك ينافي الوحدة، وقوله " أحد " مبالغة في الوحدانية، فكان قوله " أحد " منافيًا للجسمية، قال رحمه الله: " يقال له هذا يقتضي أن شيئًا مما يقال له جسم لا يوصف بالوحدة، حيث قلت إن الجسم مركب، وذلك ينافي الوحدة، ومعلوم أن هذا خلاف ما في الكتاب والسنة، وخلاف لغة العرب.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء: ١، ومعلوم أن النفس الواحدة التي خلق منها زوجها هو آدم، وحواء خلقت من ضلع آدم القُصيراء، من جسده خلقت، لم تخلق من روحه حتى يقول القائل الوحدة هي باعتبار النفس

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١١٤ – ١١٧.

الناطقة التي لا تركيب فيها، وإذا كانت حواء خلقت من جسد آدم، وجسد آدم جسم من الأجسام، وقد سماها الله نفسًا واحدة، علم أن الجسم قد يوصف بالوحدة.

وأبلغ من ذلك ما ذكره الإمام أحمد وغيره من قوله ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ المدثر: ١١،، فإن الوحيد مبالغة في الواحد، فإذا وصف البشر الواحد بأنه وحيد، فوصفه بأنه واحد أولى، ومع هذا فهو جسم من الأجسام" [١] .

ثم ذكر رحمه الله جملة من نصوص السنة [٢] التي تدل على أن لفظ الواحد يستعمل فيما هو جسم ومركب، كحديث: «لا يصلين أحدكم في ثوب واحد وليس على عاتقه منه شيء» [٣]، وأن النبي سئل أيصلي الرجل في الثوب الواحد فقال: «أو لكلكم ثوبان» [٤] .

فهذه الآيات والأحاديث كلها تدل على إطلاق لفظ الواحد على ما هو جسم ومركب وينقسم ويتجزأ .

وبين رحمه الله أنه إذا كان الغالب من لغة العرب أن لفظ الواحد يستعمل فيما هو ليس الواحد في اصطلاحهم فلا يجوز أن يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ البقرة: ١٦٣، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١، على أن المراد ما سموه هم في اصطلاحهم واحداً.

فالواحد في اصطلاحهم هو الذي لاينقسم ولا يتركب، وليس بجسم، و ولا يصح أن يتصف بالصفات، ولا مباين لخلقه، ولا يرى، وغير مستو على العرش، ولا يشار إليه في جهة العلو.

قال رحمه الله: " والغالب المشهور في اللغة أن اسم (الواحد) يتناول ما ليس هو الواحد في اصطلاحهم، وإذا كان كذلك لم يجز أن يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ البقرة: ١٦٣،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٦٥- ١٦٦.

(٢) نفس المصدر ٣/ ١٦٧.

(٣) سنن النسائي: كتاب القبلة – باب صلاة الرجل في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيئ – برقم: (٧٦٩) . وصححه الألباني في نفس الكتاب.

(٤) مسلم: كتاب الصلاة ، باب بيان الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه، برقم: ٢٧٥- ٥١٥ .

وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١، ونحو ذلك مما أنزله الله بلغة العرب، واخبرنا فيه انه أحد، وأنه إله واحد – على أن المراد ما سموه هم في اصطلاحهم واحداً مما ليس معروفاً في لغة العرب.

بل إذا قال القائل: دلالة القرآن على نقيض مطلوبهم أظهر – كان قد قال الحق، فإن القرآن نزل بلغة العرب، وهم لا يعرفون الواحد في الأعيان إلا ما كان قديماً بنفسه، متصفاً بالصفات مبايناً لغيره، مشاراً إليه.

وما لم يكن مشاراً إليه أصلاً، ولا مبايناً لغيره، ولا مداخلاً له، فالعرب لا تسميه واحداً ولا أحداً، بل ولا تعرفه، فيكون الاسم الواحد والأحد دل على نقيض مطلوبهم منه، لا على مطلوبهم[١].

٣. أن تفسير المتكلمين للفظ الواحد والأحد والتوحيد بأنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب، يحتمل معنى حقا ومعنى باطلا، وأنهم قصدوا بها المعنى الباطل.

فإن أريد بذلك أن الله ﷻ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، وأنه يمتنع أن يتفرق، أو يتجزأ، أو يكون قد رُكِّب من أجزاء، فهذا حق، وهو مما اتفق عليه المسلمون.

بيد أن المتأمل لكلام هؤلاء المتكلمين – والنيسابوري وافقهم في ذلك- يجد أنهم يعنون بهذه الألفاظ معانى أخرى اختصوا بها هم بالكلام فيها نفيا وإثباتا، فإن مقصودهم من وراء تلك الألفاظ أن الله تعالى ليس قائما بنفسه، ولا بائنا من خلقه، ولا على العرش استوى، ولا يشار إليه في جهة العلو.

ومقصودهم من ذلك أيضاً نفي الصفات -كفعل المعتزلة – أو نفي كثير منها –كفعل الأشاعرة – فجعلوا نفي الصفات من التوحيد، وإثباتها تشبيها. وهذا باطل ومخالف للمنهج الحق الذي التزمه أهل السنة والجماعة.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ١١٧.

قال شيخ الإسلام: "وإذا عُرِفَ أن مراد أئمة هذا القول بنفي التجزي والانقسام ليس هو وجود الانقسام بانفصال بعضه عن بعض، ولا إمكان ذلك، وإن كان اللفظ في ذلك أظهر منه في غيره.

فإن عامة ألفاظهم الاصطلاحية لا يريدون بها ما هو المعروف في اللغة من معناها، بل معاني اختصوا هم بالكلام فيها نفيًا وإثباتًا.

فإن الله سبحانه أحد صمد، لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم، بمعنى أنه ينفصل بعضه عن بعض، كما ينفصل الجسم المقسوم المعَضَّى، مثل ما تقسم الأجسام المتصلة، كالخبز واللحم والثياب ونحو ذلك، ولا ينفصل منه بعض كما ينفصل عن الحيوان ما ينفصل من فضلاته.

وهذه المعاني هو منزه عنها، بمعنى أنها معدومة وأنها ممتنعة في حقه، فلا تقبل ذاته التفريق والتبعيض، بل ليس هو بأجوف، كما قال الصحابة والتابعون في تفسير الصمد أنه الذي لا جوف له، كما سيأتي بيانه، وأكثر الناس لا يفهمون من نفي التبعيض والتجزئة والانقسام والتركيب إلا هذين المعنيين ونحوهما، وذلك متفق على نفيه بين المسلمين.

إلى أن قال رحمه الله: وإنما مراد أئمة هذا القول من الجهمية، والفلاسفة، والمعتزلة، ومن اتبعهم من الصفاتية بنفي ذلك، ما ينفونه عن الجسم المطلق، وهو أنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء، ولا يتميز منه شيء عن شيء، بحيث لا يكون له قدرٌ وحدٌّ وجوانب ونهاية، ولا هو عين قائمة بنفسها يمكن أن يشار إليها أو يشار إلى شيء منها دون شيء، ولا يمكن أيضًا عند التحقيق أن يرى منه شيء دون شيء، وهذا عندهم نفي الكم والمساحة، وأما غير الصفاتية فيريدون أنه لا صفة له إذ وجود الصفات يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب [(١)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: " وكذلك النوع الثالث، وهو قولهم: هو واحد لا قسيم له في ذاته، أو لا جزء له، أو لا بعض له – لفظ مجمل، فإن الله ﷻ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فيمتنع أن يتفرق، أو يتجزأ، أو يكون قد رُكِّب من أجزاء.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٢٨– ١٣٠.

لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد.

فقد تبين أن ما يسمونه «توحيدا» فيه ما هو حق وفيه ما هو باطل، ولو كان جميعه حقا، فإن المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا فيه من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن، وقاتلهم عليه الرسول ﷺ، بل لا بدّ أن يعترفوا بأنه لا إله إلا الله.

وليس المراد «بالإله» هو القادر على الاختراع، كما ظنّه من ظنّه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه.

بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يُعبَد فهو إلهٌ بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آلِه. والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهًا آخر.

وإذا تبين أن غاية ما يقرّره هؤلاء النظار، أهل الإثبات للقدر، المنتسبون إلى السنة، إنما هو توحيد الربوبية، وأن الله رب كل شيء، ومع هذا فالمشركون كانوا مقرّين بذلك مع أنهم مشركون [١].

٤. أن نفي الصفات بناء على أن إثباتها يستلزم التجسيم والتركيب، والله منزه عن ذلك، ويتعارض مع كونه واحدا –كما يقول المتكلمون –، مع كونه باطلا ومخالفا للّغة وللكتاب والسنة وفهم الصحابة والسلف، فإن العقل يرفضه كذلك، فهو باطل من جهة العقل، كما أنه باطل من جهة اللغة والشرع، فإن ذاتا مجردة عن الصفات أمر لا يعقل وليس له وجود في الخارج وإنما هو مقدر في الذهن فقط.

قال شيخ الإسلام: " وأما العقل، فهذا الواحد الذي وصفوه يقول لهم فيه أكثر العقلاء وأهل الفطر السليمة، إنه أمر لا يعقل ولا له وجود في الخارج، وإنما هو أمر مقدر في الذهن،

---

(١) التدمرية: ص: ١٨٤– ١٨٦. مجموع الفتاوى ١٠٠/٣.

ليس في الخارج شيء موجود لا يكون له صفات ولا قدر ولا يتميز منه شيء عن شيء، بحيث يمكن أن لا يرى ولا يدرك ولايحاط به، وإن سماه المسمي جسمًا.

وأيضًا فإن التوحيد إثبات لشيء هو واحد، فلابد أن يكون له في نفسه حقيقة ثبوتية يختص بها ويتميز بها عما سواه، حتى يصح أنه ليس كمثله شيء في تلك الأمور الثبوتية، وإلا مجرد عدم المثل إذا لم يفد ثبوت أمر وجودي كان صفة للعدم، فنفي المثل والشريك يقتضي ما هو على حقيقة يستحق بها واحدًا" [(١)].

٥. أن تفسير الواحد والأحد والتوحيد بما يستلزم نفي الصفات، أو نفي علوه واستوائه على العرش؛ وكذلك جعل إثبات الصفات تشبيها، وأن التشبيه ضد التوحيد، كل ذلك من بدع الجهمية، وليس لهم دليل لا من كتاب ولا سنة ولا من كلام الصحابة أو السلف.

قال شيخ الإسلام: "وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفي الصفات، أو نفي علوه على العرش؛ بل بما يستلزم نفي ما هو أعم من ذلك، فهو شيء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا إمام، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات. هو أيضًا باطل، فإن التوحيد نقيضه الإشراك بالله تعالى والتمثيل له بخلقه، وإن كان ينافي التوحيد فليس المراد بذلك ما يسمونه هم تشبهًا [(٢)].

٦. أن نفاة الصفات بجميع طوائفهم، سواء الفلاسفة، أو الجهمية، أو المعتزلة، أو الأشاعرة، متناقضون فيما ينفونه وفيما يثبتونه، فإن كل فرقة منهم تزعم أن ما تنفيه من مقتضيات التوحيد، وأن إثبات ما نفوه يعتبر تشبيها، وهو ضد التوحيد، والله منزه عنه، وهذا تناقض ظاهر.

قال شيخ الإسلام: " وأما غير الصفاتية فيريدون أنه لا صفة له، إذ وجود الصفات يستلزم التجسيم والتجزئة والتركيب، ... وهؤلاء ينفون التجسيم والتشبيه، وهم متناقضون في ذلك عند النفاة

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٤٨.

(٢) نفس المصدر ٣/ ٤٢٨ - ٤٢٩.

والمثبتة الذين يخالفونهم، كما أن النفاة تثبت موجودًا مطلقًا مجردًا عن الصفات والمقادير، وهم في ذلك متناقضون عند جماهير العقلاء، وكذلك من أثبت أنه حي عالم قادر ونفى الصفات، كان متناقضًا عند جماهير العقلاء، ومن أثبت من الصفاتية الصفات الخبرية كالوجه واليدين مع نفي التجسيم والتشبيه، هم متناقضون في ذلك عند من يخالفهم من الصفاتية وسائر النفاة والمثبتة، كما هو قول ابن كلاب والأشعري وغيرهما، ثم متكلمة أهل الحديث وفقهاؤهم الذين يوافقون هؤلاء على النفي مع إثبات المعاني الواردة في آيات الصفات وأحاديثها وهم متناقضون في ذلك عند هؤلاء [(١)].

٧. أن نفاة الصفات وقعوا فيما هو شر مما فروا منه، فإنهم حينما فسروا التوحيد بما يستلزم نفي الصفات فرارا من تشبيه الخالق بالمخلوق الحي، فقد وقعوا في شر منه، فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ.

قال شيخ الإسلام: " ثُمَّ إنَّ الْجَهْمِيَّة مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ أَدْرَجُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ، فَصَارَ مَنْ قَالَ: إنَّ لِلَّهِ عِلْمًا أَوْ قُدْرَةً أَوْ إنَّهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ أَوْ إنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ يَقُولُونَ: إنَّهُ مُشَبَّهٌ لَيْسَ بِمُوَحِّدٍ.

وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْفَلَاسِفَةِ [(٢)] وَالْقَرَامِطَةِ الباطنية [(٣)] فَنَفَوْا أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى وَقَالُوا: مَنْ قَالَ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ: فَهُوَ مُشَبِّهٌ لَيْسَ بِمُوَحِّدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِمْ غُلَاةُ الْغُلَاةِ وَقَالُوا: لَا يُوصَفُ بِالنَّفْيِ وَلَا الْإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا تَشْبِيهًا لَهُ.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٣٠ - ١٣١.

(٢) غلاة الفلاسفة: هم الذين يَنْفُونَ عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ فَلَا يَقُولُونَ: مَوْجُودٌ وَلَا لَا مَوْجُودٌ، وَلَا حَيٌّ وَلَا لَا حَيٌّ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا لَا عَالِمٌ. قَالُوا: لِأَنَّ وَصْفَهُ بِالْإِثْبَاتِ تَشْبِيهٌ لَهُ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَوَصْفَهُ بِالنَّفْيِ فِيهِ تَشْبِيهٌ لَهُ بِالْمَعْدُومَاتِ. انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٧)، وانظر: الصفدية (١/ ٩٦)

(٣) القرامطة: من فرق الشيعة الإسماعلية، ظهرت في زمن المأمون، وتنسب لحمدان قرمط، ومن مؤسسيها مَيْمُون بن ديصان القداح، وهم خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، فقالوا في الباري تعالى: إنه لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت ، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وليس بقديم ولا محدث، فسلبوا النقيضين، فلا يثبتون له صفة ولا ينفونها، وهم دهرية زنادقة، يجحدون الصَّانِع، ويَقُولُونَ بقدم الْعَالم، وَيُنْكِرُونَ الرُّسُل والشرائع كلهَا، وضررهم على المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس. والباطنية: من أشهر ألقاب القرامطة: لزعمهم أن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا. انظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٦، و٢٦٥- ٢٨٠)، الملل والنحل (١/ ١٩٢- ١٩٣).

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ وَقَعُوا مِنْ جِنْسِ التَّشْبِيهِ فِيمَا هُوَ شَرٌّ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ، فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ فِرَارًا مِنْ تَشْبِيهِهِمْ – بِزَعْمِهِمْ – لَهُ بِالْأَحْيَاءِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةَ لِلَّهِ لَا تَثْبُتُ لَهُ عَلَى حَدٍّ مَا يَثْبُتُ لِمَخْلُوقٍ أَصْلًا، وَهُوَ ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ إثْبَاتِ الذَّاتِ وَإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ الذَّاتِ إثْبَاتُ مُمَاثَلَةٍ لِلذَّوَاتِ: لَمْ يَكُنْ فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ إثْبَاتُ مُمَاثَلَةٍ لَهُ فِي ذَلِكَ.

فَصَارَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّة الْمُعَطِّلَةُ يَجْعَلُونَ هَذَا تَوْحِيدًا؛ وَيَجْعَلُونَ مُقَابِلَ ذَلِكَ التَّشْبِيهَ، وَيُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ الْمُوَحِّدِينَ" [١].

٨. ما سبق من ردود يشمل عامة نفاة الأسماء والصفات وضدها كغلاة الفلاسفة والقرامطة، أو نفاة الأسماء والصفات كالجهمية، أو نفاة الصفات فقط كالمعتزلة، أو نفاة أكثر الصفات كالأشاعرة.

إلا أن الأشاعرة يُرد عليهم بالإضافة إلى ذلك، بأنهم اتبعوا الجهمية والمعتزلة في نفي الصفات، فهم — أي الأشاعرة – وإن أثبتوا الصفات السبع، وردوا على الجهمية والمعتزلة على نفيها، فقد وافقوهم في نفي بقية الصفات، مع أن شيوخهم كابن كلاب [٢] وأبي الحسن الأشعري [٣] وغيرهما يثبتون لله صفات العلو والاستواء وكذلك الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرها، فإنهم — أي الأشاعرة – اتبعوا مخالفيهم ولم يتبعوا شيوخهم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٩٩ — ١٠٠. وانظر: التدمرية: ص: ١٨٢- ١٨٤.

(٢) هو رَأْسُ المتَكَلِّمِيْنَ بِالبَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيْدِ بن كُلاَّبٍ القَطَّانُ، البَصْرِيُّ، من مؤلفاته: الصِّفَاتِ، وخَلْقِ الأَفْعَالِ، وَ الرَّدِّ عَلَى المعْتَزِلَةِ . توفي قبل سنة ٢٤٠ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤، معجم المؤلفين ٦/ ٥٩.

(٣) هو العَلاَّمَةُ إِمَامُ المتَكَلِّمِين، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ إِسْمَاعِيْلَ بنِ أَبِي بِشْرٍ إِسْحَاقَ ، من أحفاد أَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، البَصْرِيُّ. ولد سَنَةَ: ٢٦٠هـ، وَكَانَ عجباً فِي الذَّكَاء، وقوة الفهم. وَلَمَّا بَرَعَ فِي مَعْرِفَةِ الاعتزَال، كرِهه وَتبرَّأَ مِنْهُ، وَصَعِدَ لِلنَّاسِ، فتَابَ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْهُ، ثُمَّ أَخذ يَرُدُّ عَلَى المعْتَزِلَة، ويهتِك عِوَارَهُم. مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ: ٣٢٤هـ، من مصنفاته: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، رسالة إلى أهل الثغر. انظر: الفهرست: ص ٣١٥، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥، الأعلام للزركلي ٤/ ٢٦٣. معجم المؤلفين ٧/ ٣٥.

قال شيخ الإسلام: " فقال نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم، الواحد هو الذي لا صفة له ولا قدر، ويعبرون عن هذا المعنى بعبارات فيقول من يريد هذا المعنى من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله: إن واجب الوجود واحد من كل وجه ليس فيه أجزاء حد ولا أجزاء كم، أو يقال: ليس فيه كثرة حد ولا كثرة كم، أو يقال ليس فيه تركيب المحدود من الجنس والفصل، ولا تركيب الأجسام، ومقصود هذه العبارات أنه ليس لله صفة ولا له قدرة.

وكذلك تقول الجهمية من المعتزلة وغيرهم: إن القديم واحد ليس معه في القدم غيره، ولو قامت به الصفات لكان معه غيره، وأنه ليس بجسم، إذ الجسم مركب مؤلف منقسم، وهذا تعديد ينافي التوحيد، أو يقولون أيضًا إن ثبوت الصفات يقتضي كثرة وعددًا في ذاته، وذلك خلاف التوحيد، ويسمون أنفسهم الموحدين، والعلم الذي يعلم له هذا علم التوحيد، وهذا عندهم أول الأصول الخمسة، التي هي عندهم: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

هذا مذهب نفاة الصفات، من غلاة الفلاسفة والقرامطة، والجهمية والمعتزلة.

أما مذهب ابن كلاب فعكس ذلك، فإنه ينكر عليهم، وينكر على من يقول إن الواحد لا صفة له، فإنه قال بعد بيان أن الله مباين لخلقه: " فإن قالوا فيعتقبه الطول والعرض، قيل لهم هذا محال، لأنه واحد لا كالآحاد، عظيم لا تقاس عظمته بالمخلوقات، كما أنه كبير عليم لا كالعلماء، كذلك هو واحد عظيم لا كالآحاد العظماء، فإن قلت العظيم لا يكون إلا متجزيًا، قيل لك والعليم لا يكون إلا متجزيًا، وكذلك السميع والبصير، لأنك تقيس على المخلوقات" [٢].

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ١٠٠ – ١٠٣.
(٢) نفس المصدر ٣/ ١١٤ – ١١٥.

ثم قال شيخ الإسلام: "ولكن كثيرا من متكلمة الصفاتية من أصحاب الأشعري ونحوهم، فسروا الواحد والتوحيد بنحو تفسير المعتزلة وغيرهم من الجهمية، ولم يفسروه بما ذكره ابن كلاب" [(١)].

فالأشاعرة اتبعوا مخالفيهم من الجهمية والمعتزلة في نفي الصفات، ولم يتبعوا شيوخهم كابن كلاب، وأبي الحسن الأشعري وغيرهما، الذين يثبتون لله صفات العلو والاستواء وكذلك الصفات الخبرية كالوجه واليدين وغيرها، ولم يقتضي ذلك عندهم تشبيها، ولم يتعارض عندهم مع وحدانية الله.

هذه من أهم الردود التي رد بها شيخ الإسلام على المتكلمين عامة والأشاعرة خاصة في تعريفهم للتوحيد والواحد بأنه الذي لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب، وكان قصدهم من وراء تلك الألفاظ أن الله تعالى ليس قائما بنفسه، ولا بائنا من خلقه، ولا على العرش استوى، ولا يشار إليه في جهة العلو.

وكان مقصودهم من ذلك أيضاً نفي الصفات، وجعلوه من التوحيد، وإثباتها تشبيها. وهذا كما اتضح باطل ومخالف للمنهج الحق الذي التزمه أهل السنة والجماعة.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(١)بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الفصل الثاني:

فطرية وجود الله

أولا/ فطرية وجود الله ومعرفته وتوحيده عند أهل السنة الجماعة:

إن الله تبارك وتعالى خلق الثقلين الإنس والجن لغاية سامية، وغرض شريف، ألا وهو عبادة الله وحده لاشريك له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

بل حتى الحيوانات العجماوات والنباتات، وكذلك الجمادات إنما خلقت لتحقيق هذه الغاية، وهي العبودية لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٤ .

فلا بدّ إذن من معرفة هذا الرب المعبود، الذي أوجدنا وتفضل علينا لكي نعبده ونتوجه إليه بطلب النفع والخير، ودفع الضر والشر والآفات، ولكي ننكسر بين يديه، ونعلن له خضوعنا وافتقارنا إليه.

ولذلك فإن معرفة الله هي الأصل الأصيل والركيزة الأساسية للعلوم والمعارف كلها، من جهة عدم إمكانية تحقيق تلك الغاية إلا بمعرفته أولا، ومن جهة أن من لا يعرف ربه وخالقه حري به أن يجهل الغاية من وجوده.

ولأهمية معرفة الله، والحكمة من خلق الناس، فقد جعل الله هذين الأمرين شعورا فطريا يجده الإنسان من نفسه، فالله عز وجل أودع في أعماق البشر معرفته والإقرار بوجوده ووحدانيته، وكذلك استحقاقه العبادة وحده دون ما سواه.

الدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠.

وقوله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» [(١)].

والمراد بالفطرة: هو الإسلام والإيمان والتوحيد والدين والملة، قال ابن عبد البر[(٢)] في معرض نقله لأراء العلماء في المراد بالفطرة : " وَقَالَ آخَرُونَ الْفِطْرَةُ هَهُنَا الْإِسْلَامُ، قَالُوا وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ".

وقال رحمه الله: " وَمِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْفِطْرَةَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ الْإِسْلَامُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ شِهَابٍ" [(٣)].

وقال ابن حجر: " وَقَوْلُهُ عَلَى الْفِطْرَةِ: أَيْ عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ عليه السلام أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ" [(٤)]. وقال النووي[(٥)]: " قَوْلُهُ ﷺ عَلَى الْفِطْرَةِ: أَيْ عَلَى الْإِسْلَامِ" [(٦)].

وقال شيخ الإسلام: " والآثار المنقولة عن السلف لا تدل إلا على هذا القول"[(٧)].

---

(١) البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، حديث رقم: ١٣٥٨، وانظر: ١٣٨٥.
مسلم: كتاب القدر، باب ما معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: ٢٢- ٢٦٥٨.

(٢) هو العَلاَّمَةُ حَافظُ المغْرِبِ شَيْخُ الإِسْلاَمِ أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ القرطبي المالكي، ولد سنة: ٣٦٨هـ ، وتوفي سنة: ٤٦٣هـ، وَقد اسْتكمل خَمْساً وَتِسْعِيْنَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَيَّام رَحِمَهُ اللهُ. من مصنفاته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاسْتذكَار لمِذْهَب عُلَمَاء الأَمصَار، الكَافِي فِي مَذْهَب مَالِك. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٧ - ٣٦٠)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٠).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ١٨/ ٧٢- ٧٦.

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١١١).

(٥) هو محي الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي، الدمشقي، الشافعي، فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته، ولد سنة: ٦٣١هـ، وتوفي سنة: ٦٧٦هـ، من مصنفاته: الأذكار، الأربعين، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تهذيب الأسماء واللغات، المنهاج في شرح صحيح مسلم، شرح المهذب للشيرازي، ى روضة الطالبين، التبيان في آداب حملة القرآن. انظر: شذرات الذهب (١/ ٥٥)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩)، معجم المؤلفين (١٣/ ٢٠٢).

(٦) شرح صحيح مسلم لنووي ٤/ ٧٣.

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤١٠).

وإذا ثبت أن المعرفة شعور فطري ضروري مركوز في النفوس، بطل القول بأنها نظرية استدلالية، فلا نحتاج لمعرفة الله وتوحيده إلى البحث والنظر والاستدلال.

فإجمال موقف أهل السنة والجماعة بالنسبة لمعرفة الله وتوحيده، فيما يلي:

١. أن معرفة الله وتوحيده شعور فطري ضروري.

٢. أن المراد بالفطرة: هو الإسلام والإيمان والتوحيد والدين والملة.

٣. أن كون الفطرة تقتضي المعرفة والتوحيد لا يعني أنها متحققة للإنسان منذ ولادته، وإنما تتحقق إذا بلغ وميز. بشرط انتفاء الموانع والصوارف الخارجية المؤثرة عليها.

٤. أن المراد بفطرية معرفة الله هو المعرفة الإجمالية، وهي أن يكون الإنسان مخلوقا على خلقة تقتضي معرفة الله وتوحيده، أما المعرفة التفصيلية فلا يتوصل إليها إلا عن طريق الوحي، فمعرفة الإسلام وأحكامه وآدابه على التفصيل إنما تحصل عن طريق الرسل.

٥. بناء على ما سبق فإن معرفة الله عند أهل السنة وجماعة لا تحتاج إلى نظر واستدلال، فهي ليست نظرية استدلالية، لكونها فطرية ضرورية، والمعارف الفطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وإنما تكون معلومة بالبداهة والفطرة.

٦. أن كون المعرفة فطرية وليست استدلالية، لا يعني أن السلف ينكرون النظر والاستدلال مطلقا. وإنما ينكرون: **إيجاب** النظر العقلي وجعله طريقا إلى معرفة الله، بمعنى أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالنظر والاستدلال مع نفي إمكان حصول المعرفة بالفطرة، أما **إمكان** النظر بمعنى التفكر والتأمل مع الإقرار بوجود أصل الفطرة فلا إشكال فيه.

٧. أن السلف لا ينكرون النظر والاستدلال بمعنى التفكر والتأمل في ملكوت الله ودلالات الأنفس والآفاق، بل هو واجب لإقامة الحجة على من فسدت فطرته وحصول الإيمان منه، أو حصول اليقين وزيادة الإيمان لأصحاب الفطر السوية[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ص ٢٦٢ – ٢٦٣.

ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣، فالنظر والاستدلال بهذا المعنى بمثابة التنبيه للفطرة المستقرة في النفس، واستحضارها بعد أن غابت بفعل المؤثرات الخارجية، ليحصل التطابق والتأكيد واليقين لما هو مركوز في النفوس أصلا، فالنظر واجب بهذا المعنى لكونه مأمورا به شرعا لتحقيق الغايات المذكورة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يونس: ١٠١.

قال شيخ الإسلام: " الْإِقْرَارَ وَالِاعْتِرَافَ بِالْخَالِقِ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ فِي نُفُوسِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ مَا يُفْسِدُ فِطْرَتَهُ حَتَّى يَحْتَاجَ إلَى نَظَرٍ تَحْصُلُ لَهُ بِهِ الْمَعْرِفَةُ. وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ النَّاسِ وَعَلَيْهِ حُذَّاقُ النُّظَّارِ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ تَارَةً تَحْصُلُ بِالضَّرُورَةِ وَتَارَةً بِالنَّظَرِ كَمَا اعْتَرَفَ بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ" [(١)].

٨. أنهم ينكرون النظر والاستدلال بالطرق البدعية التي تخالف الكتاب والسنة، بالاحتكام إلى المقدمات الكلامية، والبراهين المنطقية، كدليل حدوث الأجسام، ودليل الإمكان. فينكرونها من جهة أنها بدعة في الإسلام فلم يدع إليها النبي ولا أصحابه، ومن جهة ما تشتمله من مقدمات باطلة كنفي الصفات.

قال شيخ الإسلام: " واعلم أن أهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدعي المعارض أنه يخالف الكتاب والسنة.
وليس في ذلك – ولله الحمد – دليل صحيح في نفس الأمر، ولا دليل مقبول عند عامة العقلاء، ولا دليل لم يقدح فيه بالعقل" [(٢)].

هذا هو موقف أهل السنة والجماعة من فطرية معرفة الله وتوحيده.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٩٤).

ثانيا/ وجوب النظر والاستدلال على وجود الله لدى المتكلمين

إن جماهير المتكلمين بجميع طوائفهم، ومنهم الأشاعرة، خالفوا أهل السنة والجماعة في منهج إثبات وجود الله، فقالوا إن معرفة الله وتوحيده قضية نظرية ولا تدرك إلا بالاستدلال، ومن ثم أوجبوا النظر والاستدلال، بل جعلوه أول واجب على العباد، وقالوا لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالنظر العقلي، أي أنه لا بد لتحصيل هذه المعرفة من إعمال العقل نظرا واستدلالا باستخدام الطرق الفلسفية والبراهين المنطقية، كدليل حدوث الأجسام، ودليل الإمكان.

يقول الباقلاني [١] – مبينا مذهب المتكلمين أن معرفة الله نظرية وليست فطرية، وأن النظر لتحصيل ذلك واجب، بل هو أول الواجبات –: " وأن يعلم: أن أول ما فرضه الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته، والاعتبار بمقدراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته وشواهد ربوبيته، لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالدلالة القاهرة والبراهين الباهرة" [٢].

وقال الجويني: " النظر الموصل إلى المعارف واجب مدرك وجوبه الشرع" [٣].

وقال: " أول واجب على العاقل البالغ باستكمال البلوغ أو الحلم شرعا القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم" [٤].

---

(١) هو الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، أَوْحَدُ المـتَكَلِّمِيْن، مُقَدَّم الأُصُوْلِيين، القَاضِي، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الطَّيِّب بنِ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ قَاسِم البَصْرِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيّ، صَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ، وَالمعْتَزِلَةِ، وَالخَوَارِجِ وَالجَهْمِيَّة وَالكَرَّامِيَّة، وَانْتَصَرَ لِطَرِيْقَةِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيّ، ولد سنة: ٣٣٨هـ، وتوفي سنة: ٤٠٣هـ، من كتبه: إعجاز القرآن، و الإنصاف، ومناقب الأئمة، ودقائق الكلام، والملل والنحل، و التمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٦).

(٢) الإنصاف للباقلاني، ص: ٢١.

(٣) الإرشاد للجويني، ص: ٨.

(٤) نفس المصدر، ص: ٣.

والسبب في إيجابهم النظر العقلي، هو أن معرفة الله واجبة – وهذا لا خلاف فيه – ثم زعموا أن لا سبيل إلى ذلك إلا بالنظر فلا بد أن يكون واجبا، ثم جعلوه أول واجب على العبيد لأنه لا تتحقق معرفة الله إلا به حسب زعمهم.

قال الجويني: " أجمعت الأمة على وجوب معرفة الباري تعالى، واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب"[(١)].

قال شيخ الإسلام: " وهؤلاء الموجبون للنظر يبنون ذلك على أنه لا يمكن حصول المعرفة الواجبة إلا بالنظر" [(٢)].

فخلاف أهل السنة والجماعة مع المتكلمين في أربعة أمور:

الأمر الأول: قولهم: إن معرفة الله مسألة نظرية استدلالية بمعنى أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالنظر والاستدلال مع إنكار حصولها بالفطرة، في حين قال أهل السنة والجماعة إنها فطرية ضرورية.

الأمر الثاني: قولهم: بوجوب النظر العقلي، وأهل السنة لا يوجبونه، ومع ذلك لا ينكرون النظر في زيادة الإيمان، أو لإقامة الحجة على من فسدت فطرته.

الأمر الثالث: جعلهم النظر العقلي هو أول واجب على العبيد، بينما أول واجب عند أهل السنة والجماعة هو إفراد الله بالعبادة.

الأمر الرابع: استخدامهم الطرق الفلسفية والبراهين المنطقية في النظر العقلي للوصول إلى معرفة الله.

---

(١) الإرشاد للجويني ، ص: ١١.

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٧).

الرد على المتكلمين في إيجابهم النظر والاستدلال على وجود الله:

المتكلمون زعموا أن معرفة الله نظرية استدلالية، ثم أوجبوا النظر العقلي باستخدامهم الطرق البدعية، فيرد عليهم بما قد ثبت في المبحث السابق من أن معرفة الله فطرية ضرورية ولا تحتاج إلى نظر واستدلال بأدلة خارجية، فلا يجب النظر لمعرفة الله، ومع ذلك فلا ينكر النظر.

يقول ابن حزم[(١)] رحمه الله، مبينا بطلان القول بوجوب النظر: " وَمن الْبُرْهَان الموضح لبُطْلَان هَذِه الْمقَالة الخبيثة، أَنه لَا يشك أحد مِمَّن يدْرِي شَيْئا من السّير من الْمُسلمين وَالْيَهُود وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوس والمانية والدهرية، فِي أَن رَسُول الله ﷺ مذ بعث لم يزل يَدْعُو النَّاس الْجَمَّاء الْغَفِير إِلَى الْإِيمَان بِاللَّه تَعَالَى، وَبِمَا أَتى بِهِ، وَيُقَاتل من أهل الأَرْض من يقاتله مِمَّن عِنْده، ويستحل سفك دِمَائِهِمْ وَسبي نِسَائِهِم وَأَوْلَادهمْ، وَأخذ أَمْوَالهم، متقرباً إِلَى الله تَعَالَى بذلك، وَأخذ الْجِزْيَة وإصغاره، وَيقبل مِمَّن آمن بِهِ، وَيحرم مَاله وَدَمه وَأَهله وَولده، وَيحكم لَهُ بِحكم الْإِسْلَام، وَفِيهِمْ الْمَرْأَة البدوية، والراعي والراعية، والغلام الصحراوي الوحشي، والزنجي المسبيء، والزنجية المجلوبة، والرومي والرومية، والأغثر[(٢)] الْجَاهِل، والضعيف فِي فهمه، فَمَا مِنْهُم أحد وَلَا من غَيرهم قَالَ الطَّيِّلا إِنِّي لَا أقبل إسلامك، وَلَا يَصح لَك دين إِلَّا حَين تستدل على صِحَة مَا أَدْعُوك إِلَيْهِ" .

و قَالَ " ثمَّ جرى على هَذِه الطَّرِيقَة جَمِيع الصَّحَابَة ﷺ أَوَّلهمْ عَن آخِرهم، وَلَا يخْتَلف أحد فِي هَذَا الْأَمر، ثمَّ جَمِيع أهل الأَرْض إِلَى يَوْمنَا هَذَا، وَمن الْمحَال الْمُمْتَنع عِنْد أهل الْإِسْلَام أَن يكون الطَّيِّلا يغْفل أَن يبين للنَّاس مَا لَا يَصح لأحد الْإِسْلَام إِلَّا بِهِ، ثمَّ يتَّفق على إغفال ذَلِك، أَو تعمد عدم ذكره جَمِيع أهل الأسلام، تنبه لَهُ هَؤُلَاءِ الأشقياء" [(٣)].

---

(١) هو الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ، عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمٍ، الفَارِسِيُّ الأَصْلِ، ثُمَّ الأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ، الفَقِيْهُ الحَافِظُ، المتَكَلِّمُ، الأَدِيْبُ، الوَزِيْرُ، الظَّاهِرِيُّ، وَلد بقُرْطُبَة سَنَةِ: ٣٨٤هـ، وتوفي سنة" ٤٥٦هـ، أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى في الفقه، وجمهرة الأنساب ، والناسخ والمنسوخ، وحجة الوداع. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤ – ١٨٥)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤).

(٢) والغَثْراءُ: سِفْلَةُ الناس وجمهورهم. والغَيْثَرَةُ: الجماعة من الناس. والأَغْثَرُ: الأَغْبَرُ. العين (٤/ ٤٠٠)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤١٢).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٣٥).

أما استخدامهم الطرق البدعية في النظر العقلي، فيقول شيخ الإسلام في الرد عليهم: " ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ — أي المتكلمون - جَعَلُوا ذَلِكَ نَظَرًا مَخْصُوصًا وَهُوَ النَّظَرُ فِي الْأَعْرَاضِ وَأَنَّهَا لَازِمَةٌ لِلْأَجْسَامِ فَيَمْتَنِعُ وُجُودُ الْأَجْسَامِ بِدُونِهَا. قَالُوا: وَمَا لَا يَخْلُو عَنْ الْحَوَادِثِ أَوْ مَا لَا يَسْبِقُ الْحَوَادِثَ فَهُوَ حَادِثٌ" [(١)].

ثم قال رحمه الله: " وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ لَا تَحْصُلُ إلَّا بِالنَّظَرِ ثُمَّ قَالُوا: لَا تَحْصُلُ إلَّا بِهَذَا النَّظَرِ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ الْجَهْمِيَّة الْقَدَرِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى خَطَأِ هَؤُلَاءِ فِي إيجَابِهِمْ هَذَا النَّظَرَ الْمُعَيَّنَ وَفِي دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِ. إذْ قَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يُوجِبْ هَذَا عَلَى الْأُمَّةِ وَلَا أَمَرَهُمْ بِهِ بَلْ وَلَا سَلَكَهُ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ فِي تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ" [(٢)].

أما زعمهم أن أول واجب على العبيد هو النظر، فهذا باطل، لأن أول واجب على العبيد هما الشهادتان المتضمنتان لتوحيد الله وإفراده بالعبودية، والدليل على ذلك:

١. قول شيخ الإسلام: " والنبي ﷺ لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه.

كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» [(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٩).

(٢) نفس المصدر (١٦/ ٣٣٠).

(٣) البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم: ١٣٩٥ .
مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم: ٢٩- ١٩.

وكذلك سائر الأحاديث عن النبي ﷺ موافقه لهذا، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[(١)] [(٢)].

وبين رحمه الله أن المعرفة نفسها لا يوجد دليل على وجوبها، بل هي موجودة عند الناس جميعا لأنهم مفطورون عليها، فقال: " وَلَيْسَ فِيمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِ الرُّسُلِ أَنَّ مِنْهُمْ أَحَدًا أَوْجَبَهَا – أي المعرفة – بَلْ هِيَ حَاصِلَةٌ عِنْدَ الْأُمَمِ جَمِيعِهِمْ – أي بالفطرة –.

وَلذلك فإن الرُّسُلِ: افْتَتَحُوا دَعْوَتَهُمْ بِالْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ. وَقَوْمُهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالْخَالِقِ، لَكِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ" [(٣)].

إلى أن قال: " وَلذلك قالت الرُّسُلِ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ إبراهيم: ١٠، هُوَ نَفْيٌ، أَيْ لَيْسَ فِي اللَّهِ شَكٌّ. وَهُوَ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ، يَتَضَمَّنُ تَقْرِيرَ الْأُمَمِ عَلَى مَا هُمْ مُقِرُّونَ بِهِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي اللَّهِ شَكٌّ، فَهَذَا اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ" [(٤)].

٢. قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ العلق: ١، يقول شيخ الإسلام: " وَهَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ النَّظَرُ أَوَّلَ وَاجِبٍ بَلْ أَوَّلُ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، لَمْ يَقُلْ " اُنْظُرْ وَاسْتَدِلَّ حَتَّى تَعْرِفَ الْخَالِقَ، وَكَذَلِكَ هُوَ أَوَّلُ مَا بَلَّغَ هَذِهِ السُّورَةَ. فَكَانَ الْمُبَلِّغُونَ مُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمْ يُؤْمَرُوا فِيهَا بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ" [(٥)].

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، حديث رقم: ٢٥ .
مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم: ٣٢– ٢٠.
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦ – ٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٣٢).
(٤) نفس المصدر (١٦/ ٣٣٩).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (١٦/ ٣٢٨).

٣. إجماع علماء المسلمين، قال شيخ الإسلام: " فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول، أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلاً، أو مشركاً، أو كتابياً، وبذلك يصير الكافر مسلماً، ولا يصير مسلماً بدون ذلك" [(١)].

٤. أن من أئمة المتكلمين من لم يوجب النظر العقلي، بل أثبت فطرية معرفة الله، كالشهرستاني، إذ يقول: " فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إبراهيم: ١٠، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ الزخرف: ٨٧، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الزخرف: ٩. وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء، فلا شك أنهم يلوذون إليها في حال الضراء ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يونس: ٢٢، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الإسراء: ٦٧.

وهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» [(٢)].

ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ غافر: ١٢، الآية، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الزمر: ٤٥، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء: ٤٦. [(٣)].

فثبت قول أهل السنة أن معرفة الله وتوحيده فطرية ضرورية، وأن أول واجب على العبيد هما الشهادتان المتضمنتان إفراد الله بالعبودية. وبطل ما زعمه المتكلمون. فلله الحمد والمنة.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٦ – ٧).

(٢) تم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٣) نهاية الإقدام للشهرستاني، ص: ٢٤. درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٩٧.

ثالثا/ موقف النيسابوري من فطرية وجود الله

إن من يتصفح تفسير النيسابوري تنتابه الحيرة بادئ الأمر في تحديد موقفه من مسألة معرفة الله وتوحيده، فإنه كثيرا ما صرح بأن معرفة الله وتوحيده معرفة فطرية ضرورية، وأن المراد بالفطرة الإسلام أو الدين أو التوحيد، وأنها مركوزة في النفوس السليمة، بيد أنه في مواطن أخر يصرح بأنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بالنظر والاستدلال.

وحيال هذا التضارب الذي يظهر في أقواله من الوهلة الأولى، كان لزاما حصر أقواله في الجانبين، وفهم مراده منها، ومن ثم الجمع بينها، واستنباط الراجح منها، وتحديد موقفه من الفطرة.

الجانب الأول: تصريحه بفطرية معرفة الله:

فمن تصريحاته التي أعلن بها أن معرفة الله فطرية، قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ البقرة: ٢٢١: "معناه واضح. وقد عرفت فيما مر أن التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة، فكأن الآيات تليه[١] على ما هو مركوز في العقول من حقيقة دين الإسلام ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم: ٣٠ "[٢].

وقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤: "وإنما سمى الوعظ بالتذكير لأن حسن هذا الدين مركوز في العقول ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ الروم: ٣٠، فكأن هذا العلم كان حاصلا في نفسه بالقوّة، ثم زال عنها بالعوائق والغواشي"[٣].

فيفهم من كلامه هذا أن النفوس مفطورة على معرفة الله ومعرفة دينه، وأن ذلك حاصل بالقوة- أي الفطرة التي تقتضي بنفسها معرفة الله -، ويفهم أيضا أن هذه الفطرة قد تتغير وتتبدل بما يطرأ عليها من مؤثرات خارجية سلبية.

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: تُنَبِّه .

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦١١).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٨٥).

ويفهم مثل ذلك من قوله: " ثم أشار بقوله ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾ العنكبوت: ٦٥، إلى أن المانع من التوحيد والإخلاص هو الحياة الدنيا، لأنهم إذا انقطع رجاؤهم رجعوا إلى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والإخلاص" [١].

ومما يدل على ذلك أيضا ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ﴾ الروم: ٣٠، حيث قال: "وفطرة الله هي التوحيد الذي تشهد به العقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء في الحديث النبوي «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ»[٢]" [٣].

وكذلك قوله: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الفتح: ٤، أي يقينا مع يقينهم، أو إيمانا بالشرائع مع إيمانهم بالله. ... أو ازدادوا إيمانا استدلاليا مع إيمانهم الفطري. وعلى هذا ففائدة قوله: ﴿ مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾، أن الفطرة تشهد بالإيمان، فلما عرفوا صحة الإيمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثاني إلى الأول" [٤].

وقوله: "﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ التغابن: ٢: ذا فطرة سليمة. وقوله ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ بحسب الأسباب الخارجية ، كقوله ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» والكل على وفق المشيئة" [٥].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٣٩٦).

(٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، حديث رقم: ١٣٥٨، وانظر: ١٣٨٥.
مسلم: كتاب القدر، باب ما معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم: ٢٢- ٢٦٥٨.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤١١).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٤٥).

(٥) نفس المصدر (٦/ ٣٠٨).

وقال لدى تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ إبراهيم: ١٠: " قال الضعيف المذنب المفتقر إلى عفو ربه الكريم، مؤلف الكتاب الحسن بن محمد، المشتهر بنظام النيسابوري، نظم الله أحواله في الدارين: إنه كان من عقيدتي أن العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة البديهيات، وكان يستبعد ذلك كثير من أقراني وأصحابي، لما رأوا أن الأقدمين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية، فكنت قد كتبت لأجلهم رسالة في الإلهيات، مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى، فإن الضروريات قد ينبه عليها وإن لم تحتج في الاقتناص إلى البراهين" (١).

ثم ساق اثني عشر وجها من هذه المنبهات التي تنبه إلى معرفة الله الفطرية، كدلالة الأنفس والآفاق، وكذلك الحدوث والإمكان (٢).

الجانب الثاني تصريحه بوجوب النظر والاستدلال لمعرفة الله:

وبعد هذا العرض لأقواله بفطرية معرفة الله، يجدر بنا عرض جانب من أقواله التي يفهم منها أنه يرى أن المعرفة نظرية استدلالية، وأن النظر والاستدلال واجب لتحقيق هذه المعرفة.

قال رحمه الله: " ويعلم من قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦، أنه تعالى ليس بجسم، وإلا كان غائبا عنا فكان آفلا، وإنه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة. وفيه أن معارف الأنبياء استدلالية لا ضرورية، **وأنه لا سبيل إلى معرفته تعالى إلا النظر والاستدلال**" (٣).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾الزمر: ١٨، : " وفي الآية دلالة على **وجوب النظر** والاستدلال وأنه إذا اعترض أمران واجب وندب، فالأولى اختيار الواجب. وكذا الكلام في المباح والندب، كالقصاص والعفو وكل ما هو أحوط في الدين.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ١٧٥).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٧٥- ١٧٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٨).

مثاله في الأصول القول بأن للعالم صانعا حيا قديما عليما قادرا متصفا بنعوت الجلال والإكرام وصفات الكمال والتمام، أولى وأحوط من إنكاره. وكذا الإقرار بالبعث والجزاء أحوط من الإنكار.

وفي الفروع الصلاة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الأركان والأبعاض المختلف فيها أجود من الصلاة الفارغة عنها أو عن بعضها"[١].

الخلاصة:

بعد عرض آرائه في الجانبين والجمع بينها، قد يفهم أن رأيه هو أن معرفة الله وتوحيده مسألة فطرية ضرورية، وأن المراد بالفطرة هي الإسلام والتوحيد، وبناء عليه يحمل تصريحه بوجوب النظر والاستدلال على:

١. أن مراده بالنظر والاستدلال هو التدبر والتفكر والتذكر المأمور بها شرعا، فالنظر والاستدلال بهذا المعنى بمثابة التنبيه للفطرة المستقرة في النفس، واستحضارها بعد أن غابت بفعل المؤثرات الخارجية، ليحصل التطابق والتأكيد واليقين لما هو مركوز في النفوس.

٢. أن مراده بالنظر الواجب بالتدبر والتذكر ومحاولة استرجاع الصورة المحفوظة في العقول، هو في حق من فسدت فطرته لإقامة الحجة عليه وليحصل الإيمان، و في حق أصحاب الفطر السليمة ليحصل أعلى درجات اليقين وزيادة الإيمان.

٣. و مراده أن النظر والاستدلال الذي معناه التدبر و التفكر والتذكر، إنما يكون فيما للعقل إليه سبيل، من دلالات الآفاق والنفس، وليس بالطرق الفلسفية والبراهين المنطقية التي لا تستوعبها كثير من العقول، و هي تخالف الكتاب والسنة، كحدوث الأجسام، ودليل الإمكان، ومع ذلك فقد استدل بها النيسابوري على معرفة الله وجعلها تجري مجرى المنبهات لمن فسدت فطرته.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٦٢٠).

فمما يدل على ما سبق ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢: " وفي الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال أعني التدبر فيما إليه سبيل " [١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾الأعراف: ١٨٥: "أي في مدلولاتهما. والملكوت الملك العظيم، وفي إنكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل إليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والأرض على وجود الصانع" [٢].

فهذا صريح بأن مراد النيسابوري بالنظر هو التدبر، وبالطرق الشرعية السهلة والتي هي في مقدور العبد " فيما إليه سبيل" .

وقال: " ثم إنه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية أرشدهم إليه ونبههم عليه بقوله ﴿ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ البقرة: ٢١ " [٣].

فبين أن النظر في دلالات النفس وغيرها هو بمثابة التنبيه والإرشاد لمن ضعفت فطرته.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤، " وإنما سمى الوعظ بالتذكير، لأن حسن هذا الدين مركوز في العقول ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ الروم: ٣٠، فكأن هذا العلم كان حاصلا في نفسه بالقوّة ثم زال عنها بالعوائق والغواشي" [٤].

فقد صرح هنا أن المراد بالنظر في الآيات هو التذكر وهو محاولة استرجاع واستحضار للفطرة المركوزة في النفوس، والتي غابت أو تغيرت بما طرأ عليها من مؤثرات خارجية سلبية.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٥٦).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٣٥٦).

(٣) نفس المصدر (١/ ١٨٠).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٨٥).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الفتح: ٤: " أي يقينا مع يقينهم، أو إيمانا بالشرائع مع إيمانهم بالله ... أو ازدادوا إيمانا استدلاليا مع إيمانهم الفطري. وعلى هذا ففائدة قوله: ﴿مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ ، أن الفطرة تشهد بالإيمان، فلما عرفوا صحة الإيمان بالنظر والاستدلال انضم هذا الثاني إلى الأول" [(١)].

فهنا يبين أن المقصود بالنظر والاستدلال هو زيادة الإيمان، وأن النظر بمثابة التنبيه والتأكيد وتعضيد للفطرة المركوزة أصلا في النفوس.

فوجوب النظر بمعنى التدبر والتأمل، أو التذكر والتفكر، في ملكوت السماوات والأرض، ودلالات النفس، لحصول أعلى درجات اليقين وزيادة الإيمان، أو لإقامة الحجة وحصول الإيمان على من انحرفت فطرته، مع الإقرار بوجود الإيمان الفطري، لا إشكال فيه، وإنما الإشكال جعل النظر واجبا بمعنى أنه لا سبيل إلى معرفة الله إلا به، وإنكار المعرفة الفطرية، فإن هذا يخالف الكتاب والسنة والعقل كذلك.

والإشكال كذلك في الاستدلال بالطرق الفلسفية والبراهين المنطقية البدعية، كحدوث الأجسام، التي لم يدع إلها النبي ولا الصحابة، فهي تخالف الكتاب والسنة من هذه الجهة، ومن جهة أنها تشتمل على مقدمات باطلة وفاسدة ، كنفي الصفات وغيرها.

وبناء عليه يترجح أن رأي النيسابوري في مسألة وجود الله ومعرفته وتوحيده مضطرب، فهو يرى أن معرفة الله أمر فطري ضروري، ومع ذلك يقول بوجوب النظر والاستدلال، وهو إن بين أنه يعني بذلك التدبر فيما إليه سبيل، وأنكر الاستدلال بالطرق الفلسفية والبراهين المنطقية ،ك: دليل الحدوث، ودليل الإمكان إلا أنه استدل بها لإثبات وجود الله، كما سيتبين.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٤٥).

رابعا/ استدلال النيسابوري على إثبات وجود الله

استدل النيسابوري لإثبات جود الله ومعرفته بعدة أدلة، وكان تركيزه منصبا على دلالات الأنفس والآفاق، فقلما تمر آية فيها شيئ من هاتين الدلالتين إلا ويقف عندها، ويشير إلى وجه دلالتها إلى معرفة الله، ويحدد نوعها نفسية أو آفاقية.

ويرى كذلك أن من الأدلة التي يمكن أن يستدل بها لوجود الله ومعرفته، وهي تجري مجرى المنبهات: حدوث الأجسام، ودليل الإمكان.

فالأدلة التي استدل بها على معرفة الله، هي:

الدليل الأول: دلالة الأنفس والآفاق:

بين النيسابوري المراد بدلالة الأنفس فقال: " والآيات النفسية هي التي أودعها في تركيب الإنسان وفي ربط روحه العلوي ببدنه السفلي كقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الذاريات: ٢١" [١].

ثم بين رحمه الله أهمية هذا الدلالة، وأنها من أظهر الدلالات وأوضحها، ولذلك فهي مقدمة على غيرها، فيقول: " واعلم أن دليل الأنفس مقدم على دليل الآفاق، لأن الإنسان قلما يذهل عن نفسه، وأن نفسه أقرب الأشياء إليه، نظير الآية قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ آل عمران: ١٩١، أي: يعرفون الله بدلائل الأنفس في سائر الأحوال، ويتفكرون في خلق السموات والأرض بدلائل الآفاق[٢].

وقال أيضا: " فالنفسية أولى بالإيقان لأنه لا شيء أقرب إلى الإنسان من نفسه" [٣].

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٦٤).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤٠٣).

(٣) نفس المصدر (٦/ ١١١).

ومن النماذج على استدلاله بهذا النوع من الدلالات قوله: " ثم ذكر دليلا آخر على إثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ الأنعام: ٢، أي: من آدم لأنه مخلوق من الطين، أو خلقكم من النطفة المتولدة من الأغذية المنتهية إلى العناصر، ولا ريب أن خلق الأغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الأجزاء، ثم توليد النطفة المتشابهة الأجزاء من تلك الأغذية المختلفة، ثم تخليق الأعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل، كالقلب والدماغ والكبد والعظام والغضاريف والرباطات والأوتار وغيرها من المادة المتشابهة، لا يمكن إلا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم" [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ الأنعام: ٩٨: "أي: خلقكم بطريق النشؤ والنماء مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هي آدم، وحوّاء مخلوقة من ضلع من أضلاعه".

إلى أن قال: " وحاصل الكلام أن الإنسان خلق من نفس واحدة، ثم إنه يتقلب في الأطوار ويتردد في الأحوال، وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية، وإلا لتساوى الكل في الأخلاق والأمزجة، فذلك إذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ الروم: ٥٤: " ثم أعاد من دلائل التوحيد دليلا آخر من الأنفس، وهو خلق الآدمي، وذكر أحواله وأطواره وتقلبه من ضعف الطفولية إلى قوة الشباب والكهولة، ومنها إلى ضعف الهرم. وفي قوله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ ، إشارة إلى أن أساس أمر الإنسان الضعف، كقوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾الأنبياء: ٣٧، وقيل: من ضعف أي من نطفة. وهذا الترديد في الأطوار المختلفة أظهر دليل على وجود الصانع العليم القدير" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٨).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٢٧).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤١٩).

واستدل بخلق أعضاء الإنسان وأحجامها وأماكن وجودها في جسم الإنسان على وجود الخالق المدبر، فقال: " فعلمنا أن حدوث هذه الأعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وإنما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه ... فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الأسفل، والجزء الذين هو مادة القلب قد يحصل في الفوق، فلا يكون حدوث أعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا أكثريا، وحيث كان كذلك علمنا أن حدوثها بإحداث مدبر مختار " (١).

كما بين النيسابوري المراد بدلالة الآفاق وأهمية هذا النوع من الدلالات فقال: " وعند المحققين، الآيات الآفاقية: هي الخارجة عن حقيقة الإنسان وبدنه، كالأفلاك والكواكب والظلم والأنوار والعناصر والمواليد سواه. ولا ريب أن العجائب المودعة في هذه الأشياء مما لا نهاية لها، وإنما يوقف عليها حينا بعد حين. وقد أكثر الله تعالى من تقرير تلك الدلائل في القرآن، بعضها في السور المكيات وكثير منها في المدنيات" (٢).

وقال: " والخارجية بعضها فلكية وبعضها آثار علوية، فالفلكية لبعدها عن الإنسان اكتفى فيها بمجرد التصديق، وأما الآثار العلوية فكانت أولى بالنظر والاستدلال لقربها وللإحساس بها، فلا جرم خصت بالتعقل والتدبر" (٣).

وقال أيضا: " بل الفكر يتصور دليل الأنفس أولا، ثم يرتقي إلى دليل الآفاق، فظهر أن كل آية وردت على ما اقتضته الحكمة والبلاغة. وحين ذكر دليل النفس الذي لا يقع الذهول عنه إلا ندرة، ارتقى إلى دليل السموات والأرض الذي يقع الذهول عنه في كثير من الأحوال، لكنه لا يحتاج إلا إلى التفات ذهني، ثم أتبعه دليل الآفاق الذي يتوقف على السير والتحول ليقفوا على أمر أمثالهم وحكاية أشكالهم" (٤).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٤٣).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٦٤).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١١١).

(٤) نفس المصدر (٥/ ٤٠٣ - ٤٠٤).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ البقرة: ١٦٤: " وكون الليل والنهار في أنفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر، وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الأعظم، وكذا من جهة انتظام أحوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الأيام والنوم والراحة في الليالي. ومن الغرائب تعاون المتنافيين على أمر واحد هو إصلاح معاش الحيوان، وأن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولا عند النفخة الأولى، ويقظتهم عند طلوع الفجر تضاهي عود الحياة إليهم في النفخة الثانية، وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من أعجب الأشياء، كأنه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان. وكل هذه الأمور دلائل على وجود مبدع عظيم الشأن غني عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات الحدوث والإمكان" (١).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ البقرة: ١٦٤: " ولا ريب أن في إنزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته، حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة، وصيره سببا للأرزاق، وأنزله بعد قنوط الناس منه، وشدة احتياجهم إليه، وأودع في نزوله حياة الأرض، أي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج أصناف النبات وضروب الأعشاب وألوان الأزهار وأنواع الأشجار والأثمار، وجريان الجداول بينها والأنهار، بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين" (٢).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ الأنعام: ٩٥: " أي بالنبات والشجر. وهاهنا عجائب:

... **ومنها:** أنك إذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الإنسان، ولا يزال يستدق حتى يخرج عن إدراك الحس، ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق أصغر من الأول، فكأنه سبحانه أوجد ذلك لتقوى به الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجاري الضيقة.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤٥٥ - ٤٥٦).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤٥٨).

فإذا وقفت على عناية الخالق في إيجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن **عنايته في إيجاد جملة تلك الشجرة** أكثر، وعلمت أن **عنايته بتخليق الحيوان** الذي خلق النبات لأجله يكون أكمل، وكذا **عنايته بحال الإنسان** الذي خلق لأجله النبات والحيوان، ويصير ذلك مرقاة لك إلى **وجود الصانع الخبير الحكيم القدير**" [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ الرعد:٤: " أي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة إلى سبخة، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على خلافها، وفي هذا دلالة ظاهرة على أنها بجعل فاعل مختار موقع لأفعاله على حسب إرادته، وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الطباع متخالفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد، فدل ذلك على أن هذه الاختلافات لا تستند إلى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢ : " والحاصل أنه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل – أي من دلائل وجود الخالق القادر –: اثنين من الأنفس وهما: خلقهم وخلق أصولهم، وثلاثة من الآفاق: جعل الأرض فراشا، والسماء بناء، والأمور الحاصلة من مجموعهما: وهي إنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات بسببه... وأيضا كل ما في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع، فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل، ولما كانت وجوه الدلالة فيه أتم كان تقديمه في الذكر أهم" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٢٤ - ١٢٥).

(٢) نفس المصدر (٤/ ١٣٨- ١٣٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٨٢).

الخلاصة:

الاستدلال بخلق الإنسان وأطواره لإثبات وجود الله مسلك صحيح دل عليه القرآن.

قال شيخ الإسلام: " فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقليّة صحيحة. وهي شرعيّة؛ دلّ القرآن عليها، وهدى النّاس إليها، وبيّنها وأرشد إليها. وهي عقليّة؛ فإنّ نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثمّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول أو لم يُخبر. لكنّ الرسول أمر أن يُستدلّ به، ودلّ به، وبيّنه، واحتجّ به؛ فهو دليل شرعيّ؛ لأنّ الشارع استدلّ به، وأمر أن يُستدلّ به؛ وهو عقليّ؛ لأنّه بالعقل تُعلم صحته" [(١)].

كما أن الاستدلال بدلالة الآفاق على وجود الرب، كخلق السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، واختلاف الليل والنهار، ونزول المطر، وكذلك خلق الحيوانات والنباتات، بالتدبر والتأمل هو مسلك صحيح أيضا دل عليه القرآن.

لأنه يستحيل أن توجد صدفة، فكل حادث لا بد له من محدث، فلا بد من وجود خالق لها، ومدبر لهذا الكون، وهو الله.

قال شيخ الإسلام: " وكذلك غيره من الأدلة التي في القرآن؛ مثل الاستدلال بالسحاب والمطر؛ هو مذكور في القرآن في غير موضع، وهو عقليّ شرعيّ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ السجدة: ٢٧؛ فهذا مرئيّ بالعيون. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣، ثمّ قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣، فالآيات التي يُريها الناس، حتى يعلموا أنّ القرآن حق، هي آيات عقليّة؛ يستدلّ بها العقل على أنّ القرآن حقّ، وهي شرعيّة؛ دلّ الشرع عليها، وأمر بها " [(٢)].

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٢ - ٢٩٣) .

(٢) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٣) .

وقال ابن القيم بعد بيانه أن المعجزة طريق صحيح لإثبات الصانع: " وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله، وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التي أرشد إليها عباده ودلهم بها، كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب، والحوادث التي في الجو وفي الأرض، وأحوال المعلومات من السماء والشمس والقمر والنجوم، وأحوال النطفة وتقلبها طبقا بعد طبق حتى صارت إنسانا سميعا بصيرا حيا ... فكل طريق من هذه الطرق أصح وأقرب وأسهل وأوصل من طرق المتكلمين" [(١)].

وقال الشيخ السعدي: " كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.

فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه" [(٢)].

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٨).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩).

الدليل الثاني: دلالة المعجزة:

استدل النيسابوري في تفسيره بالمعجزة على وجود الله، ومن ذلك قوله: " ولما كان ظهور المعجزة على وفق الدعوى دالا على وجود الإله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ١٠٥، أي بمعجزة قاهرة باهرة منه"[(١)].

وقال: " ثم إن فرعون لما طالب موسى عليه السلام بإقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته، قلب العصا ثعبانا، وأظهر اليد البيضاء، وذلك قوله سبحانه: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٧ - ١٠٨، ومعنى كون الثعبان مبينا أن أمره ظاهر لا يشك في أنه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات، وإنما هو من قبيل المعجزات" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾البقرة: ٦٠: " بقي في الآية بحث، وهو أنه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير؟ والجواب أما على القول بالفاعل المختار فظاهر فإن له أن يحدث أيّ فعل خارق شاء من غير أن يطلب له سبب وواسطة" [(٣)].

الخلاصة:

استدلال النيسابوري بالمعجزة على وجود الباري مسلك شرعي صحيح، من جهة أن الله اصطفى أنبياءه ورسله للتبليغ عنه، ثم نصرهم وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وصدقهم يتضمن إثبات من أرسلهم.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٩٦).
(٢) نفس المصدر (٣/ ٢٩٧).
(٣) نفس المصدر (٣/ ٢٩٩).

ومن جهة أن هذه المعجزات تدل على صحة ما أخبروا به ويدعون إليه، ومن أهم ما أخبر به الرسل ودعوا إليه هو توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته، المستلزمة لوجوده سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام: " المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله، لأنه دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها، وأنه أحدثها لتصديق الرسول، وإن لم يكن قبل ذلك قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع.

ثم قال بعد ذكر قصة موسى وفرعون مع السحرة: فكان إيمانهم بالله لما شاهدوا معجزة موسى ﷺ، فكانت المعجزة مبينة للعلم بالصانع وبصدق رسوله. وذلك أن الآيات التي يستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم.

إلى أن قال: وبالجملة فانقلاب العصا حية أمر يدل على ثبوت صانع قدير عليم حكيم، أعظم من دلالة ما أعيد من خلق الإنسان من نطفة، فإذا كان ذاك يدل بنفسه على إثبات الصانع، فهذا أولى... والمقصود التنبيه على أن المعجزات قد يعلم بها ثبوت الصانع وصدق رسوله معاً" [(١)].

وقال ابن القيم: " وهذه الطريق – دلالة المعجزة – من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به، ثم يعود عصا كما كانت، من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد، فكل قواعد الدين في هذه العصا" [(٢)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٤١ – ٤٤).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٧).

الدليل الثالث: دليل الحدوث:

استدل النيسابوري بحدوث الشيء على وجود محدثه، وسلك في ذلك مسلك المتكلمين، حيث قال: " واعلم أن الطريق إلى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع إلى النفس والتنبه لسمة العبودية، إما الإمكان أو الحدوث أو مجموعهما، وكل منهما في الجواهر أو في الأعراض أما الاستدلال بإمكان الذوات فإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾محمد: ٣٨، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٤٢، وأما الاستدلال بإمكان الصفات فإليه الإشارة بقوله: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ العنكبوت: ٤٤، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ البقرة: ٢٢، وبحدوث الأجسام قول إبراهيم عليه السلام ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ الأنعام: ٧٦، وبحدوث الأعراض دلائل الأنفس ودلائل الآفاق، فإن كل أحد يعلم بالضرورة أنه كان معدوما قبل ذلك، والموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا الأبوان ولا سائر الناس لعجز الكل، ولا طبائع الفصول والأفلاك الآفلات في أفق الإمكان فهو شيء غير متسم بسمة الحدوث والنقصان، وهذا الطريق هو أقرب الطرق إلى الأفهام، فلهذا أورده الله تعالى في فاتحة كتابه لينتفع به الخاص والعام" [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾البقرة: ١٦٣: " ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق، لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله إياه، وهذه الجهة التي صيرته آية. إلى أن قال: " فكل واحدة منها من حيث إنها موجودة فدل على وجود موجدها، وكونه قادرا" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ الأنعام: ٧٦ : " جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الإراءة فثبت أنه استدل بتغير الأجرام وإمكانها وحدوثها على وجود الإله الواجب الحكيم" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٨٠ - ١٨١).

(٢) نفس المصدر (١/ ٤٥٣).

(٣) نفس المصدر (٣/ ١٠٤).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ... وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبأ: ٦ – ١٤: " واعلم أن هذه التسعة نظرا إلى حدوثها وإمكانها تدل على الفاعل المختار"[(١)].

الخلاصة:

استدلال النيسابوري بحدوث الشيء على وجود محدثه، مخالف لما عليه أهل السنة، وموافق لما عليه المتكلمون.

فطريقة المتكلمين لإثبات وجود الخالق هو إثباته بحدوث الأجسام، وأثبتوا حدوث الأجسام بأنّها مستلزمة للأعراض لا تنفكّ عنها. قالوا: وما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث؛ لامتناع حوادث لا أول لها.

فإثبات الخالق بهذا الدليل وبهذه المقدمات باطل من جهتين، من جهة أنه دليل بدعي لم يدع إليه النبي ولا الصحابة، ولا ورد في القرآن أو السنة، فهو مخالف للكتاب والسنة.

ومن جهة ما يترتب على المقدمات التي وضعوها من نتائج باطلة وفاسدة كنفي الصفات عن الله تبارك وتعالى، وغيرها من النتائج الباطلة.

بينما أهل السنة يختصرون الدليل فيستدلون بحدوث الأعيان والأجسام والمحدثات على وجود محدثها، وهو الله الخالق.

قال شيخ الإسلام: " كما أن طريقة الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع الخالق هي طريقة فطرية ضرورية، وهي خيار ما عندهم – أي المتكلمون –، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد، الذي آتاهم الله الهدى والسداد " [(٢)].

وقال: " لكن المتكلمون من الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم من الأشعرية ... ونحوهم، سلكوا في ذلك الاستدلال بأن ذلك لا يخلو عن الأعراض الحادثة، وما لا يخلو عن الحوادث

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٣١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٨٧).

فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها، فلزم بذلك أن الأول لم يزل غير متكلم بمشيئته وقدرته، ولا فاعل لشيء، بل ولا كان يمكنه أن يكون متكلماً إذا شاء، فعالاً لما يشاء، بل هذا ممتنع، فلا يكون مقدوراً، فيلزم أنه صار قادراً بعد أن لم يكن، وفاعلاً، بل ومتكلماً بمشيئته بعد أن لم يكن، وأن الفعل صار ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، من غير تجدد شيء أوجب انقلابه من الامتناع إلى الإمكان، إلى غير ذلك من اللوازم" [1].

وقال أيضا: " طريق حدوث الأجسام مبنية علي امتناع دوام كون الرب فاعلاً، وامتناع كونه لم يزل متكلماً بمشيئته، بل حقيقتها مبنية علي امتناع كونه لم يزل قادراً على هذا وهذا، ومعلوم أن أكثر العقلاء من المسلمين وغير المسلمين ينازعون في هذا، ويقولون: هذا قول باطل" [2].

وقال: " فإذا كانت هذه الطرق فاسدة عند جمهور العقلاء، بل فاسدة في نفس الأمر، امتنع أن يكون العلم بالصانع موقوفاً على طريق فاسدة، ولو قدر صحتها علم أن أكثر العقلاء عرفوا الله وصدقوا رسوله بغير هذه الطريق، فلم يبق العلم بالسمع موقوفاً علي صحتها، فلا يكون القدح فيها قدحاً في أصل السمع" [3].

وقال: " قد علم بالاضطرار من دين الرسول والنقل المتواتر أنه دعا الخلق إلي الإيمان بالله ورسوله، ولم يدع الناس بهذه الطريق التي قلتم إنكم أثبتم بها حدوث العالم ونفي كونه جسماً، وآمن بالرسول من آمن به من المهاجرين والأنصار، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ولم يدع أحداً منهم بهذه الطريق، ولا ذكرها أحد منهم، ولا ذكرت في القرآن ولا حديث الرسول، ولا دعا بها أحد من الصحابة" [4].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١٧٣).
(٢) نفس المصدر (١/ ٩٨).
(٣) نفس المصدر (١/ ٩٩).
(٤) نفس المصدر (١/ ٩٧).

الدليل الرابع: دليل الإمكان:

استدل النيسابوري بدليل الإمكان على وجود الواجب، وسلك فيه مسلك المتكلمين، حيث قال: " واعلم أن الطريق إلى معرفة الواجب سبحانه وتعالى بعد ما قلنا من الرجوع إلى النفس والتنبه لسمة العبودية، إما الإمكان أو الحدوث أو مجموعهما، وكل منهما في الجواهر أو في الأعراض، أما الاستدلال بإمكان الذوات فإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ محمد: ٣٨، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٤٢، وأما الاستدلال بإمكان الصفات فإليه الإشارة بقوله: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ العنكبوت: ٤٤، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ البقرة: ٢١ – ٢٢" [(١)].

واستدل به كذلك في معرض بيانه للأدلة التي تجري مجرى المنبهات للفطرة المقتضية للإقرار بوجود الله ومعرفته وتوحيده، حيث قال: " وجه ثان: الموجود في الخارج إما واجب أو ممكن، وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها، لأنها إن كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب، وإلا فممكن.

فنقول: إن كانت القسمة قسمة تنويع حتى يكون المعنى أن الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب.

وإن كانت القسمة قسمة انفصال، ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط. أما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج، ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة، وأما أنها ليست بمانعة الجمع فلأن الممكن موجود بالضرورة، ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة، وإلا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على إثبات الواجب، بل يستدلون منه على نفيه.

وإذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود، والممكن موجود بالضرورة مع أنه مفتقر في وجوده إلى مؤثر موجود، فَلأَن يكون الواجب موجودا يكون أولى بالضرورة، لاستغنائه

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٨٠ – ١٨١).

عن المؤثر وكون ذاته كافية في إيجاب الوجود له، وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تأمل في مفهوم واجب الوجود، إذ لا معنى لوجوب الوجود إلا أنه وجود يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه، ولهذا قال المحققون: إن الوجود يقع على الواجب، وعلى الممكن بالتشكيك، بمعنى أنه في الواجب أولى وأولى منه في الممكن" [(١)].

الخلاصة:

استدلال النيسابوري بالممكن على وجود الواجب مخالف لما عليه السلف، وموافق لما عليه المتكلمون، فالمتكلمون يستدلون على وجود الواجب بوجود الممكنات، ويستدلون على وجود الممكنات بحدوثها.

فإثبات الخالق بدليل الإمكان على طريقة المتكلمين باطل من وجوه: فمن جهة أولى: أنه دليل بدعي لم يدع إليه النبي ولا الصحابة، ولا ورد في القرآن أو السنة، فهو مخالف للكتاب والسنة.

ومن جهة ثانية: ما يترتب على المقدمات التي وضعوها من نتائج باطلة وفاسدة كنفي الصفات عن الله تبارك وتعالى، وغيرها من النتائج الباطلة.

ومن حهة ثالثة أن نتيجة هذا الدليل هو إثبات وجود واجب مجرد، ليس له حقيقة وراء الوجود، فليس فيه إثبات خالق مبدع للمخلوقات.

بينما أهل السنة يختصرون الدليل فيستدلون على وجود الواجب بحدوث الممكنات مباشرة، دون الحاجة لإثبات حدوثها.

قال شيخ الإسلام: " فإن هذه الطريقة – طريقة الإمكان - وإن كانت صحيحة بلا ريب، لكن نتيجتها إثبات وجود واجب، وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين، ولا هو من المطالب العالية، ولا فيه إثبات الخالق ولا إثبات وجود واجب أبدع السموات والأرض".

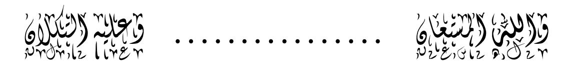
(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ١٧٦).

إلى أن قال: " إنه يمكن تقريرها — طريقة الإمكان - بما نشاهد من حدوث الحوادث، فإنا نشاهد من حدوث الحوادث: حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وهذه الحوادث ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجوبها، ووجودها ينفي امتناعها، وهذا دليل قاطع واضح بيّن على ثبوت الممكنات.

لكن من سلك هذا الطريق — أي من السلف– لم يحتج إلى أن يثبت إمكانها بحدوثها، ثم يستدل بإمكانها على الواجب، بل نفس حدوثها دليل على إثبات المحدث لها، فإن العلم بأن المحدث لا بد له من محدث أبين من العلم بأن الممكن لا بد له من واجب، فتكون تلك الطريق أبين وأقصر، وهذه أخفى وأطول، من حيث يستدل بالحدوث على الإمكان ثم بالإمكان على الواجب" [(١)].

وقال رحمه الله: " وأما القول بإمكان الأجسام فهو **مبني علي** أن الموصوف ممكن، بناء على أن المركب ممكن، **وعلى نفي الصفات**، وهي طريقة أحدثها ابن سينا وأمثاله، وركبها من مذهب سلفهم ومذهب الجهمية، وهي أضعف من التي قبلها من وجوه كثيرة.

وطريقة إمكان صفات الأجسام مبنية على تماثل الأجسام، وأكثر العقلاء يخالفون في ذلك، وفضلاؤهم معترفون بفساد ذلك ... فإذا كانت هذه الطرق فاسدة عند جمهور العقلاء، بل فاسدة في نفس الأمر، امتنع أن يكون العلم بالصانع موقوفاً على طريق فاسدة، ولو قدر صحتها علم أن أكثر العقلاء عرفوا الله وصدقوا رسوله بغير هذه الطريق" [(٢)].



(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٥٠– ٥١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٩٨– ٩٩).

الفصل الثالث

توحيد الربوبية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: رأي النيسابوري في معنى الربوبية.

المبحث الثاني: طريقة النيسابوري في إثبات وحدانية الله في ربوبيته.

المبحث الأول:

رأي النيسابوري في معنى الربوبية

قال النيسابوري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤: " وهاهنا مسائل ذكرها العلماء: ... الثانية: لا خالق إلا هو، لأن قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ ﴾، بتقديم الخبر يفيد الحصر".

وقال: " أوّل الآية دل على أنه تعالى هو الخالق لكل العبيد، وإذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم، وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن، ويحسن منه تعالى أن يأمر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا" [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٠١: " فتبين أن إله العالم فرد واحد صمد، منزه عن الشريك والنظير والأضداد والأنداد والأولاد" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ المؤمون: ٧٩: " أي هو مختص بتصريفهما وأنهما يشبهان الموت والحياة" [(٣)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨: " واعلم أن هذه الآية دالة على أمور منها: الدلالة على أنه لا قدرة على الإحياء والإماتة إلا الله" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٥٤ - ٢٥٦).

(٢) نفس المصدر (٣/ ١٣٦).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ١٣٠).

(٤) نفس المصدر (١/ ٢٠٩).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ الأنعام: ٩٨: " وحاصل الكلام أن الإنسان خلق من نفس واحدة ثم إنه يتقلب في الأطوار ويتردد في الأحوال، وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية وإلا لتساوى الكل في الأخلاق والأمزجة فذلك إذن **بتدبير** فاعل قدير مختار خبير" [(١)].

ويرى النيسابوري أن هذا النوع من التوحيد لم يعارض فيه المشركون، ولم يقع فيه نزاع، وإنما النزاع في اتخاذ معبود سوى الله، حيث قال: " واعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة، ولكن الثنوية يثبتون إلهين: حكيم يفعل الخير، وسفيه يفعل الشر. أما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين إليه كثرة: الفريق الأول: عبدة الكواكب وهم الصابئة[(٢)] فإنهم يقولون: إن الله تعالى خلق هذه الكواكب وهي المدبرات في هذا العلم، فيجب علينا أن نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى. والفريق الثاني: عبدة المسيح عليه السلام. والفريق الثالث: عبدة الأوثان " [(٣)].

الخلاصة:

النيسابوري يرى أن توحيد الربوبية يدور في ثلاثة محاور، وهي: الخلق والملك والتدبير. كما يرى أن النزاع بين الأنبياء وأقوامهم إنما وقع في توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فلم يقع فيه نزاع.

وهذا كله متوافق مع مذهب أهل السنة الجماعة، فالربوبية: هي إفراد الله بالخلق والملك والتدبير[(٤)]. فهي تدور على هذه المحاور الثلاثة، والدلالات الباقية ترجع إليها.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٢٧).

(٢) الصابئة: منهم المشركون من عبدة الملائكة، والكواكب، والأصنام، ومنهم المؤمنون بالله واليوم الآخر. انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٥- ٣٦)، مجموع الفتاوى (٤/ ١٣٢)، و(٥/ ٢١).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٨٨).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٩).

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: " توحيد الربوبية والملك: " هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك" [(١)].

وقال الشيخ حافظ حكمي[(٢)]: " تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخالق الرازق المحيي الْمُمِيتُ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ المتصرف في كل مَخْلُوقَاتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ"[(٣)].

وقال شيخ الإسلام: " الرَّبَّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ" [(٤)].

وجماع ذلك أن يقال: " توحيد الربوبية هو: توحيد الله بأفعاله، والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير.

فهو الذي يُحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرعّ الشّرائع، ليُحق الحقّ بكلماته، ويُقيم العدل بين عباده شرعًا وقدرًا إلى غير ذلك مما لا يُحصيه العد، ولا تُحيط به العبارة" [(٥)].

وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة، وقام عليه دليل السمع والعقل، فلم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الأنبياء والرسل ولم ينكروه، بل كانوا مقرين به، ولم يعرف عن طائفة بعينها القول بوجود خالقين متكافئين في الصفات والأفعال.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧).

(٢) هو العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ولد في: ١٣٤٢هـ، وتوفي في: ١٣٧٧هـ، من مؤلفاته: سلم الوصول، وشرحه في كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول، وهما في التوحيد. انظر معارج القبول: ١/ ١١ – ٢٦.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٥٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٩٢).

(٥) مذكرة التوحيد (ص: ٢٧ – ٢٨).

قال ابن أبي العز[١]: " تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: هُوَ الْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ الْغَايَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، بَلِ الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهَا مَفْطُورَةً عَلَى الْإِقْرَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ" [٢].

وما أنكره من أنكره من المشركين إلا مكابرة منهم مع الإقرار في قرارة أنفسهم بوجوده ﷻ، كما حصل من فرعون فإنه أنكر وجود الرب الخالق وادعى ذلك لنفسه، وهذا منه تعطيل لربوبية الله تبارك تعالى.

وأنكر توحيد الربوبية على سبيل التشريك الثنوية [٣] من المجوس[٤] والمانوية [٥]، حيث قالوا: إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور، ومع ذلك لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين.

وكذلك النصارى القائلون بالتثليث لم يدعوا إثبات خالقين متكافئين في الصفات والأفعال[٦].

---

(١) عَليّ بن عَليّ بن مُحَمَّد بن أبي الْعِزّ الْحَنَفِيّ قَاضِي الْقُضَاة بِدِمَشْق ثمَّ بالديار المصرية ثمَّ بِدِمَشْق، مولده في: ٧٣١هـ، ووفاته في: ٧٩٢هـ، من مصنفاته: التنبيه على مشكلات الهداية، في الفقه، والنور اللامع فيما يعمل به في الجامع " أي جامع بني أمية"، وشرح العقيدة الطحاوية. انظر: الدرر الكامنة (٤/ ١٠٣)، الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٧٩).

(٣) الثنوية: هم القائلون بإلهين اثنين النور والظلمة وأنهما أزليان قديمان. الملل والنحل، ٢/ ٢٦٨.

(٤) المجوس: هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، أحدهما النور، والثاني الظلمة، إلا أن المجوس الأصلية زعموا أنهما ليسا قديمين أزليين، وإنما النور أزلي، والظلمة محدثة. انظر: الملل والنحل ٢/٢٦١.

(٥)المانوية: أصحاب ماني بن فاتك، الذي زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم. الملل والنحل ٢/ ٢٦٨.

(٦) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ١١- ١٣).

المبحث الثاني:

طريقة النيسابوري في إثبات وحدانية اللّه في ربوبيته

استدل النيسابوري على وحدانية الله، وأنه ﷻ منفرد بالخلق والملك والتدبير، بعدة أدلة عقلية بعد استدلاله بنصوص الكتاب كما تبين في المبحث السابق، وهذه الأدلة العقلية هي:

أولا/ إبداع الخلق ودقة الصنع و عجائب التدبير والتصريف:

حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ البقرة: ١٦٤: " وكون الليل والنهار في أنفسهما آيتين على وجود الصانع ووحدانيته ظاهر، وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الأعظم، وكذا من جهة انتظام أحوال العباد بهما بسبب طلب المعاش في الأيام والنوم والراحة في الليالي. ومن الغرائب تعاون المتنافيين على أمر واحد هو إصلاح معاش الحيوان، وأن إقبال الخلق في أول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولا عند النفخة الأولى، ويقظتهم عند طلوع الفجر تضاهي عود الحياة إليهم في النفخة الثانية، وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من أعجب الأشياء كأنه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان. وكل هذه الأمور دلائل على وجود مبدع عظيم الشأن غني عن الزمان والمكان مبرأ عن سمات الحدوث والإمكان" (١).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ ﴾ البقرة: ١٦٤: " ولا ريب أن في إنزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته، حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة، وصيره سببا للأرزاق، وأنزله بعد قنوط الناس منه وشدة احتياجهم إليه، وأودع في نزوله حياة الأرض، أي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها، بخروج أصناف النبات، وضروب الأعشاب وألوان الأزهار وأنواع الأشجار والأثمار، وجريان الجداول بينها والأنهار، بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين" (٢).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤٥٥).

(٢) نفس المصدر (١ / ٤٥٨).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ الأنعام: ١٠١: " فتبين أن إله العالم فرد واحد صمد، منزه عن الشريك والنظير والأضداد والأنداد والأولاد، فلهذا صرح بالنتيجة فقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام: ١٠٢، فاسم الإشارة مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة، أي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله " [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ الأنعام: ١٦٤: "وتقريره أن طوائف المشركين من عبدة الأصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بأن الله تعالى خالق الكل، فكأنه سبحانه قال: قل يا محمد منكرا: أغير الله أطلب ربا مع أن هؤلاء الذين اتخذوا من دونه آلهة مقرون بأنه خالق تلك الأشياء، ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى.

وبوجه آخر الموجود إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، وقد ثبت أن الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته، فهو إذن رب كل شيء، وصريح العقل شاهد بأن المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص إذن بالربوبية غيره[(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ . وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴾ الأعلى: ٢ – ٤: " أي خلق الإنسان فجعله منتصب القامة في أحسن تقويم، أو خلق كل حيوان بل كل ممكن فجعله مستعدًّا للكمال اللائق بحاله. ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرَ ﴾ لكل مخلوق ما يصلح له فهداه إليه وعرّفه وجه الانتفاع به" .

إلى أن قال: " وقيل: دلهم بأفعاله على توحيده وكبريائه «ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد»، ومن جملة ذلك إخراج المرعى وهو الكلأ الأخضر" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٣٦).
(٢) نفس المصدر (٣ / ١٩٤).
(٣) نفس المصدر (٦/ ٤٨٣- ٤٨٤).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ . ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ الأنعام: ١٠١ – ١٠٢: " للعلماء في إثبات التوحيد طرق منها: أن الدليل قد دل على وجود صانع، والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته، فليس عدد أولي من عدد آخر، **فيلزم آلهة** لا نهاية لها، **أو القول** بعدد معين بلا ترجيح، و**كلاهما** محال، فلم يبق إلا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب" [(١)].

ثانيا: اتساق وانتظام أحوال الكون والخلق والعباد " دليل العناية":

حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ البقرة: ١٦٤: " فكل واحدة منها من حيث إنها موجودة فدل على وجود موجدها، وكونه قادرا، ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان تدل على علم الصانع، ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على إرادته واختياره، ومن حيث إنها وجدت على **الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى،** ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢ [(٢)].

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٣٦).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤٦٠).

ثالثا/ أن الوحدة من صفات الكمال:

وهو دليل كما يقول النيسابوري لم يسبق إليه أحد، وبين صورته أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، فقال: " واعلم أنا قد بينا دلائل التوحيد في مواضع من هذا الكتاب، ... ولنا في هذا المقام طريقة أخرى ما أظنها وطئت قبلي.

فأقول وبالله التوفيق:

إن الوحدة من صفات الكمال، وقد ركز ذلك في العقول، حتى إن كل عامل مهما تم له أمر بواحد لم يتعد فيه إلى اثنين، وإذا اضطر إلى الشركة والتعاون راعى فيه الأبسط فالأبسط، لا يزيد العدد إلا بقدر الافتقار، وعلى هذا مدار الأمور السياسية والمنزلية، هذا في المؤثر.

وأما في الأثر فلا ريب أنه استند إلى ما هو بسيط حقيقي لم يكن فيه إلا جهة واحدة افتقارية، وإذا استند إلى ما فوق ذلك كان فيه من الجهات الافتقارية بحسب ذلك، فيكون النقص تابعا لقلة جهات الافتقار وكثرتها، وكل مرتبة للممكنات تفرض من العقول والنفوس والأفلاك والعناصر والمواليد، فإن كان مبدأ تلك السلسلة الطويلة واحدا كانت الجهات الاعتبارية الافتقارية فيها أقل مما لو كان المبدأ أزيد من واحد.

وهذه قضية يقينية، إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إنه سبحانه أراد أن يدفع هذا النقص من الممكنات، و «لو» هذه بمعنى «أن»، والمراد: أن هذا النقص والفساد لازم لوجود آلهة غير الله، سواء كان الله من جملتهم أم لا، ولن يرضى العاقل بما فيه نقصه وفساده، فوجب أن لا يعتقد إلها غير الله، وهذه النتيجة هي المراد بقوله: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٢، من الأنداد والشركاء، فتكون هذه الآية نظيرة قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الزمر: ٢٩ [(١)].

واستدلالات النيسابوري بهذه الأمور الثلاثة على وحدانية الله صحيحة.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ١٤).

رابعا/ دليل التمانع:

يرى النيسابوري أن دليل التمانع يستدل به من عدة وجوه:

الوجه الأول: قال: " لو فرضنا إلهين وأراد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، فإن وقع مرادهما لزم اجتماع الضدين في محل واحد، وإن لم يقع مرادهما لزم عجزهما، وإن وقع مراد أحدهما دون الآخر فذلك الآخر عاجز لا يصلح للإلهية" (١).

الوجه الثاني: قال: " ومنها أنا لو قدّرنا إلهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات، فكل فعل يفعله أحدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره، وذلك يوجب أن يكون كل واحد يعجز الآخر وهو محال، وإن كان في أحدهما عجز ونقص لم يصلح للإلهية " (٢).

الوجه الثالث: قال: " ومنها أنا لو فرضنا إلها ثانيا فكان إما أن يكون الثاني مشاركا للأوّل في جميع صفات الكمال أو لا. وعلى الأول لا بد أن يحصل الامتياز بأمر وإلا لم يحصل التعدد، فذلك المميز إن كان من صفات الكمال لم يكن جميع صفات الكمال مشتركة بينهما، وإن كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للإلهية، وكذا إن لم يكن الثاني مشاركا للأوّل في جميع صفات الكمال " (٣).

الوجه الرابع: قال: " ومنهم من يقرر دليل التمانع على وجوه أخر منها: أنا لو قدرنا إلهين فهل يقدر كل واحد منهما على أن يمنع صاحبه عن مراده أم لا؟ فإن قلت: يقدر. كان كل منهما مقهورا للآخر، وإن قلت: لا يقدر، فقد ثبت عجز كل واحد منهما " (٤).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ١٢- ١٣).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٣٦).

(٣) نفس المصدر (٣ / ١٣٦) .

(٤) نفس المصدر (٥ / ١٣).

الوجه الخامس: قال: " ومنها أن أحدهما هل يقدر على أن يستر شيئا من أفعاله عن الآخر أو لا؟ فإن قدر فالمستور عنه جاهل عاجز، وإلا فالأول عاجز "[1].

فدليل التمانع استدل به النيسابوري بعدة وجوه وأكثر من صورة، وإن كان يرى ضعف الوجهين الأخيرين، حيث قال بعد ذكره أن البعض يقرر دليل التمانع بأمثال هذين الوجهين: "ولا يخفى ما في أمثال هذين الوجهين من الضعف، لأن عدم القدرة على المحال لا يسمى عجزا، ولهذا لا يمكن أن يقال: إنه تعالى عاجز عن خلق مثله، أو إنه إذا أوجد شيئا نفذت قدرته عن خلق ذلك الشيء وحصل له عجز"[2].

وقد استدل النيسابوري ببعض النصوص على دليل التمانع الدال على الوحدانية:

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٤٢، قال: " قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ، أي: كما يقول المشركون من إثبات آلهة من دونه أو كما تقولون أيها المشركون ... ولعل إذاً هاهنا ظرف لما دل عليه لَابْتَغَوْا أي لطلبوا إذ ذاك إلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم ببعض، ومثله ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢"[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ ، قال: " ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ ، أي: في السموات والأرض، وقد مر ذكرهما، ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، أي: غير الله ... والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر أمرهما آلهة غير الواحد الذي هو فاطرهما، ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾: وفيه دلالة على أمرين: الأول: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا، والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه، لقوله: غير الله، وإنما وجب الأمران لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملِكين، لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف".

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ١٤).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر (٤/ ٣٥٣).

ثم بين وجه حصول الفساد المترتب على اختلاف الآلهة المتعددة، فقال: " وفي الجواب طريقان: أحدهما: ... أن الملك عقيم ولا يجتمع فحلان على شول، والشول جماعة النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتي عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، فلا بد من وقوع التنازع والاختلاف وحدوث الهرج والمرج عند ذلك.

الطريق الثاني: ... أن اتفاق الإلهين على مقدور واحد محال لأن كلّا منهما مستقل بالتأثير، كاملٌ في القدرة، فإذا وقع المقدور بأحدهما، استحال أن يقع بالآخر مرة أخرى، على أنه لو أراد كل واحد منهما أن يوجده هو فهذا أيضا اختلاف.

ولو قيل: إنه يريد كل واحد منهما أن يكون الموجد له أحدهما لا بعينه فهذه إرادة مبهمة لا تصلح للتأثير، فلا بد من الاختلاف وقد عرفت حاله، ولزوم الفساد حينئذ ظاهر، لأن كل ما يصدر عن إلهين عاجزين، أو إله عاجز، لم يكن على الوجه الأصلح والنمط الأصوب، بل العاجز لا يصلح للإيجاد أصلا، فلا يوجد على ذلك التقدير شيء من الممكنات، وهو الفساد الكلي" [(١)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ المؤمنون: ٩١: قال: " ولو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق، لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذي خلقه واستبد به، لأن اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور، فإن ذلك يقتضي عجز الواحد عن ذلك الخلق، وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين. ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ ﴾، أي: لغلب بعضهم على بعض، كما ترون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب، وعدم اللازم يدل عدم الملزوم"[(٢)].

فالنيسابوري استدل بدليل التمانع لتقرير وحدانية الله، ويرى أن الآيات الثلاث فيها الدلالة على دليل التمانع، وأنها في إثبات وحدانية الله في ربوبيته.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ١٣).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ١٣٣).

نقد رأي النيسابوري في استدلاله بدليل التمانع:

استدلال النيسابوري بدليل التمانع على إثبات وحدانية الله صحيح في أصله، ومؤد للمطلوب في إثبات وحدانية الله، وامتناع صدور العالم عن اثنين، بل هو مقتضى الضرورة العقلية.

كما أن رأيه في الآيات الثلاث وأن فيها الدلالة على دليل التمانع، وأنها في إثبات وحدانية الله في ربوبيته صحيح أيضا.

فقد رد شيخ الإسلام على ابن رشد[١] والآمدي[٢] في طعنهما في دليل التمانع – بعد أن أثبت صحته – فقال: " بل الذي ذكره النظار عن المتكلمين، الذي سموه دليل التمانع، برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين وإن كان هذا هو توحيد الربوبية. والقرآن يبين توحيدي الإلهية وتوحيد الربوبية.

---

(١) هو ابْنُ رُشْدٍ الحَفِيْدُ الفَيْلَسُوْفُ، أَبُو الوَلِيْدِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي القَاسِمِ أَحْمَدَ، ابْنِ شَيْخِ المالِكِيَّةِ أَبِي الوَلِيْدِ مُحَمَّدِ، بنِ أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ رُشْدٍ الأندلسي القُرْطُبِيُّ، عالم، حكيم، مشارك في الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضية والالهية، ولد بقرطبة سنة: ٥٢٠هـ، وبها نشأ، وتوفي بمراكش في صفر، وقيل: في ربيع الاول سنة: ٥٩٥هـ، من مصنفاته: بدَايَة المجْتَهِد، فِي الفِقْه، وَتَهَافت التّهَافت، وَمناهج الأَدلَّة، في الأُصُوْل. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٧)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣١٨)، معجم المؤلفين (٨/ ٣١٣).

(٢) هو سيف الدّين، أبو الحسن، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، الآمدي، الحنبلي، ثم الشافعي، فقيه، أصولي، متكلم، منطقي، حكيم، أصله من مدينة: آمد، من ديار بكر، فولد بها في ٥٥١هـ، وأقام ببغداد، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مصر، ثم إلى حماة، ثم إلى دمشق، وبها توفي يوم الثلاثاء ٣ أو ٤ من صفر سنة ٦٣١هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون. من مصنفاته: أبكار الأفكار، في علم الكلام، واختصره في منائح القرائح، ومنتهى السول في علم الأصول، وطريقة في الخلاف، ومختصر في الخلاف، وشرح جدل الشريف، وغاية المرام في علم الكلام و لباب الألباب، ودقائق الحقائق. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٣– ٢٩٤)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٠٦ – ٣٠٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٣٣٢)، معجم المؤلفين (٧/ ١٥٥).

لكن المقصود هنا أن اعتراض هذا – أي ابن رشد- على دليل نظار المتكلمين هو اعتراض مشهور[1]، قد ذكره غيره، وظنوا أنه اعتراض قادح في الدلالة، كما ذكر ذلك الآمدي وغيره.

وحتى ظن بعض الناس أن التوحيد إنما يعرف بالسمع. وليس الأمر كما ظنه هؤلاء، بل هو برهان صحيح عقلي. كما قدره فحول النظار".

ثم أورد دليل التمانع فقال: " وذلك أن هؤلاء النظار قالوا: إذا قدر ربان متماثلان فإنه يجوز اختلافهما، فيريد أحدهما أن يفعل ضد مراد الآخر، وحينئذ: إما أن يحصل مراد أحدهما، أو كلاهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما. والأقسام الثلاثة باطلة، فيلزم انتفاء الملزوم.

أما الأول: فلأنه لو وجد مرادهما للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حياً ميتاً، متحركاً ساكناً، قادراً عاجزاً، إذا أراد أحدهما أحد الضدين وأراد الآخر الضد الآخر.

وأما الثاني: فلأنه إذا لم يحصل مراد واحد منهما، لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

---

(١) قال ابن رشد: " أما ما يتكلفه الأشعرية من الدليل ... الذي يسمونه دليل الممانعة، فشيء ليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية والشرعية، أما كونه ليس يجري مجرى الطبع فلأن ما يقولون في ذلك ليس برهانا، وأما كونه لا يجري مجرى الشرع، فلأن الجمهور لا يقدرون على فهم ما يقولون من ذلك، فضلا عن أن يقع لهم به إقناع.

وذلك أنهم قالوا: لو اثنين فأكثر لجاز أن يختلفا، وإذا اختلفا لم يخلُ ذلك من ثلاث أقسام لا رابع لها: إما أن يتم مرادهما جميعا، وإما ألا يتم مراد واحد منهما، وإما أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر.

قالوا ويستحيل ألا يتم مراد واحد منهما، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان العالم لا موجودا ولا معدوما، ويستحيل أن يتم مرادهما معا، لأنه كان يكون العالم موجودا معدوما، فلم يبق إلا أن يتم مراد الواحد ويبطل مراد الآخر، فالذي بطلت إرادته عاجز، والعاجز ليس بإله.

ووجه الضعف في هذا الدليل: أنه كما يجوز في العقل أن يختلفا، ... يجوز أن يتفقا وهو أليق بالآلهة من الخلاف، وإذا اتفقا على صناعة العالم كانا مثل صانعين اتفقا على صنع مصنوع، ... ولو اتفقا كانت تتعاون لورودهما على محل واحد". الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد، ص: ١٢٥ ت الجابري – و ص: ١٥٧، ت محمود قاسم.

وانظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: ١٥١ – ١٥٥).

وأيضاً فإذا كان المحل لا يخلو من أحدهما، لزم ارتفاع القسمين المتقابلين، كالحركة والسكون، والحياة والموت، فيما لا يخلو عن أحدهما.

وإن نفذ مراد أحدهما دون الآخر، كان النافذ مراده هو الرب القادر، والآخر عاجزاً ليس برب، فلا يكونان متماثلين" [(١)].

ثم بين أن الاحتمال الرابع غير قادح في دليل التمانع فقال: " فلما قيل لهم: هذا إنما يلزم إذا اختلفت إرادتهما، فيجوز اتفاق إرادتهما.

أجابوا بأنه إذا اتفقا في الآخرة امتنع أن يكون نفس ما فعله أحدهما نفس مفعول الآخر، فإن استقلال أحدهما بالفعل والمفعول، يمنع استقلال الآخر به، بل لا بد أن يكون مفعول هذا متميزاً عن مفعول هذا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ المؤمنون: ٩١، وهذا ممتنع، فإن العالم مرتبط بعضه ببعض ارتباطاً يوجب أن الفاعل هذا ليس هو مستغنياً عن فاعل الآخر، لا حتياج بعض أجزاء العالم إلى بعض.

وأيضاً فلا بد أن يعلو بعضهم على بعض، فإن ما ذكرناه من جواز تمانعهما، إنما هو مبني على جواز اختلاف إرادتهما، وذلك أمر لازم من لوازم كون كل منهما قادراً، فإنهما إذا كانا قادرين، لزم جواز اختلاف الإرادة.

وإن قدر أنه لا يجوز اختلاف الإرادة، بل يجب اتفاق الإرادة، كان ذلك أبلغ في دلالته على نفي قدرة كل واحد منهما، فإنه إذا لم يجز أن يريد أحدهما ويفعل إلا ما يريده لآخر ويفعله، لزم أن لا يكون واحد منهما قادراً، إلا إذا جعله الآخر قادراً، ولزم أن لا يقدر أحدهما إلا إذا لم يقدر الآخر.

وعلى التقديرين يلزم أن لا يكون واحد منهما قادراً، فإنه إذا لم يمكنه أن يريد ويفعل إلا ما يريده الآخر ويفعله، والآخر كذلك، وليس فوقهما أحد يجعلهما قادرين مريدين، لم يكن هذا قادراً مريداً، حتى يكون الآخر قادراً مريداً.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٥٤ – ٣٥٥)، وانظر: منهاج السنة: ٣/ ٣٠٦، شرح الأصفهانية ص: ١٢١.

وحينئذ فإن كان كل منهما جعل الآخر قادراً مريداً، كان هذا دوراً قبلياً، وهو دور في الفاعلين والعلل.

كما لو قيل: لا يوجد هذا حتى يوجده هذا، ولا يوجد هذا حتى يوجده الآخر، فإن هذا محال ممتنع في صريح العقل، ولم ينازع العقلاء في امتناع ذلك" .

إلى أن قال: " فتبين أنه يمتنع أن تكون قدرة كل منهما مستفادة من قدرة الآخر.

... فلزم أن صانع العالم لا بد أن يكون قادراً، قدرة لا يحتاج فيها إلى غيره، بل تكون من لوازم ذاته، وهذا حق" [(١)].

فشيخ الإسلام يثبت أن دليل التمانع في أصله برهان عقلي صحيح في إثبات توحيد الربوبية، ولا يؤثر أو يقدح فيه الاعتراض عليه باحتمال اتفاق إرادة الآلهة المتعددة.

وأما استدلال النيسابوري بالآيات الثلاث على وحدانية الله فصحيح أيضا، فقد استدل كثير من السلف بها على وحدانية الله ، قال الإمام البغوي[(٢)] في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ الإسراء: ٤٢: "سَبِيلًا، للمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه، كَفِعْلِ مُلُوكِ الدُّنْيَا بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَطَلَبُوا إِلَى ذِي العرش سبيلا، طريقا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. قَالَ قَتَادَةُ[(٣)]: لَعَرَفُوا الله بفضله وَابْتَغَوْا مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَيْهِ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ " [(٤)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٥٦ – ٣٥٧)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٠٥– ٣٠٦).

(٢) هو مُحْيِي السُّنَّة وركن الدين، العَلاَّمَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ، الحُسَيْن بن مَسْعُوْدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الفَرَّاء البَغَوِيّ، الشَّافِعِيّ، فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو، ولد سنة: ٤٣٦هـ، وتوفي بِمَرْو الرُّوذ، مدينَةٍ مِنْ مَدَائِن خُرَاسَانَ سنة: ٥١٦هـ، من مصنفاته: شرح السُّنَّةِ في الحديث، وَمَعَالِم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩)، شذرات الذهب (٦ / ٧٩)، الوافي بالوفيات (١٣ / ٤١)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٤٩)، التفسير والمفسرون (١ / ١٦٨) لأعلام للزركلي (٢/ ٢٥٩)، معجم المؤلفين (٤/ ٦١).

(٣) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس السدوسي البصري، ولد أكمه، روى عن أنس بن مالك وعبد الله بن سرجس وأبي الطفيل، مفسر حافظ ضرير أكمه، ولد سنة: ٦٠هـ، وتوفي سنة: ١١٨هـ، من مصنفاته: تفسير القرآن. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ٢٦٩– ٢٧٠)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٥١)، لسان الميزان (٧/ ٣٤١)، الأعلام للزركلي (٥/ ١٨٩)، معجم المؤلفين (٨/ ١٢٧).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ١٣٥)، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٧٣– ٢٧٤).

وهو المأثور عن ابن عباس، وسعيد بن جبير[(١)]، ورجحه الشوكاني[(٢)] والشنقيطي[(٣)] [(٤)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢، قال الإمام البغوي: " ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾، لَخَرِبَتَا وَهَلَكَ مَنْ فِيهِمَا بِوُجُودِ التَّمَانُعِ بَيْنَ الْآلِهَةِ، لِأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ صَدَرَ عَنِ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ لَمْ يَجْرِ على النظام "[(٥)].

وقال السعدي: " ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي: في السماوات والأرض ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ في ذاتهما، وفسد من فيهما من المخلوقات.

وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم

---

(١) هو الإِمَامُ الشَّهِيْدُ، أَبُو مُحَمَّدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مَوْلاَهُم، الكُوْفِيُّ، رَوَى عَنِ: ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي مُوْسَى الأَشْعَرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قتله الحجاج في شَعْبَانَ، سَنَةَ ٩٥هـ، وعمره: ٥٧ سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١ – ٣٤٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١).

(٢) هو العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبد الله الشوكاني، الخولاني، ثم الصنعاني، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان سنة ١١٧٣هـ، وتوفي بصنعاء سنة: ١٢٥٠هـ، من مصنفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وإتحاف الأكابر وهو ثبت مروياته عن شيوخه، وفتح القدير في التفسير، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)، معجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

(٣) هُوَ العلامة مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ بن مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ الجكني الشنقيطي، عالم سلفي، ولد سنة: ١٣٠٥هـ، وتوفي سنة: ١٣٩٣هـ، من مصنفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن. أضواء البيان (٩/ ٤٧٣– ٤٨٠).

(٤) انظر تفسير ابن عباس وابن جبير في: تفسير القرطبي (١٠/ ٢٦٥– ٢٦٦)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٥/ ٢٨٨)، وانظر تفسير الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٥٩).

(٥) تفسير البغوي = معالم التنزيل (٣/ ٢٨٥).

اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذًا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار" [(١)].

وحتى شيخ الإسلام فسر الآية بذلك وأن فيها دلالة على دليل التمانع الذي يستدل به على وحدانية الله فقال: " وَوَجْهُ بَيَانِ لُزُومِ الْفَسَادِ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ مُدَبِّرَانِ، ... يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَا غَيْرَ مُتَكَافِئَيْنِ؛ لِكَوْنِ الْمَقْهُورِ مَرْبُوبًا لَا رَبًّا وَإِذَا كَانَا مُتَكَافِئَيْنِ امْتَنَعَ التَّدْبِيرُ مِنْهُمَا، لَا عَلَى سَبِيلِ الِاتِّفَاقِ وَلَا عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِلَافِ، فَيَفْسُدُ الْعَالَمُ بِعَدَمِ التَّدْبِيرِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِقْلَالِ، وَلَا عَلَى سَبِيلِ الِاشْتِرَاكِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَهَذَا مِنْ جِهَةِ امْتِنَاعِ الرُّبُوبِيَّةِ لِاثْنَيْنِ، وَيَلْزَمُ مِنِ امْتِنَاعِهِمَا امْتِنَاعُ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ مَا لَا يَفْعَلُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ رَبًّا يُعْبَدُ، وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ أَنْ يُعْبَدَ؛ وَلِهَذَا بَيَّنَ اللَّهُ امْتِنَاعَ الْإِلَهِيَّةِ لِغَيْرِهِ تَارَةً بِبَيَانِ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَالِقٍ، وَتَارَةً أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ لَنَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأحقاف: ٤.

وَذَلِكَ لِأَنَّ عِبَادَةَ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى قَدْ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ فِيهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَمْ يَشْرَعْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ الزخرف: ٤٥ " [(٢)].

بيد أن شيخ الإسلام لا يقتصر في تفسير الآية على هذه الدلالة فقط، بل يرى أنها تتضمن أمرين، وهما إثبات توحيد الربوبية والألوهية، حيث قال قبل كلامه السابق: " وَالْوَاجِبُ إِثْبَاتُ الْأَمْرَيْنِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَرَكَاتُ الْإِرَادِيَّةُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِمُرَادٍ لِذَاتِهِ، وَبِدُونِ ذَلِكَ يَفْسُدُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا لِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا لَا يَكُونُ مَوْجُودًا بِذَاتِهِ إِلَّا اللَّهُ – عُلِمَ أَنَّهُ ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢ ".

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٢١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٣٣ – ٣٣٤).

وقال بعده: "وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ امْتِنَاعِ **الْأُلُوهِيَّةِ** مِنْ جِهَةِ الْفَسَادِ النَّاشِئِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا صَلَاحَ لِلْخَلْقِ إِلَّا بِالْمَعْبُودِ الْمُرَادِ لِذَاتِهِ، مِنْ جِهَةِ غَايَةِ أَفْعَالِهِمْ وَنِهَايَةِ حَرَكَاتِهِمْ، وَمَا سِوَى اللَّهِ لَا يَصْلُحُ، فَلَوْ كَانَ فِيهِمَا مَعْبُودٌ غَيْرُهُ لَفَسَدَتَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ لِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ هُوَ **الرَّبُّ خَالِقٌ** بِمَشِيئَتِهِ"(١).

فليس خطأ المتكلمين هو تفسير الآيات بالتفسير المادي، وإنما خطأهم هو **قصرهم** معنى الآيات على ذلك، **واعتقادهم** أن معنى الربوبية هو نفسه توحيد الألوهية، **وظنهم** أن هذا هو مقصود القرآن والذي دعت إليه الرسل، وإغفالهم تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضاده.

فأنكر عليهم شيخ الإسلام ذلك، وبين أن معنى الآيات ليس مقصورا على إثبات وحدانية الله، بل هناك قدر زائد على هذا المعنى وهو إفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك بعبادة غيره، وأن الفساد في الآية هو فساد أهل السماوات والأرض الناشيء عن عبادة غير الله، فهو فساد معنوي، يقابله الصلاح الناشيء عن توحيد الله وإفراده بالألوهية والعبادة.

فشيخ الإسلام لم ينكر عليهم تفسيرهم بذلك وإنما أنكر عليهم قصرهم معنى الآيات على هذا التفسير، فإن شيخ الإسلام نفسه فسر الآيات بنفس تفسيرهم في مواضع كثيرة، ولكنه يرى أن حمل الآيات على توحيد الألوهية أولى لأنه هو مقصود القرآن، وهو الذي دعت إليه الرسل، وهو أيضا متضمن لما قرروه من وحدانية الله في أفعاله.

فإن تفسير المتكلمين الفساد في الآية بالفساد المادي، وأن هذه الآية والآيات الأخرى تتضمن وحدانية الله في أفعاله هو تفسير صحيح، وهو أنه لو كان مع الله آلهة أخرى يدبرون أمر السماوات والأرض وما فيهما من مخلوقات لاختل نظام الكون ولفسدت السماوات والأرض، بسبب ما يكون بين تلك الآلهة من التنازع والتغالب، بطلب العلو ونفوذ الإرادة على الغير، فلما امتنع الفساد علم أن مدبر الكون واحد، لأن انتفاء اللازم وهو الفساد يدل على انتفاء الملزوم وهو تعدد الآلهة، فيكون انتظام الكون على سنن ثابتة مطردة دليلا على وحدانية الله.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٣٣- ٣٣٥).

ومما يدل على أن شيخ الإسلام ينكر على المتكلمين اقتصارهم في دلالة الآية على توحيد الربوبية، ولا ينكر عليهم نفس التفسير، - فإن لآية تتضمن نوعي التوحيد - قوله: " والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، فهو بمعنى المألوه، وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك.

ولكن أهل الكلام الذي ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية، فهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء، اعتقدوا أن الإله بمعنى الآلِه: اسم فاعل، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع، كما يقول الأشعري وغيره، ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع.

وأما الأول، فلا ريب أنه من التوحيد الواجب، وهو الإقرار بأن خالق العالم واحد، **لكنه هو بعض الواجب** وليس هو الواجب الذي به يخرج الإنسان من الإشراك إلى التوحيد، بل المشركون الذي سماهم الله ورسوله مشركين، وأخبر الرسل أن الله لا يغفر لهم، كانوا مقرين بأن خالق كل شيء.

فهذا أصل عظيم يجب على كل أحد أن يعرفه، فإنه به يعرف التوحيد، الذي هو رأس الدين وأصله.

وهولاء **قصروا** في معرفة التوحيد، ثم أخذوا يثبتون ذلك بأدلة، وهي وإن كانت صحيحة، فلم تنازع في هذا التوحيد أمة من الأمم، وليس الطرق المذكورة في القرآن هي طرقهم، كما أنه ليس مقصود القرآن هو مجرد ما عرفوه من التوحيد" [(١)].

ولذلك فشيخ الإسلام يبين أن مقصود القرآن هو توحيد الألوهية، واستدل لذلك ببعض الأدلة، حيث قال: "ومقصود القرآن توحيد الإلهية، وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس.

ولهذا قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢، فلم يقل: لو كان فيهما إلهان، بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله، فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق، وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له؟.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧٧- ٣٧٨).

ولهذا قال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ الروم: ٢٨.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣. وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ .قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الزمر: ٤٣ - ٤٤ "[1].

فشيخ الإسلام يرى أن الآية تتضمن نوعي التوحيد، وفسر الفساد بالتفسيرين، ولكنه يرى أن مقصود القرآن من الآية هو توحيد الألوهية.

وقال شيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩١: "فَهَذِهِ الْآيَةُ ذَكَرَ فِيهَا بُرْهَانَيْنِ يَقِينِيَّيْنِ عَلَى امْتِنَاعِ أَنْ يَكُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾، وَقَدْ عُرِفَ أَنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَا عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... وَهَذَا اللَّازِمُ مُنْتَفٍ، فَانْتَفَى الْمَلْزُومُ، وَهُوَ ثُبُوتُ إِلَهٍ مَعَ اللَّهِ.

وَبَيَانُ التَّلَازُمِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِلًّا بِخَلْقِ الْعَالَمِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَقِلٌّ بِخَلْقِ الْعَالَمِ، كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ لِكُلِّ عَاقِلٍ، وَأَنَّ هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ.

وَامْتَنَعَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُشَارِكًا لِلْآخَرِ مُعَاوِنًا لَهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْعَاجِزُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، فَلَا يَكُونُ لَا رَبًّا وَلَا إِلَهًا ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ قَادِرًا إِلَّا بِإِعَانَةِ الْآخَرِ، لَزِمَ عَجْزُهُ حَالَ الِانْفِرَادِ، وَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا حَالَ الِاجْتِمَاعِ ... فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَخْلُوقَاتِهِ وَهَذَا غَيْرُ وَاقِعٍ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْعَالَمِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِغَيْرِهِ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ" [2].

(١) نفس المصدر (٩/ ٣٦٩- ٣٧٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣١٣- ٣١٦).

وقال عن اللازم الثاني: " فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ إِلَهَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي الْقُدْرَةِ لَمْ يَفْعَلَا شَيْئًا لَا حَالَ الِاتِّفَاقِ وَلَا حَالَ الِاخْتِلَافِ، فَلَا بُدَّ حِينَئِذٍ إِذَا قُدِّرَ إِلَهَانِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَقْدَرَ مِنَ الْآخَرِ، وَالْأَقْدَرُ عَالٍ عَلَى مَنْ دُونَهُ فِي الْقُدْرَةِ بِالضَّرُورَةِ، فَلَوْ كَانَ ثَمَّ آلِهَةٌ لَوَجَبَ عُلُوُّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَوْ عَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ لَمْ يَكُنِ الْمُسْتَقِلُّ بِالْفِعْلِ إِلَّا الْعَالِيَ وَحْدَهُ "[1].

وهنا أيضا يثبت شيخ الإسلام أن الآية فيها دلالة على دليل التمانع الذي يستدل به على وحدانية الله، بيد أنه قال بعد إثباته ذلك: " وَهَذَا **بَعْضُ تَقْرِيرِ الْبُرْهَانَيْنِ** اللَّذَيْنِ فِي الْقُرْآنِ"[2]. إشارة إلى أنه تقرير صحيح ولكنه ليس هو التقرير الوحيد في الآية، بل ليس مقصود القرآن تقرير هذا، وإنما مقصود القرآن تقرير توحيد الله بالألوهية والعبادة.

وقد أثبت ذلك بترتيب وتنسيق بديع، مما يدل على فهم شامل وعميق - فرحمه الله من إمام ملهم موفق – حيث قال: " وَالْمُشْرِكُونَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، الَّذِي هُوَ نَفْيُ خَالِقَيْنِ، لَمْ يَكُنْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ تُنَازِعُ فِيهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ النحل: ١٧، فَكَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَخْلُقُ.

وَلِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا التَّقْرِيرَ – أي تقرير توحيد الألوهية - بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ **قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ... مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٩٢، **وَلَمْ يَكُنْ إِشْرَاكُهُمْ أَنَّهُمْ جَعَلُوهُمْ خَالِقِينَ**، بَلْ أَنْ جَعَلُوهُمْ وَسَائِطَ فِي الْعِبَادَةِ فَاتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ، وَقَالُوا: إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"[3].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٢٣).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٣٢٥).

(٣) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٣٠- ٣٣١).

فإذن شيخ الإسلام يرى أن دليل التمانع برهان صحيح في أصله، ومؤد للمطلوب في إثبات وحدانية الله، وامتناع صدور العالم عن اثنين، بل هو مقتضى الضرورة العقلية، ولا يؤثر أو يقدح فيه الاعتراض عليه باحتمال اتفاق إرادة الآلهة المتعددة.

ويرى أيضا أن الآيات الثلاث فيها الدلالة على دليل التمانع، ولكنها ليست الدلالة الوحيدة، بل ليس مقصود القرآن تقرير توحيد الربوبية، وإنما مقصوده تقرير توحيد الله بالألوهية والعبادة.

وأيا كان فإن الآيات تتضمن إثبات وحدانية الله، سواء كان المقصود منها تقرير الربوبية، أو تقرير الألوهية، لأن الربوبية تتضمن الألوهية، والألوهية تستلزم الربوبية.

ومع ذلك فالأولى حمل دلالة الآيات على نوعي التوحيد، دون قصر دلالتها على أحدهما، لأن الآيات تتضمن وتحتمل النوعين، واختلاف أهل العلم في تفسيرها هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فيجمع بين أقوالهم بحمل دلالتها على النوعين.

وإن كان جعل دلالتها على توحيد الألوهية مرجح باعتبار أنه مقصود الله تبارك وتعالى من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وباعتبار أنه متضمن لوحدانية الله.

فشيخ الإسلام لا ينكر على المتكلمين استدلالهم بدليل التمانع على وحدانية الله في ربوبيته، ولا ينكر عليهم استدلالهم بالآيات الثلاث على دليل التمانع، فهذا كله صحيح ومتفق عليه، بل رد على من طعن فيه منهم بالاحتمال الرابع وهو جواز اتفاق الإلهين، وأن هذا لا يفضي إلى الفساد.

وإنما ينكر عليهم: **قصرهم** المراد من الآيات على إثبات وحدانية الله، **واعتقادهم** أن توحيد الربوبية هو نفسه توحيد الألوهية، **وظنهم** أن هذا هو مقصود القرآن والذي دعت إليه الرسل وأنزلت من أجله الكتب، ومن ثم إغفالهم الجانب المهم في التوحيد وهو تقرير توحيد الألوهية، وبيان ما يضاده.

فاستدلال النيسابوري بدليل التمانع على وحدانية الله، وأن الآيات الثلاث تتضمن الدلالة على دليل التمانع، صحيح.

إلا أنه لم يشر إل أنها تتضمن أيضا إثبات الألوهية ولعل ذلك راجع إلى أن النيسابوري يرى أن الأصل هو إثبات وحدانية الله في ربوبيته، لأن وحدانية الله علة وسبب للأمر بالعبادة، فإذا ثبتت وحدانية الله فمعناه أنه هو الخالق المالك المدبر، وأنه في غاية الكمال، والمنعم غاية الإنعام، ومن كان كذلك فهو المستحق للعبادة وغاية التعظيم.

فالأولى عنده إثبات تفرد الله بالربوبية، فإذا ثبت ذلك استحق العبودية، وما كان يحق للعبيد أن يعبدوا غيره، أو أن يشركوا معه أحدا.

ويظهر ذلك من تفسيره لبعض الآيات، فمن ذلك ما قاله عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ الأعراف: ٥٩، حيث قال: "قد مر دلائل التوحيد والنبوّة وصحة القرآن من أول سورة البقرة إلى هاهنا غير مرة، فوقع التعويل على ذلك، هذا مع أن الحكم الثاني – أي: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ – كالعلة للأوّل – أي: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ –، لأنه إذا لم يكن لهم إله غيره، كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والإحسان والبر واللطف حاصلا منه، ونهاية الإنعام توجب غاية التعظيم، ومن هنا قال بعض العلماء: لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بأنه واحد، لأنا إذا جوّزنا التعدد لم يتعين المنعم، فتقع العبادة ضائعة، والإله معناه المستحق للعبادة "[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ الأنعام: ١٠٢: " ثم قال ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني أن من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة "[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ آل عمران: ٥١، قال: " ومن قرأ وَإِنَّ اللَّهَ بالفتح فمعناه: ولأن الله رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ، وفيه أن الربوبية هي سبب العبادة، فمن لم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٦٦).

(٢) نفس المصدر (٣/ ١٣٦).

تصح ربوبيته لم يستحق أن يعبد، ولا رب بالحقيقة إلا الله لانتهاء جميع الوسائط والأسباب إليه، فلا يستحق العبادة إلا هو" [(١)].

وفي سورة المؤمنون قال: "﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣، جملة مستأنفة تجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة. ومعنى ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون أن تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة، ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة، بل هو في أخس مراتب الإمكان وهي الجمادية" [(٢)].

إذن فالنيسابوري يرى أن دليل التمانع برهان صحيح، وأن الآيات الثلاث يستدل بها عليه، إلا أنه يؤخذ عليه قصره دلالة الآيات على إثبات وحدانية الله، وعدم الإشارة إلى تضمنها إثبات الألوهية.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٨٥).

(٢) نفس المصدر (٥/ ١١٤).

الفصل الرابع

توحيد الألوهية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معاني الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: العبادة.

المبحث الثالث: نواقض توحيد الألوهية .

المبحث الأول:

معاني الألوهية في اللغة والاصطلاح

أولا: أهمية توحيد الألوهية

إن أهمية توحيد الألوهية تكمن في أنه الغاية من خلق الجن والإنس، فإن الحكمة من خلق الخليقة هو إخلاص العبادة لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦.

وأنه هو الذي ينجي صاحبه من النار، ويحقق له السعادة في الدارين، كما في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» (١).

وحديث: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٢). وحديث: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» (٣).

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب من جاهد نفسه في طاعة الله، حديث رقم: ٦٥٠٠.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم: ٤٩- (...).

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم: ٤٣- (٢٦).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم: ٥٣- (٣٢).

وبشهادة التوحيد لا إله إلا الله يدخل الإنسان ضمن المسلمين ويعصم دمه وماله إلا بحقها، ولأجلها شرع الجهاد واستبيحت الدماء، كما قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» [(١)].

وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله كما قال المتكلمون، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ» [(٢)].

وهو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وهو أول ركن فيه، وهو أول ما يدخل به العبد الإسلام كما في حديث: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» [(٣)].

وهو كذلك آخر واجب، وآخر ما يخرج العبد به من الدنيا، كما قال ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [(٤)].

وهو أيضا الغاية والحكمة من إرسال الرسل وإنزال الكتب لأن فيه حصلت الخصومة والنزاع بين الرسل وأممهم وأقوامهم فقد كفر به وجحده أكثر الخلق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا

---

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، حديث رقم: ٣٩٢.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، برقم: ٣٦- (٢٢).

(٢) البخاري: كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، حديث رقم: ١٤٥٨.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم: ٣١- (...).

(٣) البخاري: كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، حديث رقم: ٨.

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، برقم: ١٩- (١٦).

(٤) أبو داود: كتاب الجنائز، باب في التلقين، حديث: ٣١١٦. وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٤٩).

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾النحل: ٣٦، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥.

فإن أول أمر في القرآن الكريم هو الدعوة إلى إخلاص العبادة لله ﷻ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١.

وهو دعوة أول رسول بعد حصول الشرك، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣.

وهو أيضا أول ما بدأ به كل رسول دعوته، حيث أخبر الله ﷻ عن نوح وهود وصالح وشعيب أن أول ما دعوا إليه أقوامهم هو عبادة الله وحده ونبذ الشرك، فقال كل واحد منهم لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وهود: ٥٠، ٦١، ٨٤، والمؤمنون: ٢٣، ٣٢.

قال شيخ الإسلام: " الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ " [(١)].

وقال الآجري[(٢)]: " فَاعْلَمُوا رَحِمَنَا وَإِيَّاكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِيُقِرُّوا بِتَوْحِيدِهِ، فَيَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَكَانَ مَنْ قَالَ هَذَا مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ وَنَاطِقًا بِلِسَانِهِ أَجْزَأَهُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَإِلَى الْجَنَّةِ " [(٣)].

فتوحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد على الإطلاق، ولذلك اعتبره العلماء أصل الأصول وأساس الدين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦٤- ٦٥).

(٢) هو أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَبْدِ اللهِ البَغْدَادِيُّ الآجُرِّيُّ الشافعي، فقيه، محدث، حافظ، ولد في قرية آجر من قرى بغداد، ثم سكن مكة، وتوفي بها سنة: ٣٦٠هـ، من مصنفاته: الشَّرِيعَةِ فِي السُّنَّةِ، وآدَابِ العُلَماءِ، والتَّهَجُّدِ. سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣- ١٣٥)، الأعلام للزركلي (٦/ ٩٧)، معجم المؤلفين (٩/ ٢٤٣).

(٣) الشريعة للآجري (١/ ٥٥٠).

ثانيا: معاني الألوهية في اللغة:

الألوهية مصدر: أَلِهَ يأْلَهُ إلاهة وأُلُوهَة وأُلُوهِيَّة، أي عبد عبادة، والإِلاهَةُ والأُلُوهة والأُلُوهِيَّةُ: الْعِبَادَةُ.

والتأليه: التعبيد، والتَأَلُّهُ: التَّنَسُّكُ والتَعَبُّدُ، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾الأعراف: ١٢٧: ويَذَرَك وإلاهَتَك، بكسر الهمزة، أي: عبادتك [(١)].

قال ابن فارس: " أَلَهَ: الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ. وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ " [(٢)].

ولفظ الجلالة "الله" مشتق على الصحيح من أقوال أهل العلم، وليس هو اسم جامد كما زعم جمهور أهل اللغة، وقالوا إنه عَلَمٌ غير مشتق دالٌّ على الإلَهِ الحقِ [(٣)].

وقد رد ابن القيم[(٤)] على من زعم ذلك فقال: " زعم أبو القاسم السهيلي [(٥)] وشيخه

---

(١) العين (٤/ ٩٠- ٩١)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٢٢ - ٢٢٤)، الصحاح تاج اللغة (٦/ ٢٢٢٣ – ٢٢٢٤)، تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠)، لسان العرب (١٣/ ٤٦٨).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٣) القاموس المحيط (ص: ١٢٤٢)، تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠)،لسان العرب (١٣/ ٤٦٧).

(٤) هو العلامة شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزّرعي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد وتوفي بدمشق، فولد سنة: ٦٩١هـ، وتوفي سنة: ٧٥١هـ، من مصنفاته: إعلام الموقعين، والطرق الحكمية ، وشفاء العليل ، وزاد المعاد. انظر: الدرر الكامنة (٥/ ١٣٧)، بغية الوعاة (١/ ٦٢)، شذرات الذهب (٨/ ٢٨٧- ٢٩٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ٥٦).

(٥) هو أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ الأندلسيّ المالقي السّهيليّ المالكي، الضرير، مؤرخ، محدث، حافظ، نحوي، لغوي، ولد بوادي سهيل من إقليم مالقه بالأندلس سنة: ٥٠٨هـ، وعمي وعمره ١٧ سنة، وتوفي بمراكش سنة: ٥٨١هـ، من مصنفاته: الروض الأنف في شرح سيرة الرسول، التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، ونتائج الفكر. انظر: إنباه الرواة (٢/ ١٦٢)، وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣- ١٤٤)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٣)، معجم المؤلفين (٥/ ١٤٧)، شذرات الذهب (١/ ٤٦- ٤٧).

ابن العربي [1]: أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الإشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى: كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله.

ثم الجواب عن الجميع: أننا لا نعني بالإشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، ... فالإشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي وإنما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمِّن بالكسر مشتقا والمتضمَّن بالفتح مشتقا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى " [2].

إذن فالألوهية هي العبادة، ولفظ الجلالة "الله" معناه المعبود الحق، وهومشتق من "إله"، وأصله: ولاه، قلبت الْوَاو همزَة.

عرض رأي النيسابوري:

يرى النيسابوري أن الألوهية في اللغة: مشتقة من أَله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد، الشهير بابن العربي، المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي الحافظ، ولد في إشبيلية سنة: ٤٦٨هـ، ورحل إلى المشرق مع أبيه فدخل الشام، وبغداد، ومصر، ودفن بمدينة فاس سنة: ٥٤٣هـ، من مصنفاته: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي، وأحكام القرآن. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦- ٢٩٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٩٧- ٢٠٣)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣٢- ٢٣٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٣٠)، هدية العارفين (٢/ ٩٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٢- ٢٣).

ويرى كذلك أن النزاع بين القائلين بعدم اشتقاق لفظ الجلالة " الله " وأنه اسم علم لله ﷻ، والقائلين باشتقاقه، بأنه نزاع لفظي، ومن ثم لا يرى مانعا من كونه مشتقا ثم غلب على المعبود الحق وهو الله ﷻ.

حيث قال بعد عرض حجج القائلين بعدم الاشتقاق، وحجج القائلين بالاشتقاق: "وكأن النزاع بين الفريقين لفظي، لأن القائلين بالاشتقاق متفقون على أن الإله مشتق من أَلَه بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة، وأنه اسم جنس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا، وكذلك السنة: على عام القحط، والبيت: على الكعبة، والكتاب: على كتاب سيبويه. وأما «الله» بحذف الهمزة فمختص **بالمعبود الحق** لم يطلق على غيره" (١).

ثالثا: معاني الألوهية في الاصطلاح:

هو إفراد الله ﷻ بالعبادة (٢). أي إفراده بأفعال العباد كالصلاة والذبح والخوف والرجاء والمحبة.

قال ابن أبي العز: " تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ ﷻ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ "(٣).

قال شيخ الإسلام: " الإله: هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكرامًا " (٤).

ويسمى توحيد العبادة، قال العلامة السعدي: " توحيد الإلهية ويقال له توحيد العبادة: وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده" (٥).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧٦).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٤)، وانظر: لوامع الأنوار (١/ ٥٧ و ١٢٩)، ومذكرة التوحيد، ص: ٣٨.

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز(ص: ٢٧).

(٤) قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة لابن تيمية، ص: ٣١.

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص: ١٧.

وقال الشيخ ابن عثيمين: " توحيد الألوهية، ويقال له توحيد العبادة باعتبارين؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة "[١].

وذلك أن الألوهية مشتقة من كلمة " إله " بمعنى: المعبود والمطاع، وهو يطلق على المعبود بحق كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥، ويطلق على المعبود بالباطل كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ الفرقان: ٣، ثم غلب استعماله على الإله المعبود بحق، وهو من تألهه القلوب عِبَادَةً وَاسْتِعَانَةً وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَإِجْلَالًا.

قال شيخ الإسلام: " والإله: هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودا محبوبا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢ "[٢].

وقال رحمه الله: " فَالْإِلَهُ هُوَ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ عِبَادَةً وَاسْتِعَانَةً وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَإِجْلَالًا وَإِكْرَامًا"[٣].

معنى لا إله إلا الله:

وعليه فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله[٤]. ولا يصح لا معبود موجود إلا الله، لأنه توجد آلهة معبودة من دون الله، غير أنها باطلة ولا تستحق العبادة.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٤).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٨٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٥).
(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص: ٥٢.

وكذلك لا يصح جعل " الإِلَهُ " بمعنى الآلِهُ – اسم فاعل – أي الخالق والصانع والقادر على الاختراع، فيكون معنى لا إله إلا الله: لا خالق ولا صانع إلا الله، فهذا غير صحيح لأن حقيقته مجرد إثبات وجود خالق وصانع للعالم.

قال شيخ الإسلام: " والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، فهو بمعنى المألوه، وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك.

ولكن أهل الكلام الذي ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية، فهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء، اعتقدوا أن الإله بمعنى الآلِه: اسم فاعل، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع، كما يقول الأشعري وغيره، ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع"[١] .

شروط تحقيق توحيد الألوهية:

ولا يتحقق توحيد الألوهية إلا بوجود أصلين مهمين:

الأصل الأول: **الاخلاص**: بأن تُصرف جميع أنواع العبادات لله وحده دون ما سواه. وهذا يتضمن أمران، وهما مضمون كلمة التوحيد لا إله إلا الله:

الأمر الأول: **النفي" لا إله** ": أي نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما، فليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

الأمر الثاني: **الإثبات" إلا الله** ": أي إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعالي الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة: أنه الدين لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، قاصدا بذلك وجه الله، وطالبا رضوانه وثوابه [٢] .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧٧).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص: ٤٢.

الأصل الثاني: **المتابعة**: بأن تكون العبادة وفق ما شرعه الله تعالى.

إذن فالمعنى الاصطلاحي لتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد بصرف العبادة بأنواعها كلها له سبحانه وحده لا شريك له.

عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " وأما «الله» بحذف الهمزة فمختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره. وينبغي أن يكون المراد من كون الله تعالى معبودا كونه مستحقا ومستأهلا لأن يعبده كل من سواه كما يليق بحال العابد، فإن اللائق بحال المعبود لا يقدر عليه أحد من المخلوقات. ولا يخفى أن الاستحقاق والاستئهال حاصل له أزلا وأبدا، فيكون إلها أزلا وأبدا وإن كل من سواه عابد له بقدر استعداده وعلى حسب حاله، حتى النبات والجماد والكافر والفاسق، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء: ٤٤، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ مريم: ٩٣ [(١)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ الفاتحة: ٥: " لا شك أن تقديم المفعول مفيد للاختصاص أي لا نعبد أحدا سواك والحاكم فيه الذوق السليم. واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر، لأن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق إلا لمن صدر منه غاية الإنعام وهو الله تعالى " [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٩٥: " وفيه تنبيه على أن محمدا ﷺ على دين إبراهيم في الفروع لما ثبت أن الذي حكم ﷺ بحله حكم إبراهيم بحله. وفي الأصول لأن محمدا وإبراهيم كليهما صلى الله عليهما وسلم لا

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧٦).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٠٣).

يدعون إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى، خلاف اليهود والنصارى، وخلاف عبدة الأوثان والكواكب" [1].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ يونس: ١٨: " ومن حق المعبود أن يكون مثيبا معاقبا. وفيه إشعار بأنها جماد، والمعبود لا بد أن يكون أكمل من العابد، وإذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليق العبادة إلا له" [2].

وبين رحمه الله أن الغاية من خلق الثقلين هو العبادة فقال: " الأصل في الخلق والغرض الأقدم هو العبادة" [3]. وقال أيضا: " ثم بين الغاية من خلق الثقلين وهي العبادة " [4]. وقال: " والتحقيق أن المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله" [5].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨: " مُحْسِنُونَ في الطاعات بأن يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء" [6].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٢ – ٣: " ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الإقبال على عبادته بالإخلاص والالتفات عما سواه بالكلية. أما الأول فهو قوله: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ ﴾، أي: أنت أو أمتك، ﴿ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ وآية الإخلاص أن يكون الداعي إلى العبادة هو مجرد الأمر لا طلب مرغوب أو هرب مكروه. وأما الثاني فذلك قوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ أي: واجب اختصاصه بالطاعة من غير أن يشوب ذلك دعاء أو شرك ظاهر وخفي. وخصصه قتادة فقال: الدين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله" [7].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٢١١).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٥٦٩).

(٣) نفس المصدر (٥/ ١٦٩).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ١٩٠).

(٥) نفس المصدر (٥/ ٣٦٩).

(٦) نفس المصدر (٤/ ٣١٧- ٣١٨).

(٧) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٦١٣).

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ١: "اسم الله يدل على مجامع الصفات الإضافية لأن **الله اسم للمعبود بالحق** واستحقاق العبادة لا يتجه إلا إذا كان مبدأ لجميع ما سواه عالما قادرا إلى غير ذلك" [١].

الخلاصة:

من خلال هذا العرض يتضح أن النيسابوري يرى أن الألوهية في اللغة: هي العبادة، ولفظ الجلالة "الله" معناه المعبود الحق، وهومشتق من "إله.

كما يرى أن توحيد الألوهية في الاصطلاح: هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد، بأن يخلصوا له العبادة وحده لا شريك له. " وهو بهذا المسلك وافق أهل السنة، فيحمد له ذلك.

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) نفس المصدر (٦/ ٥٩٥).

الباب الأول: **الإيمان بالله**

الفصل الرابع: **توحيد الألوهية**

المبحث الثاني

العبادة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: **تعريف العبادة.**

المطلب الثاني: **شروط العبادة.**

المطلب الثالث: **أركان العبادة.**

المطلب الأول:

تعريف العبادة

أولا: العبادة في اللغة: مشتقة من عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً.

قال ابن فارس: " عَبَدَ: الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ، أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، كَأَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ، وَالْأَوَّلُ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَذُلٍّ، وَالْآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وَغِلَظٍ".

وقال: " وَأَمَّا عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ" (١).

وَقَالَ بعضُ أَئِمَّةِ الِاشْتِقَاق: أَصْلُ العُبُودِيّةِ: الذُّلُّ والخُضُوعُ (٢).

وَمعنى الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع. وَيُقَال طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كَانَ مذلَّلاً بِكَثْرَة الْوَطْء، وبعيرٌ مُعَبَّد إِذا كَانَ مَطْليًّا بالقَطِران (٣).

قال ابن منظور: " والمعَبَّدُ: الْمُذَلَّلُ. وَالتَّعَبُّدُ: التَّذَلُّلُ، وَيُقَالُ: هُوَ الَّذِي يُترَك وَلَا يُرْكَبُ. وَالتَّعْبِيدُ: التَّذْلِيلُ. وبعيرٌ مُعَبَّدٌ: مُذَلَّلٌ. وطَرِيقٌ مُعَبَّد: مَسْلُوكٌ مُذَلَّلٌ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَكْثُرُ فِيهِ الْمُخْتَلِفَةُ " (٤).

قال شيخ الإسلام: " وَالْعِبَادَة أصل مَعْنَاهَا الذل، أَيْضا يُقَال طَرِيق معبد إِذا كَانَ مذللا قد وطئته الْأَقْدَام. لَكِن الْعِبَادَة الْمَأْمُور بهَا تَتَضَمَّن معنى الذل وَمعنى الْحبّ، فهى تَتَضَمَّن غَايَة الذل لله بغاية الْمحبَّة لَهُ" (٥).

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥).

(٢) تاج العروس (٨/ ٣٣٠)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٥٠٣).

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ١٣٨)، جمهرة اللغة (١/ ٢٩٩)، تاج العروس (٨/ ٣٣١)، لسان العرب (٣/ ٢٧٣).

(٤) لسان العرب (٣/ ٢٧٤).

(٥) العبودية (ص: ٤٨).

ثانيا: العبادة في الاصطلاح: تطلق على شيئين:

الأول: التعبد: بمعنى التذلل والخضوع لله ﷻ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، محبة وتعظيما[١].

قال ابن كثير[٢]: " وَفِي الشَّرْعِ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ" [٣].

وقال شيخ الإسلام: " وَالْعِبَادَةُ: اسْمٌ يَجْمَعُ غَايَةَ الْحُبِّ لَهُ وَغَايَةَ الذُّلِّ لَهُ، فَمَنْ ذَلَّ لِغَيْرِهِ مَعَ بُغْضِهِ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا، وَمَنْ أَحَبَّهُ مِنْ غَيْرِ ذُلٍّ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَبَّ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ؛ بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمَحْبُوبَ الْمُطْلَقَ الَّذِي لَا يُحَبُّ شَيْءٌ إلَّا لَهُ، وَأَنْ يُعَظَّمَ وَيُذَلَّ لَهُ غَايَةَ الذُّلِّ؛ بَلْ لَا يُذَلُّ لِشَيْءِ إلَّا مِنْ أَجْلِهِ" [٤].

الثاني: المتعبد به: أي باعتبار أفرادها كالصلاة والحج والذبح.

ومعناها بهذا الاعتبار كما قال شيخ الإسلام: " الْعِبَادَة هِيَ اسْم جَامع لكل مَا يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة" [٥].

مثال ذلك: الصلاة؛ ففعلها عبادة، وهو التعبد. ونفس الصلاة عبادة، وهي المتعبد به.

عرض رأي النيسابوري:

العبادة في اللغة: يرى النيسابوري أن أَصْلُ العُبُودِيّةِ: الذُّلُّ والخُضُوعُ.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٤).

(٢) هو عماد الدّين، أبو الفداء إِسْمَاعِيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن زرع الْقَيْسِي البصروي الدمشقيّ الشافعي، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، ولد سنة: ٧٠٠هـ، وتوفي سنة: ٧٧٤هـ، من مصنفاته: البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن الكريم. انظر: الدرر الكامنة (١/ ٤٤٥- ٤٤٦)، الأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠)، معجم المؤلفين (٢/ ٢٨٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٨).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٦٢).

(٥) العبودية لابن تيمية (ص: ٤٤)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

وفي هذا الصدد يقول رحمه الله: " والعبادة أقصى غاية الخضوع. طريق معبد أي مذلل، وثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج" [(١)].

وقال: "والعبودية تقتضي الخضوع والذلة"[(٢)].

وقال أيضا: "ومن فوائد الدعاء إظهار شعار الذل والانكسار، والإقرار بسمة العجز والافتقار، وتصحيح نسبة العبودية " [(٣)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً ﴾الأعراف: ٥٥: " والتضرع التذلل وهو إظهار ذل النفس ... قال بعض العلماء: الدعاء هاهنا بمعنى العبادة " [(٤)].

العبادة في الاصطلاح: على رأي النيسابوري هي: غاية التعظيم والخضوع، فلا تليق ولا تصلح إلا لمن هو في غاية الكمال، و لمن صدر منه غاية الإنعام.

حيث قال رحمه الله: " العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا تليق إلا لمن صدر منه غاية الإنعام " [(٥)]. وقال: " والعبادة لا شك أنها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع " [(٦)].

وقال أيضا: " أما العبادة فلأنها غاية الخضوع فلا تصلح إلا لمن هو في غاية الكمال فضلا عن الجماد " [(٧)].

الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض لرأي النيسابوري في معنى العبادة في اللغة والاصطلاح، أنه متناسق مع رأي السلف، وهذا مما يحمد له رحمه الله.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٨٥).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٠٦).

(٣) نفس المصدر (١/ ٥٠٨).

(٤) نفس المصدر (٣/ ٢٥٦).

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٠٣)، وانظر: (٣/ ٢٦٦).

(٦) نفس المصدر (٣/ ٥٣٦).

(٧) نفس المصدر (٥/ ٣٧٨).

المطلب الثاني:

شروط العبادة

لا تكون العبادة مقبولة عند الله إلا بتوفر شروط:

الشرط الأول: الإخلاص: بأن تُصرف جميع أنواع العبادات لله وحده دون ما سواه. كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣. وقال عز شأنه: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ البينة: ٥.

الشرط الثاني: المتابعة: بأن تكون العبادة وفق ما شرعه الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران: ٨٥. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾الشورى: ٢١.

قال شيخ الإسلام: " وجماع الدّين أصلان: أَلا نعْبد إِلَّا الله، وَلَا نعبده إِلَّا بِمَا شرع لَا نعبده بالبدع، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠. وَذَلِكَ تَحْقِيق الشَّهَادَتَيْنِ: شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وَشَهَادَة أَن مُحَمَّد رَسُول الله. فَفِي الأولى: أَلا نعْبد إِلَّا إِيَّاه. وَفِي الثَّانِيَة: أَن مُحَمَّدًا هُوَ رَسُوله الْمبلغ عَنهُ فعلينا أَن نصدق خَبره ونطيع أمره"[(١)].

الشرط الثالث: الإيمان: قال العلامة الشنقيطي: " اعْلَمْ أَوَّلًا: أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ مَا اسْتَكْمَلَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

(١) العبودية لابن تيمية (ص: ١٤٨).

الْأَوَّلُ: مُوَافَقَتُهُ لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾الحشر: ٧.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥، ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى . فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ الزمر: ١٤.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسَاسِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ النحل: ٩٧، فَقَيَّدَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ، وَمَفْهُومُ مُخَالَفَتِهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ لَمَا قُبِلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ" [(١)].

فالإخلاص والمتابعة شرطان متلازمان، فإن من الإخلاص لله اتباع هدي النبي ﷺ، كما أن اتباعه عليه الصلاة والسلام مستلزم للإخلاص. وهما شرطا قبول.

أما شرط الإيمان — أي بالله ورسوله – فهو شرط قبل الشروع في العبادة، ومع ذلك فهو مستلزم للإخلاص والمتابعة، كما أن الإخلاص والمتابعة تتضمنان الإيمان بالله ورسوله.

عرض رأي النيسابوري:

تكلم النيسابوري عن شروط العبادة ويرى أن من شروطها:

الأول: الإيمان بالله ورسوله.

الثاني: الإخلاص.

الثالث: المتابعة وموافقة الشرع.

يتضح ذلك من خلال أقواله في التفسير، فبالنسبة لشرط الإيمان وشرط موافقة الشرع قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الإسراء: ١٩: " أي حق السعي لأجلها، وذلك أن يكون العمل الذي يتوسل به إلى الفوز بثواب الآخرة من

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤٤٠).

جملة القرب والطاعات، وعلى قوانين الشرع والعقل، لا البدعة والهوى، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن شيئا من صور الأعمال الصالحة لا يوجب الثواب إلا بعد تقديم الإيمان "[1].

وفي شرط المتابعة قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ آل عمران: ٣١." أن الآية الأولى لما اقتضت وجوب متابعته ... "[2].

وفي شرط الإخلاص قال: " وبقولك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الفاتحة: ٣، يفتح باب الرجاء، وبقولك ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، يفتح باب الخوف، وبقولك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، يفتح باب الإخلاص"[3].

وقال: " فلا تجعلوا له أندادا، لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد، وأن لا يجعل لله ند ولا شريك "[4].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف: ٥٥: " لا بد فيه — أي الدعاء – من الإخلاص والصون عن الرياء والسمعة"[5].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هود: ٣: " والمعنى إن تعرضوا عن الإخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة "[6].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ النحل: ١٢٨: " مُحْسِنُونَ في الطاعات بأن يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء"[7].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٣٣٥).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٤٢).

(٣) نفس المصدر (١/ ١٢٠).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٨٧).

(٥) نفس المصدر (٣/ ٢٥٦).

(٦) نفس المصدر (٤/ ٦).

(٧) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٣١٧- ٣١٨).

وقال: " والتحقيق أن المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله " [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢: " ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الإقبال على عبادته بالإخلاص والالتفات عما سواه بالكلية " [(٢)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ١١، قال: " أمرت بإخلاص الدين، وأمرت بذلك لأجل أن أكون أوّل المسلمين، أي مقدّمهم وسابقهم " [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥: " أي وما أمروا بما أمروا به في التوراة والإنجيل إلا لأجل أن يعبدوا الله على حالة الإخلاص والميل عن الأديان الباطلة " [(٤)].

الخلاصة:

لا يختلف رأي النيسابوري في اشتراط هذه الأمور الثلاثة لصحة العبادة، عما ذهب إليه السلف رحمهم الله.

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٣٦٩).

(٢) نفس المصدر (٥/ ٦١٣).

(٣) نفس المصدر (٥/ ٦١٨).

(٤) نفس المصدر (٦/ ٥٤٤).

المطلب الثالث:

أركان العبادة

وهي الأصول التي تقوم عليها العبادة، وهي ثلاثة:

الركن الأول: المحبة: والمقصود محبة الله ورسوله، المتضمنة تقديم مرادهما على ما سواهما، فحقيقة محبتهما هي موافقتهما فيما يحبانه ويبغضانه، فيحب العبد ما يحبانه، ويبغض ما يبغضانه. كما قال ﷺ: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ »[1].

فهذه ثلاثة أصول للمحبة:

الأول: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يكفي أصل الحب، بل لا بد من غاية الحب وكماله.

الثاني: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، فيفرق بين ما يحبه الله من الإعمال والأشخاص، وما يكرهه سبحانه.

الثالث: أن يكره ما يضاد الإيمان، أعظم من كراهته الإلقاء في النار.

قال شيخ الإسلام: " فَجَعَلَ ﷺ وُجُودَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ مُعَلَّقًا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْفَاضِلَةِ، وَبِالْمَحَبَّةِ فِيهِ – فِي اللَّهِ –، وَبِكَرَاهَةِ ضِدِّ الْإِيمَانِ، فَجَعَلَ ذَوْقَ طَعْمِ الْإِيمَانِ مُعَلَّقًا بِالرِّضَى بِهَذِهِ الْأُصُولِ "[2].

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦.

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم: ٦٧ – (٤٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥٣– ٤٥٤).

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ التوبة: ٢٤. وقال جل شأنه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١.

قال الإمام البغوي: " ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾البقرة: ١٦٥، أَيْ: أَثْبَتُ وَأَدُومُ عَلَى حبّه من المشركين، لِأَنَّهُمْ لَا يَخْتَارُونَ عَلَى اللَّهِ مَا سِوَاهُ، وَالْمُشْرِكُونَ إِذَا اتَّخَذُوا صَنَمًا ثُمَّ رَأَوْا أَحْسَنَ مِنْهُ، طَرَحُوا الْأَوَّلَ وَاخْتَارُوا الثَّانِيَ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الْكَافِرَ يُعْرِضُ عَنْ مَعْبُودِهِ فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ وَيُقْبِلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُمْ فَقَالَ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُعْرِضُ عَنِ اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ"[(١)].

وقال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، وَلِحُبِّهِمْ لِلَّهِ وَتَمَامِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ لَهُ، لَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، بَلْ يَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ، وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَيْهِ، وَيَلْجَئُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١: " هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وأفعاله وَأَحْوَالِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» [(٣)]"[(٤)].

---

(١) تفسير البغوي (١/ ١٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٦).

(٣) مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم: ١٨- (...).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦).

وقال شيخ الإسلام: " فحقيقة المحبّة لَا تتمّ إِلَّا بموالاة المحبوب، وَهُوَ مُوَافقَته فِي حب مَا يحب وبغض مَا يبغض، وَالله يحب الْإِيمَان وَالتَّقوى، وَيبغض الْكفْر والفسوق والعصيان" [(١)].

الركن الثاني: الخوف:

المقصود غاية الخوف وكماله، فيما لا يُخاف فيه إلا من الله، بحيث لا يخاف من شيء كائنا من كان أعظم من خوفه من خالقه جل شأنه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥.

وضد الخوف الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٩.

وقد أثنى الله على أنبيائه بالخوف منه، فقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا ﴾الأنبياء: ٩٠.

الركن الثالث: الرجاء:

هو طلب ما عند الله بلا يأس ولا قنوط، والمقصود غايته وكماله، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧ [(٢)].

قال شيخ الإسلام: " اعْلَمْ أَنَّ مُحَرِّكَاتِ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ عَجَّلَ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ. وَأَقْوَاهَا الْمَحَبَّةُ وَهِيَ مَقْصُودَةٌ تُرَادُ لِذَاتِهَا لِأَنَّهَا تُرَادُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِخِلَافِ الْخَوْفِ فَإِنَّهُ يَزُولُ فِي الْآخِرَةِ، ... وَالْخَوْفُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الزَّجْرُ وَالْمَنْعُ مِنْ الْخُرُوجِ عَنْ الطَّرِيقِ، فَالْمَحَبَّةُ تَلْقَى الْعَبْدَ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، وَعَلَى قَدْرِ ضَعْفِهَا وَقُوَّتِهَا يَكُونُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ، وَالْخَوْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ

---

(١) العبودية (ص: ٩٥).

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص: ١٣٨، بتصرف.

يَخْرُجَ عَنْ طَرِيقِ الْمَحْبُوبِ، وَالرَّجَاءُ يَقُودُهُ، فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ فَإِنَّهُ لَا تَحْصُلُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ بِدُونِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ" (١).

وقال رحمه الله: " فَقَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الفاتحة:٥، إشَارَةٌ إلَى عِبَادَتِهِ بِمَا اقْتَضَتْهُ إلَهِيَّتُهُ: مِنْ الْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ" (٢).

والمحبة والخوف والرجاء بينها علاقة تلازم وتضمن، فالخوف متضمن للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، وهما مستلزمان للمحبة.

قال شيخ الإسلام: " وَإِذَا كَانَتْ الْمَحَبَّةُ أَصْلَ كُلِّ عَمَلٍ دِينِيٍّ، فَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَغَيْرُهُمَا يَسْتَلْزِمُ الْمَحَبَّةَ وَيَرْجِعُ إلَيْهَا، فَإِنَّ الرَّاجِيَ الطَّامِعَ إنَّمَا يَطْمَعُ فِيمَا يُحِبُّهُ لَا فِيمَا يُبْغِضُهُ. وَالْخَائِفُ يَفِرُّ مِنْ الْخَوْفِ لِيَنَالَ الْمَحْبُوبَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾الإسراء: ٥٧ (٣).

وقال: " وَالْخَشْيَةُ أَبَدًا مُتَضَمِّنَةٌ لِلرَّجَاءِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ قُنُوطًا؛ كَمَا أَنَّ الرَّجَاءَ يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ أَمْنًا؛ فَأَهْلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ، هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، الَّذِينَ مَدَحَهُمْ اللَّهُ " (٤).

وعليه فلا بد للمؤمن من الجمع بين الحب والخوف والرجاء، فالعبادة بالحب فقط لا تصح، لأنها لا تتضمن تعظيما لله، ولا خشية منه، فلا يتورع من اقتراف المحرمات، بل يستهين بها بحجة أن الحبيب لا يعذب حبيبه. ولا شك أن هذا مسلك باطل، يؤدي إلى الأمن من مكر الله، ومن ثم الخروج من الدين بالكلية.

وكذلك العبادة بالخوف فقط دون الحب والرجاء لا تصح، وهي طريقة الخوارج الذين لا يجعلون تعبدهم لله مقرونا بالمحبة، فلا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فتكون منزلة الخالق

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).

(٢) نفس المصدر (١/ ٨٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١- ٦٢).

(٤) نفس المصدر (٧/ ٢١).

عندهم كمنزلة سلطان جائر، أو ملك ظالم، وهذا مما يورث اليأس والقنوط من رحمة الله، وغايته الكفر بالله، وإساءة الظن به [(١)].

قال ابن أبي العز: " يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَائِفًا رَاجِيًا، فَإِنَّ الْخَوْفَ الْمَحْمُودَ الصَّادِقَ: مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ. وَالرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ: رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ، أَوْ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ البقرة: ٢١٨.

أَمَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مُتَمَادِيًا فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا، يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ، فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

وقال أبو علي الروذباري [(٢)]: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ، إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ، وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ، وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ [(٣)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بالخوف وحده فهو حروري، وروي: وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ " [(٤)].

وقال ابن كثير: " وقوله تعالى: "﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ الإسراء: ٥٧، لَا تَتِمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَبِالْخَوْفِ يَنْكَفُّ عَنِ الْمَنَاهِي، وبالرجاء يكثر من الطاعات" [(٥)].

---

(١) رسائل في العقيدة للشيخ محمد الحمد، ص: ١٧١- ١٧٢، بتصرف.

(٢) هو أَبُو عَلِيٍّ الرُّوْذبَارِيُّ، أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ القَاسِمِ بنِ مَنْصُوْرٍ، البغدادي المصري، من كبار الصوفية، صَحِبَ الجُنَيْدَ، له تصانيف في التصوف، توفي سنة: ٣٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٥)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٠٨- ٣٠٩)، معجم المؤلفين (٨/ ٣٠٨).

(٣) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٢٨).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ٣١٢- ٣١٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٢).

وقال ابن حجر في الفتح نقلا عن ابن الحاجب: " الْمُكَلَّفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، حَتَّى لَا يَكُونَ مُفْرِطًا فِي الرَّجَاءِ بِحَيْثُ يَصِيرُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ[1] الْقَائِلِينَ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ، وَلَا فِي الْخَوْفِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ مِنَ الْخَوَارِجِ[2] وَالْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ بِتَخْلِيدِ صَاحِبِ الْكَبِيرَةِ إِذَا مَاتَ عَنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فِي النَّارِ، بَلْ يَكُونُ وَسَطًا بَيْنَهُمَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ الإسراء: ٥٧. وَمَنْ تَتَبَّعَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَجَدَ قَوَاعِدَهُ أُصُولًا وَفُرُوعًا كُلَّهَا فِي جَانِبِ الْوَسَطِ" [3].

إذن فلا بد للمؤمن في العبادة من الجمع بين الحب والخوف والرجاء، كما قال ابن القيم: " القَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللهِ عَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيَرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ، وَلَكِنَّ السَّلَفَ اسْتَحَبُّوا أَنْ يَقْوَى فِي الصِّحَّةِ جَنَاحُ الْخَوْفِ عَلَى جَنَاحِ الرَّجَاءِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدُّنْيَا يَقْوَى جَنَاحُ الرَّجَاءِ عَلَى جَنَاحِ الْخَوْفِ.

وقيل: أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ: اعْتِدَالُ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَغَلَبَةُ الْحُبِّ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ الْمَرْكَبُ. وَالرَّجَاءُ حَادٍ، وَالْخَوْفُ سَائِقٌ، وَاللَّهُ الْمُوَصِّلُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ" [4].

---

(١) المرجئة: من الفرق الكلامية التي أخرجت العمل من مسمى الإيمان، وهو فرق متعددة أشهرها، مرجئة الفقهاء: قالوا الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، والكرامية: قالوا الإيمان قول اللسان فقط، الأشاعرة والماتريدية: قالوا الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وغالى الجهمية فقالوا هو المعرفة فقط. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤). الملل والنحل (١/ ٨٨، و١٣٩)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩). مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٧). الإرشاد للجويني (ص: ٣٩٧)، الانصاف للباقلاني (ص: ٥٢) . الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١). متن الطحاوية (ص: ٦٢)، الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ١١٥٣).

(٢) الخوارج: هم الذين يقولون: الْإِيمَانُ فَعْلُ الطَّاعَاتِ الْمُفْتَرَضَةِ كُلِّهَا، بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ، فَإِذَا ذَهَبَ بَعْضُهَا ذَهَبَ بَعْضُ الْإِيمَانِ فَذَهَبَ سَائِرُهُ، مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، فَحَكَمُوا بِأَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، بل هو كافر. انظر: الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١). اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٤٦). مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٢).

(٤) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٥١٣).

عرض رأي النيسابوري:

تطرق النيسابوري لأركان العبادة في تفسيره، فبين أن الله أحق بالمحبة، وأن المؤمنين أشد حبا لله، وأنه يجب أن يتقلب بين الخوف والرجاء في عبادته لربه.

فبالنسبة للمحبة قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥: " لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره في السراء ولا في الضراء، ولا يجعلون وسائط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله".

وقال: " فالله تعالى أحق بالمحبة لأن كل كمال بالنسبة إلى كماله نقص، والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه. وكلما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه أكثر كان حبه له أتم، وبحسب الترقي في درجات العرفان تزداد المحبة إلى أن يستولي سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله عن الالتفات لغيره ويفنى عن حظوظ نفسه" [(١)].

وقال أيضا: " فمن أحب الله كان راغبا فيه لأن المحبة توجب الإقبال بالكلية على المحبوب والإعراض بالكلية عن غيره " [(٢)].

وبالنسبة للخوف والرجاء بين رحمه الله أن الإيمان لا يكمل، والعبودية لا تتم إلا بهما، فيجب أن يكون المؤمن جامعا لهما، مترددا بينهما، فقال:

" الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف ... فقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الفاتحة: ٧، يدل على الرجاء، وباقي الآية يدل على الخوف، فيكمل الإيمان بطرفيه وركنيه " [(٣)].

" والحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية " [(٤)]، " وأحسن أحوال العبد أن يكون بين الخوف والرجاء " [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤٦١- ٤٦٢).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٤٢).

(٣) نفس المصدر (١/ ١١٣).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٥٠٧).

(٥) نفس المصدر (٢/ ٥٢).

" ليتردّدوا بين الخوف والرجاء فيطيروا بجناحي القبض والبسط إلى أن يصلوا إلى سرادقات الهيبة والأنس " [1]، فـ: " سلوك السالكين وطير الطائرين يجب أن يكون على قدمي الرجاء والخوف " [2].

فـ: "كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع أعمالكم، ولا تقطعوا أنكم وإن اجتهدتم قد أديتم حق ربكم، كقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ المؤمنون: ٦٠ [3].

وبين أن الخوف من لوازم العلم بالله، حيث قال: " فثبت أن خوف العبد من الله لا يحصل إلا إذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات، قادرا على كل المقدورات، غير راض بالمنكرات والمحرمات، فإذن الخوف من لوازم العلم بالله " [4].

الخلاصة:

اتضح من خلال العرض أن النيسابوري يرى أن من أركان العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وهو في ذلك يسير في مسار متواز مع أهل السنة والجماعة، فلا خلاف بينهم ولله الحمد والمنة.

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٣٢).

(٢) نفس المصدر (٤/ ٢٢٥)، وانظر: (٤/ ٥٢٤).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٢٥٨).

(٤) نفس المصدر (١/ ٢٣٢- ٢٣٣).

المبحث الثالث:

نواقض توحيد الألوهية

تَبيَّن من خلال المبحث السابق أن من شروط قبول العبادة الإخلاص لله ﷻ، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن ما يضاد الإخلاص، فمما ينافيه:

أولا: الشرك بالله تعالى:

أ- عرض رأي السلف:

الشرك أعظم ما عصي الله به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣، وقال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»(١).

وهو محبط للأعمال، كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥.

ومما يدل على خطورة الشرك أن من مات عليه من غير توبة فإنه لا يغفر له، كما قال تعال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ النساء: ٤٨، وإنما يخلد في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٦، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ المائدة: ٧٢. وقال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»(٢).

فيجب على المسلم أن يحذر الشرك بالله، فإن الله أخبر عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥، فهو مع عظم المنزلة التي نالها من ربه خاف على

(١) البخاري: كتاب الاستئذان، باب من اتكأ بين يدي أصحابه، برقم: ٦٢٧٣.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا، برقم: ١٥٢- (...).

نفسه الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: " ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم " [(١)].

والشرك في معناه العام: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه.

أما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل العبد لله ندا يعبده كعبادته، ويطيعه كطاعته [(٢)].

قال الشيخ سليمان آل الشيخ: " أن يجعل لله ندًا يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله. وبالجملة فهو أن يجعل الله ندًا يعبده كما يعبد الله " [(٣)].

وقال الشيخ حافظ حكمي: " وَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَنَفْيُ الْعِبَادَةِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَضِدُّ ذَلِكَ هُوَ صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى عَامَّةِ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ الْخُصُومَةُ بَيْنَ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهَا " [(٤)].

ب- عرض رأي النيسابوري:

النيسابوري يقرر عين ما قرره السلف في مسألة الشرك وخطورته، فيرى أن النزاع إنما وقع في توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فلم يعارض فيه المشركون، حيث قال: " واعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة، ولكن الثنوية يثبتون إلهين: حكيم يفعل الخير، وسفيه يفعل الشر. أما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين إليه كثرة: الفريق الأول: عبدة الكواكب، وهم الصابئة فإنهم يقولون: إن الله تعالى خلق هذه الكواكب

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للفوزان (١/ ٩٦).

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص: ١٤٦، بتصرف.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٧).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٤٥٩).

وهي المدبرات في هذا العالم، فيجب علينا أن نعبد الكواكب، والكواكب تعبد الله تعالى. والفريق الثاني: عبدة المسيح عليه السلام. والفريق الثالث: عبدة الأوثان "[(١)].

وتطرق لعظم جرم الشرك، فبين أنه أعظم الذنوب، فقال: " وقد يستدل بقوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ البقرة: ١٩١، على أن التوبة عن قتل العمد بل من كل ذنب مقبولة، لأن الشرك أعظم الذنوب"[(٢)]. وقال في موضع آخر: " وَالْفِتْنَةُ: أي الشرك "[(٣)].

وأنه ظلم عظيم، فقال: " ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ التوبة: ١٩، أي: المشركين، ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣، وأي ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الأصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه "[(٤)].

وأنه الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله إذا مات العبد عليه من غير توبة، حيث قال رحمه: " فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله "[(٥)].

فقد قال عز شأنه: "﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ التوبة: ١١٣، ومعناه النهي، أي: ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك. ثم علل المنع بقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ التوبة: ١١٣، لأنهم ماتوا على الشرك، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ النساء: ٤٨ "[(٦)].

فإن "كل الذنوب يحتمل العفو إلّا الشرك لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ النساء: ٤٨"[(٧)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٨٨).

(٢) نفس المصدر (١/ ٥٣٠).

(٣) نفس المصدر (١/ ٥٩٧).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٤٤)، وانظر: (١/ ٢٨٧)، و(٢/ ٢٦٦)، و(٣/ ١٠٩).

(٥) نفس المصدر (١/ ١١٤).

(٦) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٣٨).

(٧) نفس المصدر (٢/ ٤٧٥).

والله تبارك وتعالى " هددّ أهل الشرك بقوله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ فصلت: ٦ "[١]، و " أخبر عن فظاعة ما ارتكبوه فقال: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ الشورى: ٥ "[٢].

" ولا ريب أن المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان، لأنه بشركه يضيف بعض النعم الحاصلة في حقه من الله إلى غيره، فيستوجب الذم بالكفران، ويستحق الخذلان من حيث إنه لما فوض أمره إلى الشريك المعدوم أو العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين. وأيضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة، فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان"[٣].

ولذلك فيجب على العبد أن يتخلص من الشرك، فسورة الإخلاص سميت بذلك " لأنها تخلص العبد من الشرك أو من النار "[٤].

وأن يتطهر من أدناسه فإن معنى ﴿تَزَكَّىٰ﴾ الأعلى: ١٤: " تطهر من أدناس الشرك والمعاصي والعقائد الفاسدة "[٥]. و ﴿ يُزَكِّيهِمْ ﴾ البقرة: ١٧٤: "يطهرهم عن الشرك وسائر الأرجاس"[٦].

فـ: " لا صبغة أحسن من الإيمان بالله والدين الذي شرع لكم، ليطهركم به من أوضار الكفر وأوزار الشرك "[٧].

الخلاصة:

أن النيسابوري يوافق أهل السنة في التحذير من الشرك، وبيان خطورته وعظيم جرمه، وفظاعة ما ارتكبه المشرك بإشراكه مع الله، أجارنا الله من الشرك صغيره وكبيره.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٨).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٦٧).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٣٣٨).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٥٩٤).

(٥) نفس المصدر (٦/ ٤٨٦).

(٦) نفس المصدر (١/ ٤٠٤).

(٧) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤١٥).

ثانيا: الذبح لغير الله:

أ- عرض رأي السلف:

الذبح لغير الله على سبيل التقرب والتعظيم محرم، بل هو شرك أكبر مخرج عن الملة، لأن الذبح على وجه القربة عبادة يجب صرفها إلى الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣، وقوله عز شأنه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢، ولقوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ» [(١)].

قال ابن كثير: " أمره تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ، أَيْ: أخلص له صلاتك وذبحك، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى " [(٢)].

وقال العلامة الشنقيطي: " لِأَنَّ الذَّبحَ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبَةِ عِبَادَةٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ ﴾.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ جَعَلَهُ شَرِيكًا مَعَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ الذَّبْحُ، سَوَاءٌ كَانَ نَبِيًّا أَوْ مَلَكًا أَوْ بِنَاءً أَوْ شَجَرًا أَوْ حَجَرًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ صَالِحٍ وَطَالِحٍ " [(٣)].

وقال الإمام النووي: " وَأَمَّا الذبح لِغَيْرِ اللَّهِ فَالْمُرَادُ بِهِ أَنْ يَذْبَحَ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ أَوِ الصليب أو لموسى أولعيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فكل هذا

---

(١) مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله، ولعن فاعله، برقم: ٤٣- (١٩٧٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٣).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي (ص: ٧٩).

حرام ولاتحل هَذِهِ الذَّبِيحَةُ سَوَاءٌ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابُنَا فَإِنْ قَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعِبَادَةَ لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا فَإِنْ كَانَ الذَّابِحُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا "[١] .

قال الشيخ الفوزان: " النُّسُك المراد به: ما يذبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب والعبادة، كهَدْي التمتُّع والقِران، وهَدْي التطوُّع، وهَدْي الجُبران، والأضاحي، والعقيقة، هذه كلها تُسمى نُسُكاً، فما ذُبح من بهيمة الأنعام على وجه التقرّب إلى الله تعالى بذبحه، فهو النُّسُك.

وكان الذبح على وجه التقرُّب موجوداً في الجاهلية، كانوا يذبحون للأصنام، ويذبحون للجن، ويذبحون للكواكب، يذبحون لغير الله ﷻ...

فالنبي ﷺ بيّن أن دينه مخالف لدين المشركين، فالمشركون يذبحون لغير الله، والنبي ﷺ ومَن اتبعه يذبحون لله وحده لا شريك له، كما أنهم لا يصلُّون إلاَّ لله، فكذلك لا يذبحون إلاَّ لله ﷻ، وقَرْن النُّسُك بالصلاة يدلّ على أنه عبادة عظيمة، لا يجوز صرفها لغير الله، والنسك قد تساهل فيه كثير من الناس فصاروا يذبحون للجن طاعة للمُشَعْوِذِين من أجل العلاج بزعمهم"[٢] .

فإذن الذبح على وجه القربة عبادة لا يجوز صرفه لغير الله كائنا من كان، فإن الذبح لغير الله على سبيل التقرب والتعظيم شرك أكبر مخرج عن الملة.

ب- عرض رأي النيسابوري:

النيسابوري يرى أن الذبح عبادة يجب أن لايصرف إلا لله، كما قرره أهل السنة، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ .لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣: " أي عبادتي وتقربي إليه، ... وقيل: المراد بالنسك

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٤١).

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ١٦٥).

هاهنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾، ... وفيه أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت، بل لا بد أن يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين، ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ من الإخلاص ﴿ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته "[(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢: " والمناسبة بين نحر البدن وبين جنس الصلاة أن المشركين كانت صلاتهم وقرابينهم للأصنام فأمر ﷺ بأن تكون صلاته وقربانه لله تعالى "[(٢)].

الخلاصة:

لا مخالفة بين رأي النيسابوري وما قرره السلف من كون الذبح عبادة لا بد أن يكون خالصا لله وحده لا شريك له.

ومما يضاد إخلاص العبادة كذلك، التبرك بقبور الصالحين، والطواف حولها، ودعاء الأموات، والنذر لغير الله، وتعليق التمائم، والرقى الشركية، وغير ذلك.

غير أن النيسابوري لم يتطرق لها بالتفصيل، وكونها عبادات يجب صرفها لله وحده لا شريك له، إلا ما قرره بوجه عام من وجوب إخلاص العبادة لله دون سواه.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٩٣- ١٩٤).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٥٧٨).

الباب الأول: **الإيمان بالله**

الفصل الخامس

توحيد الأسماء والصفات

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: رأي النسابوري في أسماء الله وصفاته إجمالا.

المبحث الثاني: رأي النسابوري في صفات الله تفصيلا.

المبحث الأول:

رأي النيسابوري في أسماء الله وصفاته إجمالا

أولا: المراد بأسماء الله الحسنى في الشرع، والإيمان بها:

هي كل ما سمى الله به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ ، الدالة على ذاته تعالى، المتضمنة لصفات الكمال ونعوت الجلال المطلق، والمنزهة عن كل عيب ونقص[١].

وموقف السلف منها هو إثباتها على أنها أسماء حسنى تسمى الله بها، وتعبده ودعاؤه بها.

قال الإمام البغوي: " وَقِيلَ أَسْمَاءُ اللَّهِ أَوْصَافُهُ، وَأَوْصَافُهُ مَدَائِحُ لَهُ لَا يُمْدَحُ بِهَا غَيْرُهُ "[٢].

وقال العلامة ابن القيم: " أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله. فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم "[٣].

وقال السفَّارِيني: " وَالْمُرَادُ بِأَسْمَائِهِ - تَعَالَى - مَا دَلَّ عَلَى مُجَرَّدِ ذَاتِهِ كَـ: اللَّهِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ الصِّفَةِ كَالْعَالِمِ وَالْقَادِرِ"[٤].

وقال العلامة السعدي: " أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها "[٥].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٤)، مفهوم الأسماء والصفات (٤٥/ ٧٩)، أسماء الله وصفاته (ص: ١٢).

(٢) شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٩).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ١١٩).

(٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٨١).

وقال العلامة ابن عثيمين: " أسماء الله تعالى كل ما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به أعلم الخلق به رسوله محمد ﷺ.

وموقف أهل السنة من هذه الأسماء أنهم يؤمنون بها على أنها أسماء لله تسمى بها الله عزوجل، وأنها أسماء حسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠ " [(١)].

عرض رأي النيسابوري:

قال النيسابوري: " وأما الإيمان بأسمائه فهي الأسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات أنبيائه المرسلة ... فهذا هو الإشارة إلى معاقد الإيمان بالله" [(٢)].

الخلاصة:

رأي النيسابوري في المراد بالإيمان بالأسماء الحسنى لا خلاف فيه في الجملة، وذلك أنه نفى كثيرا من الصفات بداعي أن إثباتها يستلزم التشبيه، كما سيتضح لاحقا.

ثانيا: أسماء الله كلها حسنى، وهي أعلام وأوصاف، وليست أعلاما محضة:

قال النيسابوري: " ومعنى حسن الأسماء: حسن معانيها ومفهوماتها، لأنها أسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال" [(٣)]. " ومعنى حسن الأسماء استقلالها بنعوت الجلال والإكرام " [(٤)]. " ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾الإسراء: ١١٠: أي كل اسم من أسمائه حسن" [(٥)].

فـ:" الأسماء الحسنى لا تكون إلا لله تعالى، لأن كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود، وكل نقص وخساسة فإنه يعقب الإمكان، وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال

---

(١) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها لابن عثيمين (ص: ١٢).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٨٧).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٣٥١).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٣٩٨).

(٥) نفس المصدر (٤/ ٤٠٠).

وجلال فإنه لا يجوز إطلاقه على الله تعالى. ومن هنا اختلف في أنه هل يطلق عليه اسم الشيء أم لا؟ " [(١)].

الخلاصة:

ما ذهب إليه النيسابوري لا خلاف فيه مع رأي أهل السنة والجماعة.

قال العلامة سليمان آل الشيخ: " حسنى أي: حسان. وقد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها، كما يدل عليه من صفات الكمال، ونعوت الجلال، فأسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها " [(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: " ومعنى الحسنى؛ أي: البالغة في الحسن أكمله؛ لأن اسم التفضيل يدل على هذا، والتفضيل هنا مطلق؛ لأن اسم التفضيل قد يكون مطلقا مثل: زيد الأفضل، وقد يكون مقيدا مثل: زيد أفضل من عمرو. وهنا التفضيل مطلق؛ لأنه قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فأسماء الله تعالى بالغة في الحسن أكمله من كل وجه، ليس فيها نقص لا فرضا ولا احتمالا " [(٣)]. " لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا. مثال ذلك: "الحي" اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال. الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٥٢- ٥٥٣).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، لاين عثيمين (٢/ ٣١٣- ٣١٤).

(٤) القواعد المثلى، لاين عثيمين (ص: ٦- ٨)، وانظر: فقه الأسماء الحسنى، لـ: عبد الرزاق البدر، ص: ٥٠.

ثالثا: أسماء الله توقيفية:

قال النيسابوري: " اختلفوا في أسماء الله تعالى توقيفية أم لا. فمال بعضهم إلى التوقيف لأنا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا وفقيها ومستيقنا، فلولا أن أسماءه توقيفية لوصف بمثلها وإن كان على سبيل التجوز.

القائلون بعدم التوقيف احتجوا بأن أسماء الله تعالى وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وأن شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الأخبار، مع أن المسلمين أجمعوا على جواز إطلاقها. والجواب أن عدم التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية، وبأن الله تعالى قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٨٠، وكل اسم دل على صفات الكمال ونعوت الجلال كان حسنا ويجوز إطلاقه. والجواب أنه يجوز ولكن بعد التوقيف" [(١)].

وقال رحمه الله: " قال بعض العلماء: إن ورود الإذن في بعض الأسماء لا يجوز إطلاق سائر الألفاظ المشتقة منه عليه، فلا يجوز أن يقال: يا معلم، وإن ورد ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ البقرة: ٣١ [(٢)].

الخلاصة:

النيسابوري يرى أن أسماء الله كلها حسنى، وأنها توقيفية، وهذ في مجمله متوافق مع ما ذهب إليه أهل السنة، فإن الأشاعرة متوافقون مع أهل الإثبات في هذه المسألة، قال الجويني: "ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله تعالى وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتحليل ولا تحريم، فإن الأحكام الشرعية تُتَلقى من موارد السمع" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧٣).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٣٥٢).

(٣) الإرشاد للجويني، ص: ١٤٣.

وكون أسماء الله توقيفية: أي أنها متوقفة على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ ، بلا زيادة أو نقص.

لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٦، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٣.

ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص [(١)].

قال ابن القيم: " فأسماؤه أحسن الأسماء، كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا نعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون" [(٢)].

قال الإمام أبو حنيفة: " لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته، ولكن يصفه بما وصف سبحانه به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئا، تبارك الله تعالى رب العالمين" [(٣)].

وقال الإمام ابن خزيمة[(٤)]: " فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا" [(٥)].

---

(١) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ١٣).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٨)، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٥٥٢- ٥٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٧٣)، تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٤٧٢).

(٤) هو أَبُو بَكْرٍ، مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ صَالِحِ بنِ بَكْرٍ السُّلَمِيُّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، الشَّافِعِيُّ، محدث، فقيه، وُلِدَ سنة: ٢٢٣هـ، وتوفي سنة: ٣١١هـ، من مصنفاته: التوحيد وإثبات صفة الرب، صحيح ابن خزيمة، انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، شذرات الذهب (٤/ ٥٧)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩)، معجم المؤلفين (٩/ ٣٩).

(٥) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٦).

وقال ابن أبي زَمَنِين[1] : " وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِاَللَّهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ، يَرَوْنَ اَلْجَهْلَ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ عِلْمًا، وَالْعَجْزَ عَمَّا لَمْ يُدَّعَ إِيمَانًا، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَى حَيْثُ اِنْتَهَى فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ "[2].

رابعا: الإخبار عن الله ليس توقيفيا:

قال النيسابوري: " ومنها كونه تعالى معلوما ومذكورا مسبَّحا ممجَدا، فيقال: يا أيها المسبح بكل لسان، ويا أيها الممدوح عند كل إنسان، ويا أيها المرجوع إليه في كل حين وأوان. ولما كان هذا النوع من الإضافات غير متناه كانت الأسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية"[3].

نقد رأي النيسابوري:

يفهم من كلام النيسابوري أنه يرى أن الإخبار عن الله تعالى ليس توقيفيا، لأنه قال: "ولما كان هذا النوع من الإضافات غير متناه كانت الأسماء **الممكنة لله** بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية"، فيفهم من قوله "**الممكنة لله**" أنها غير ثابتة له بالنص الشرعي، فإنه رحمه الله اشترط الإذن الشرعي لإطلاق الاسم على الله، فلا يشتق من كل صفة أو فعل اسم له سبحانه وتعالى، كما مر.

بيد أنه مع قوله بالتوقيف إلا أنه يثبت لله أسماء لم تثبت بالكتاب والسنة، ك: الذات، والشيء، والشخص، والنفس، والصورة، والموجود، وواجب الوجود لذاته، والكائن، والصانع.

---

(١) هو أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عِيْسَى بن مُحَمَّدٍ المرِّيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، الإلبيري، المعروف بابن أبي زَمَنِين، فقيه مالكي، محدث، فقيه، أصولي، مفسر، صوفي أديب، شاعر، سكن قرطبة، ثم عاد إلى إلبيرة، فتوفي بها، وُلِدَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ: ٣٢٤هـ، وتوفي فِي رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَة: ٣٩٩هـ، من مصنفاته: مُنْتَخب الأَحكَام، مُوْخْتَصر تَفْسِيْر ابْنِ سَلاَّمٍ، حَيَاة القُلُوْبِ، أُصُوْل السُّنَّة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨- ١٨٩)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٧)، معجم المؤلفين (١٠/ ٢٢٩).

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٦٠).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٩).

قال رحمه الله: " الأسماء الدالة على الوجود منها: **الشيء** ويجوز إطلاقه على الله تعالى عند الأكثرين لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ الأنعام: ١٩... ومنها: **الموجود**، وأطبق المسلمون على جواز إطلاقه عليه تعالى ... ومنها **الذات** ولا شك في جواز إطلاقه عليه ... ومنها **النفس** قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ المائدة: ١١٦، ومنها **الشخص**، قال ﷺ: «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، ولا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، ولا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ،وَمِنْ أجل ذلك وعد الجنة»[(١)] . . . ومنها: **الصورة** . . . ومنها: **واجب الوجود لذاته** ... ومنها: **الكائن**"[(٢)].

وقال: " الحمد لله: إشارة إلى إثبات الصانع المختار العليم الحكيم"[(٣)]. " وأيضا كل ما في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع"[(٤)].

كما أن النيسابوري عدَّ من أسماء الله ﷻ الأسماء المضمرة، كـ: " أنا "، و" أنت"، و"هو"، فقال: " (العاشر في الأسماء المضمرة)، قال عز من قائل: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ طه: ١٤، ولا يصح لغيره هذا الذكر إلا حكاية ... وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧، ولا يصح هذا إلا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة. وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ البقرة: ٢٥٥، وإنما يصح هذا من الغائبين"[(٥)].

فإدخال أمثال هذه الأسماء يتعارض مع القول بالتوقيف، وهذا لعله – والله أعلم – ناتج عن عدم التفريق بين باب الإخبار عنه تعالى، وبين باب التسمية، فالواجب التفريق بينهما،

(١) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (١/ ٢٣٠)، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٦-٦٨).
(٣) نفس المصدر (١/ ١١٥).
(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٨٢).
(٥) نفس المصدر (١/ ٧٢).

لأن باب التسمية متوقف على النص، بخلاف باب الإخبار، فيدخل في الثاني مالا يدخل في الأول.

كما قال ابن القيم: "ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا " (1).

وقال: " الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها وهذا ك: المريد والفاعل والصانع فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا وخبرا" (2).

قال شيخ الإسلام: " وَيُفَرِّقُ بَيْنَ دُعَائِهِ وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ فَلَا يُدْعَى إلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ: فَلَا يَكُونُ بِاسْمِ سَيِّئٍ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ بِاسْمِ حَسَنٍ أَوْ بِاسْمِ لَيْسَ بِسَيِّئٍ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ بِحُسْنِهِ. مِثْلَ اسْمِ شَيْءٍ وَذَاتٍ وَمَوْجُودٍ؛ إذَا أُرِيدَ بِهِ الثَّابِتُ وَأَمَّا إذَا أُرِيدَ بِهِ " الْمَوْجُودُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ فَهُوَ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ وَالْمُتَكَلِّمُ؛ فَإِنَّ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ تَنْقَسِمُ إلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى بِخِلَافِ الْحَكِيمِ وَالرَّحِيمِ وَالصَّادِقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إلَّا مَحْمُودًا" (3).

رأي النيسابوري في الألفاظ المجملة:

إن مما يحمد للإمام أنه يرى عدم جواز إطلاق الجوهر والجسم والمتحيز والقديم، على الله، لعدم الإذن الشرعي، حيث قال: "ومنها **الجوهر**، وأنه لا يطلق عليه بمعنى موجود لا في

---

(1) بدائع الفوائد (1/ 161) وانظر: مجموع الفتاوى 6/ 142، 143، مدارج السالكين (3/ 383- 384)، القول المفيد (2/ 314).

(2) بدائع الفوائد (1/ 161).

(3) مجموع الفتاوى (6/ 142).

موضوع، أي إذا وجد كان وجودهن بحيث لا يحتاج إلى محل يقوم به ويستغني المحل عنه، لأن ذلك ينبيء عن كون وجوده زائدا على ماهيته.

وإنما يمكن أن يطلق عليه بمعنى آخر، وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر إلى شيء في شيء أصلا، لكن الإذن الشرعي حيث لم يرد بذلك وجب الامتناع عنه.

ومنها **الجسم**، ولا يطلقه عليه إلا المجسمة، فإن أرادوا الجوهر القابل للأبعاد الثلاثة فمحال للزوم التركيب والتجزيء، وإن أرادوا معنى يليق بذاته من كونه موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالإذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع" [١].

وقال عن: القديم، والسرمدي، والممتد، والمستمر: " ولا يخفى أن أمثال هذه الألفاظ إنما يصح إطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات، وأما في حق الله جل ذكره فلا يصح إلا بالمجاز بعد التوقيف" [٢].

وقال: "وقد بقي هاهنا أسماء يطلقها عليه تعالى أهل التشبيه، كـ: كونه متحيزا، أو حالا في المتحيز، استبعادا منهم أنه كيف يكون موجود خاليا عن كلا الوصفين" [٣].

فالنيسابوري لا يرى تسمية الله بمثل هذه الأسماء، لأنه لم يرد الإذن الشرعي في الكتاب والسنة، وهذا مما يحمد له رحمه الله، لأنه يتوافق مع رأي أهل السنة.

قال شيخ الإسلام: " إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: إِنَّ الْبَارِي تَعَالَى جِسْمٌ.

قِيلَ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْأَجْزَاءِ كَالَّذِي كَانَ مُتَفَرِّقًا فَرُكِّبَ؟ أَوْ أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّفْرِيقَ: سَوَاءٌ قِيلَ: اجْتَمَعَ بِنَفْسِهِ، أَوْ جَمَعَهُ غَيْرُهُ؟ أَوْ أَنَّهُ مَنْ جِنسِ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؟ أَوْ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ؟ أَوْ مِنْ الْجَوَاهِرِ الْمُنْفَرِدَةِ؟

فَإِنْ قَالَ هَذَا. قِيلَ: هَذَا بَاطِلٌ.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٧).

(٢) نفس المصدر (١/ ٦٦- ٦٨).

(٣) نفس المصدر (١/ ٧٢).

وَإِنْ قَالَ: أُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ مَوْجُودٌ أَوْ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ ... أَوْ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالصِّفَاتِ، أَوْ أَنَّهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، أَوْ أَنَّهُ يُمْكِنُ رُؤْيَتُهُ، أَوْ أَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ فَوْقَهُ، وَنَحْوُ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّابِتَةِ بِالشَّرْعِ وَالْعَقْلِ.

قِيلَ لَهُ: هَذِهِ مَعَانٍ صَحِيحَةٌ، وَلَكِنَّ إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى هَذَا بِدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ، مُخَالِفٌ لِلُّغَةِ. فَاللَّفْظُ إِذَا احْتَمَلَ الْمَعْنَى الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَمْ يُطْلَقْ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُثْبِتًا لِلْحَقِّ نَافِيًا لِلْبَاطِلِ" [(١)].

خامسا: من أسماء الله ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه إلا مقترنا بمقابله:

قال النيساوري: " ومنها أن يقال من الأسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا: يا الله، يا رحمن، يا حي، يا حكيم. ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا: مميت، وضارّ، فإنه لا يجوز إفراده بالذكر، بل يجب أن يقال: يا محيي يا مميت، يا ضار يا نافع [(٢)].

وهذا متوافق مع مذهب أهل السنة والجماعة.

قال ابن القيم: "أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره وهو غالب الأسماء، فالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم وهذا يسوغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغيره، فتقول: يا عزيز يا حليم يا غفور يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل، لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، لأنه يراد به أنه المنفرد

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢١١- ٢١٤)، وانظر: (٢/ ١٣٤)، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٠)، و(٦/ ١٠٢)، الصفدية (١/ ١١٧).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥١).

بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعا ونفعا وضرا وعفوا وانتقاما، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه، فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها" [(١)].

سادسا: أسماء الله غير محصورة بعدد:

يرى النيسابوري أن أسماء الله تعالى لا تنحصر بعدد، حيث قال رحمه الله: "وقد عرفت في تفسير البسملة أن أسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر"[(٢)].

ورأيه يتفق مع رأي أهل السنة والجماعة، قال النووي في شرح قوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٣)]: " وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ، وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارِ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ " [(٤)].

---

(١)بدائع الفوائد (١/ ١٦٧)، فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى لابن القيم (ص: ٤١).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥١).

(٣) البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط، ص: ٥٥٣، برقم: ٢٧٣٦.

مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ٢٠٦٣/٤، برقم: ٦-(..).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).

سابعا: أسماء الله يدعى بها ويتعبد الله بها:

وفي هذا يقول النيسابوري: " أما قوله: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف: ١٨٠، ففيه دليل على أن الإنسان لا يجوز أن يدعو ربه إلا بتلك الأسماء الحسنى بعد أن عرف معانيها ويكون مستحضرا الأمرين: عزة الربوبية وذلة العبودية" [(١)].

وهذا متوافق مع رأي أهل السنة، قال ابن القيم: " وَتَعَبُّدِهِمْ لَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، إِذْ كَلُّ اسْمٍ فَلَهُ تَعَبُّدٌ مُخْتَصٌّ بِهِ، عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَحَالًا، وَأَكْمَلُ النَّاسِ عُبُودِيَّةً الْمُتَعَبِّدُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي يَطَّلِعُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، فَلَا تَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمٍ عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمٍ آخَرَ، كَمَنْ يَحْجُبُهُ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ الْقَدِيرِ عَنِ التَّعَبُّدِ بِاسْمِهِ الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ، أَوْ يَحْجُبُهُ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الْمُعْطِي عَنْ عُبُودِيَّةِ اسْمِهِ الْمَانِعِ، أَوْ عُبُودِيَّةُ اسْمِهِ الرَّحِيمِ وَالْعَفُوِّ وَالْغَفُورِ عَنِ اسْمِهِ الْمُنْتَقِمِ، أَوِ التَّعَبُّدُ بِأَسْمَاءِ التَّوَدُّدِ، وَالْبِرِّ، وَاللُّطْفِ، وَالْإِحْسَانِ عَنْ أَسْمَاءِ الْعَدْلِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْكُمَّلِ مِنَ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ طَرِيقَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ قَلْبِ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف: ١٨٠، وَالدُّعَاءُ بِهَا يَتَنَاوَلُ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، وَدُعَاءَ الثَّنَاءِ، وَدُعَاءَ التَّعَبُّدِ" [(٢)].

ثامنا: مسألة الاسم هو الله أو غيره:

النيسابوري يرى أنه إذا أريد بالاسم اللفظ الدال على المسمى؛ فهو غير الله ﷻ وإن أريد بالاسم مدلول ذلك اللفظ؛ فهو المسمى، أي الاسم هو الله.

قال النيسابوري: " قال بعض المتكلمين ومنهم الأشعري: إن الاسم غير المسمى وغير التسمية، وهو حق، **لأن** الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما، كلفظ المعدوم والمنفي ونحو ذلك، وقد يكون بالعكس كالحقائق التي لم توضع لها أسماء، **ولأنّ** الأسماء قد تكون كثيرة مع كون المسمى واحدا، كالأسماء المترادفة، وكأسماء الله التسعة والتسعين، أو بالعكس كالأسماء

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٢٠- ٤٢١).

المشتركة، **ولأن** كون الاسم اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الإضافة كالمالكية والمملوكية، والمضافان متغايران لا محالة. ولا يشكل ذلك بكون الشخص عالما بنفسه لأنهما متغايران اعتبارا، **ولأن** الاسم أصوات وحروف هي أعراض غير باقية، والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته، **ولأنه** لا يلزم من التلفظ بالعسل وجود الحلاوة في اللسان، ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة ".

إلى أن قال: " إذا قال الرجل: زينب طالق. وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا. قلنا: المراد الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق، فلهذا وقع الطلاق عليها، والتسمية أيضا مغايرة للمسمى وللاسم، لأنها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة، وذلك التعيين معناه قصد الواضع وإرادته، والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فافترقا " [١].

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١ : " ومن الناس من تمسك بالآية في أن الاسم نفس المسمى لأن التسبيح أي التنزيه إنما يكون للمسمى لا للاسم. وأجاب المحققون عنه بأن الاسم صلة كقوله: «ثم اسم السلام عليكما» . سلمنا أنه غير صلة ولكن تسبيح اسمه تنزيهه عما لا يليق معناه بذاته تعالى أو صفاته أو بأفعاله أو بأحكامه، فإن العقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة لم تنشأ إلا من هذه، ومن جملة ذلك أن يصان اسمه عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم، وأن لا يسمى غيره بأسمائه الحسنى، وأن لا يطلق عليه من الأسامي إلا ما ورد به الإذن الشرعي. قال بعض العلماء: لعل الذين نقل عنهم أن الاسم نفس المسمى أرادوا به أن الاسم الذي حدّوه بأنه ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمان هو نفس مدلول هذا الحد" [٢].

إذن النيسابوري يرى أنه إذا أريد بالاسم اللفظ الدال على المسمى؛ فهو غير الله ﷻ وإن أريد بالاسم مدلول ذلك اللفظ؛ فهو المسمى، وهذا يتوافق مع مذهب أهل السنة.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٤).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٤٨٢- ٤٨٣).

قال الشيخ ابن عثيمين: " وإذا قيل: اكتب باسم الله. فكتبت بسم الله؛ فالمراد به الاسم دون المسمى، وإذا قيل: اضرب زيدا. فضربت زيدا المكتوب في الورقة لم تكن ممتثلا؛ لأن المقصود المسمى، وإذا قيل: اكتب زيد قائم؛ فالمراد الاسم الذي هو غير المسمى" [(١)].

وقال ابن القيم: " واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال، عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان، وهو المسمى، واللفظ الدال عليه الذي هو الزاي والياء والدال هو الاسم، وهذا اللفظ أيضا قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه، فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى ولهذا تقول سميت هذا الشخص بهذا الاسم كما تقول حليته بهذه الحلية والحلية غير المحلى فكذلك الاسم غير المسمى ".

وقال: " وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى، بقيت هاهنا التسمية، وهي التي اعتبرها من قال باتحاد الاسم والمسمى، والتسمية: عبارة عن فعل المسمِّي ووضعه الاسم للمسمَّى، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلِّي ووضعه الحلية على المحلَّى، فهنا ثلاث حقائق اسم ومسمى وتسمية، كحلية ومحلى وتحلية ... وإذا جعلت الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاثة ولا بد" [(٢)].

وقال شيخ الإسلام: " وَأَنَّ حَسْبَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْتَهِيَ إلَى قَوْله تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الِاسْمَ لِلْمُسَمَّى. وَهَذَا الْإِطْلَاقُ اخْتِيَارُ أَكْثَرِ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ. وَالَّذِينَ قَالُوا الِاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى كَثِيرٌ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ ".

وقال: " وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ الِاسْمَ هُوَ الْمُسَمَّى لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَ الْمُؤَلَّفَ مِنْ الْحُرُوفِ هُوَ نَفْسُ الشَّخْصِ الْمُسَمَّى بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ. وَلِهَذَا يُقَالُ: لَوْ كَانَ الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ مَنْ قَالَ " نَارٌ " احْتَرَقَ لِسَانُهُ. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا مُرَادُهُمْ وَيُشَنِّعُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا غَلَطٌ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: اللَّفْظُ هُوَ التَّسْمِيَةُ، وَالِاسْمُ لَيْسَ هُوَ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٨٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦– ١٧).

اللَّفْظُ؛ بَلْ هُوَ الْمُرَادُ بِاللَّفْظِ؛ فَإِنَّك إذَا قُلْت: يَا زَيْدُ يَا عُمَرُ فَلَيْسَ مُرَادُك دُعَاءَ اللَّفْظِ؛ بَلْ مُرَادُك دُعَاءُ الْمُسَمَّى بِاللَّفْظِ وَذَكَرْت الِاسْمَ فَصَارَ الْمُرَادُ بِالِاسْمِ هُوَ الْمُسَمَّى. وَهَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ إذَا أَخْبَرَ عَنْ الْأَشْيَاءِ فَذُكِرَتْ أَسْمَاؤُهَا فَقِيلَ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾الفتح: ٢٩، ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾الأحزاب: ٤٠، ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤، فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ هُوَ الرَّسُولُ وَهُوَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ ...

فَلَمَّا كَانَتْ أَسْمَاءُ الْأَشْيَاءِ إذَا ذُكِرَتْ فِي الْكَلَامِ الْمُؤَلَّفِ فَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُوَ الْمُسَمَّيَاتُ: قَالَ هَؤُلَاءِ: " الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى " وَجَعَلُوا **اللَّفْظَ** - الَّذِي هُوَ الِاسْمُ عِنْدَ النَّاسِ - هُوَ **التَّسْمِيَةُ** كَمَا قَالَ البغوي: وَالِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى وَعَيْنُهُ وَذَاتُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ مريم: ٧، أَخْبَرَ أَنَّ اسْمَهُ يَحْيَى. ثُمَّ نَادَى الِاسْمَ فَقَالَ: يَا يَحْيَ، وَقَالَ: ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءً سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾ يوسف: ٤٠، وَأَرَادَ الْأَشْخَاصَ الْمَعْبُودَةَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمُسَمَّيَاتِ ... قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ " لِلتَّسْمِيَةِ " أَيْضًا اسْمٌ. وَاسْتِعْمَالُهُ فِي التَّسْمِيَةِ أَكْثَرُ مِنْ الْمُسَمَّى " [1].

تاسعا: الإلحاد في أسماء الله:

قال النيسابوري: " والإلحاد في أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه:

الأوّل: إطلاق أسمائه المقدسة على الأصنام، كاشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه الرحمن.

والثاني: أن يسموه بما لا يجوز عليه، كما سمع عن البدو وإن قالوا بجهلهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا نَخِيُّ، بناء على أن النخوة مدح.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧- ١٨٩)، وانظر: شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٩)، بدائع الفوائد (١/ ١٦- ١٧)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١١٩- ١٢٠).

الثالث: أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا "[1].

وقال رحمه الله: "ولكن تسبيح اسمه تنزيهه عما لا يليق معناه بذاته تعالى أو صفاته أو بأفعاله أو بأحكامه، فإن العقائد الباطلة والمذاهب الفاسدة لم تنشأ إلا من هذه، ومن جملة ذلك أن يصان اسمه عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم، وأن لا يسمى غيره بأسمائه الحسنى، وأن لا يطلق عليه من الأسامي إلا ما ورد به الإذن الشرعي"[2].

وهذا متوافق مع رأي السلف، قال ابن القيم: "فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك، وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود إنه فقير وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه وقولهم: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته، ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة"[3].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٥٢).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٤٨٣).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩- ١٧٠)، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: ٢٧) و (ص: ٥٦٠- ٥٦٢)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ١٦- ١٧)، القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٣١٧- ٣١٨)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٢١٢- ٢١٣).

عاشرا: أزلية الصفات وقيامها بالذات الإلهية:

النيسابوري يرى أن صفات الله أزلية حيث قال رحمه الله تعالى: " نفي الصفات تعطيل، وإثبات الصفات الحادثة تشبيه، والعدل إثبات صفات **أزلية** قديمة غير متغيرة"[(١)].

وقال رحمه الله تعالى: "كلامه تعالى **أزلي** إلا أن حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت أن يكون كلامه على حسب وصوله إلى السامعين" [(٢)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ آل عمران: ١٨ : "﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ** ﴾ بكلامه **الأزلي** عن عمله السرمدي على ذاته الأحدي وكونه الصمدي ﴿**أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ﴾، وهي شهادة الحق للحق بالحق أنه الحق، وهو متفرد بهذه الشهادة الأزلية الأبدية لا يشاركه فيها أحد، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات، فشهادته لا تشبه الشهادات" [(٣)].

وقال: " إنه تعالى عالم بكل المعلومات **أزلا وأبدا** "[(٤)]. " إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ في **الأزل**" [(٥)].

وقال رحمه الله: " القسم الثاني في الأسماء الدالة على كيفية الوجود، منها: القديم، وهو في اللغة: يفيد طول المدة، وفي الشرع يرادفه **الأزلي**، ويراد بهما ما لا أول له في الطرف الماضي، ك:**الأبدي** في الطرف المستقبل" [(٦)].

وما ذهب إليه النيسابوري من إثبات صفات أزلية مخالف لما عليه السلف، فإنهم يعتقدون أن صفات الله ﷻ أزلية وأبدية، أزلية من جهة الابتداء، أي لا أول لها في الطرف الماضي، وهي أبدية من جهة الانتهاء، أي لا آخر لها في الطرف المستقبل.

---

(١)تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٨).
(٢) نفس المصدر (١ / ١٥١).
(٣) نفس المصدر (٢/ ١٣٣- ١٣٤).
(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٣٥).
(٥) نفس المصدر (٥/ ٢٩٠).
(٦) نفس المصدر (٤/ ٢٩٩).

قال الإمام الطحاوي: "مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا".

وقال ابن أبي العز شارحا كلام الطحاوي: " أَيْ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ: صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وُصِفَ بِصِفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا، لِأَنَّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، وَفَقْدَهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْكَمَالُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِضِدِّهِ" [(١)].

وقال الإمام البغوي: " وَلا يُعْتَقَدُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهَا هُوَ وَلا غَيْرُهُ، بَلْ هِيَ صِفَاتٌ لَهُ أَزَلِيَّةٌ، لَمْ يَزَلْ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَلا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [(٢)].

الحادي عشر: صفات الله لا تشبه صفات المخلوق:

يعتبر النيسابوري أنه لا تشابه بين صفات الخالق تبارك وتعالى وبين صفات المخلوق حيث قال: " فكما أن ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات، فشهادته لا تشبه الشهادات" [(٣)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ الشورى: ١١ : "نفي المثلية عنه بطريق الالتزام، وذلك أنه لو كان له مثل والله تعالى شيء، لكان مثل مثله شيء، وهو خلاف نص المخبر الصادق، وهذا المحال إنما لزم من فرض وجود المثل له، فوجود المثل محال وهو المطلوب"[(٤)].

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ١٢٤).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ١٨٠).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٣٣- ١٣٤).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٧٠).

ورأي النيسابوري في المسألة لا يبعد في الجملة عن رأي السلف، فأهل السنة متفقون على أن اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، وأنه – ﷻ – لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ.

قال ابن أبي العز: " قوله: "ولا شيء مِثْلُهُ": اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ" [(١)].

وقال الإمام البغوي في إثبات الصفات: " فَهَذِهِ وَنَظَائِرُهَا صِفَاتٌ لِلَّهِ ﷻ، وَرَدَ بِهَا السَّمْعُ، يَجِبُ الإِيمَانُ بِهَا، وَإِمْرَارُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا مُعْرِضًا فِيهَا عَنِ التَّأْوِيلِ، مُجْتَنِبًا عَنِ التَّشْبِيهِ، مُعْتَقِدًا أَنَّ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِهِ صِفَاتِ الْخَلْقِ، كَمَا لَا تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَوَاتِ الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١. وَعَلَى هَذَا مَضَى سَلَفُ الأُمَّةِ وَعُلَمَاءُ السُّنَّةِ، تَلَقَّوْهَا جَمِيعًا بِالإِيمَانِ وَالْقَبُولِ، وَتَجَنَّبُوا فِيهَا عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّأْوِيلِ، وَوَكَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ ﷻ" [(٢)].

غير أن النيسابوري خالف ما قرره نظريا عند تطبيقه على بعض الصفات، فإنه تحاشا إثبات بعض الصفات اللائقة بجلال الله وعظمته بداعي التشبيه، وهذا لا شك أنه اضطراب في المنهج [(٣)].

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٩٨).

(٢) شرح السنة للبغوي (١/ ١٧٠).

(٣) كما سيتبين في المبحث التالي، فأنه نفى جملة من الصفات الثابتة: كصفة العلو، والاستواء، وغيرها.

المبحث الثاني:

رأي النيسابوري في صفات اللّه تفصيلا

النيسابوري رحمه الله تعالى أثبت بعضا من الصفات على غرار السلف، وأثبت بعضها على خلاف طريقة السلف، ونفى كثيرا منها أو تأولها بتأويلات باطلة، وهو في ذلك سلك منهج الأشاعرة، وبناء عليه فإن الحديث في هذا المطلب سيكون عن الصفات التي أثبتها متوافقا مع السلف رحمهم لله تعالى ك: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، وصفة القرب والمعية، والاستهزاء ، والمكر، والكيد، والخداع.

ويليها الحديث عن الصفات التي أثبتها على خلاف طريقة السلف رحمهم الله تعالى، ك: كصفة الكلام، وإثبات الرؤية.

ثم الحديث عن الصفات التي نفاها أو تأولها مخالفا للسلف رحمهم الله تعالى، ك: العلو والفوقية، والاستواء، والإتيان والمجيء، والحياء، والغضب، والوجه، والعين، واليد.

وذلك في ثلاثة محاور:

المحور الأول: الصفات التي أثبتها النيسابوري.

المحور الثاني: الصفات التي أثبتها على خلاف السلف.

المحور الثالث: الصفات التي نفاها أو تأولها .

المحور الأول:

الصفات التي أثبتها النيسابوري

الأولى: صفة الحياة:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري الحياة صفة لله الباري تبارك وتعالى، واستدل لذلك بدليلين عقليين:

١- دلالة الاتقان والإحكام في المحدثات - دقة الصنع واتقانه -: وهو أنه لا يتصور صدور فعل ما إلا من حي عالم قادر، فما بالك بهذه الدقة والإتقان والإحكام في المخلوقات والمحدثات.

حيث قال رحمه الله:" حجة المثبتين أن إله العالم يجب أن يكون عالما قادرا **حيا** " [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥: " وأما الدليل العقلي فإن «الحي» قيل: هو الذي يصلح أن يعلم ويقدر" [(٢)].

٢- دلالة ثبوت مطلق الكمال والتنزيه عن النقائص: أي أن الحي هو الذي يصلح أن يكون عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال، فالحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال.

قال رحمه الله: " والصفة الحقيقية العارية عن النسب والإضافات في حقه تعالى ليست إلا صفة **الحياة**، إن لم نقل إنها عبارة عن الدرّاكية والفعالية، بل يقال: إنها صفة باعتبارها يصح أن

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٩).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٣).

يكون عالما وقادرا، والتحقيق أن **الحياة** عبارة عن: كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شأنه أن يصدر عنه، كما ينبغي أن يصدر عنه، ولا ريب أن واجب الوجود تعالى أحق الأشياء بهذا الاسم، لأن وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية، وصدور الأشياء الممكنة عنه على النحو الأفضل، ولهذا مدح الله تعالى به نفسه قائلا: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ ﴾طه: ١١١" [(١)].

وقال: " اسمه «الحي» مشتمل على جميع أسمائه وصفاته. فإن من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال" [(٢)].

وقال أيضا: " القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل، والقول بإثبات المكان والأعضاء تشبيه، والعدل إثبات صفات الكمال من: الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، ونفي غيرها. وبوجه آخر: نفي الصفات تعطيل، وإثبات الصفات الحادثة تشبيه، والعدل إثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة" [(٣)].

ب- الخلاصة:

الحياة صفة ذاتية أزلية أبدية لله تبارك وتعالى، والسلف أثبتوا هذه الصفة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والنيسابوري أثبت صفة الحياة. واستدل لإثباتها بدليلين عقليين، متوافقا في ذلك مع المتكلمين.

قال شيخ الإسلام: " فهذا دليل مشهور للنظار يقولون قد علم أن من شرط العلم والقدرة: الحياة، فإن ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالما، إذ الميت لا يكون عالما، والعلم بهذا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٦٩).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٨).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٢٩٨- ٢٩٩).

ضروري. وقد يقولون: هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لا حياة به ممتنع بصريح العقل"[(١)].

أما السلف فإنهم يرون أن صفة الحياة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، وهي مسألة فطرية ضرورية مركوزة في أصل الفطر السليمة.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ الفرقان: ٥٨.

ومن أدلة السنة: ما ثبت من حديث ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»[(٢)].

قال ابن أبي العز: " فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَى أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ"[(٣)].

وقد حكى الإجماع على إثبات هذه الصفة شيخ الإسلام فقال: " وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ حَيٌّ حَقِيقَةً عَلِيمٌ حَقِيقَةً قَدِيرٌ حَقِيقَةً سَمِيعٌ حَقِيقَةً بَصِيرٌ حَقِيقَةً إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ"[(٤)].

وحكاه أيضا أبو الحسن الأشعري فقال: " وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً حياً قادراً عالماً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً على ما وصف به نفسه"[(٥)].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٦٢).

(٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما لم يعمل، (٤/ ٢٠٨٦)، رقم: ٦٧- ٢٧١٧.

(٣) شرح الطحاوية (ص: ١٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٨)، وانظر: (١٨٨)، و(٥/ ١٩٦)، والصفدية (١/ ١٢٧).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٢٠).

الثانية: صفة العلم:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري العلم صفة لله الباري تبارك وتعالى، واستدل لذلك بدليلين:

الأول الدليل النقلي: أي النصوص الشرعية من الكتاب:

قال رحمه الله في تفسيره قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ التوبة: ٧٨: " يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق، ويعلم ما يستكن في قلوبهم وهو غيب في نفوسهم ولهذا قال الْغُيُوبِ" [(١)].

وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الحجر: ٨٦: " إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ كثير الخلق، الْعَلِيمُ الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلائق من الأحوال والأخلاق وإن كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيامة على حسب ذلك" [(٢)].

وعن شمول علم الله تعالى قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾سبأ: ٢: " يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ أي يدخل فيها من المياه والحبات والكنوز والأموات، وَما يَخْرُجُ مِنْها من الشجر والنبات ومياه الآبار والجواهر والمعدنيات، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ من الأمطار والأرزاق وأنواع البركات والوحي، وَما يَعْرُجُ فِيها من الملائكة وأعمال العباد" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ الحشر: ١٢: " ثم فصل ذلك قائلا لَئِنْ أُخْرِجُوا إلى قوله وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ، وهذا على سبيل الفرض، لأنه تعالى كما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٠٩).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٣٢).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤٨٤).

يكون لو كان كيف يكون. والمعنى لو فرض نصر المنافقين اليهود ليهزمن المنافقون ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ بعد ذلك، أي لا يمنعهم من عذاب الله مانع لظهور كفرهم. وقيل: ليهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ التغابن: ٤: " وحين وصف نفسه بالقدرة الكاملة والعلم الشامل أعم أولا ثم أخص ثم أخفى" [(٢)].

الثاني الدليل العقلي: واستدل به من خمسة أوجه:

١- دلالة الاتقان والإحكام في المحدثات – دقة الصنع واتقانه –: وهو أنه لا يتصور صدور فعل ما إلا من حي عالم قادر، فما بالك بهذه الدقة والإتقان والإحكام في المخلوقات والمحدثات.

حيث قال رحمه الله: " واعلم أن المسائل الأصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج إلى العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم إلى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٩٧: " وذلك أنه **علم في الأزل** أن مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة، وكان ذلك مما يفضي إلى الفناء وانقطاع النسل، فدبر هذا التدبير المحكم والفعل المتقن كي يصير سببا للأمان في بعض الأمكنة وفي بعض الأزمان، فتستقيم مصالح الإنسان. ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح إلا ممن **يعلم** الكائنات وأسبابها وغاياتها، بل **يعلم**

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٢٨٦).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٣٠٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٦٤).

المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها، عللها ومعلولها، موجودها ومعدومها، وذلك قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فما أحسن هذا الترتيب! [1].

٢- دلالة ثبوت مطلق الكمال والتنزيه عن النقائص: أي أن الحي هو الذي يصلح أن يكون عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال، فالحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال.

فقال رحمه الله: " اسمه (الحي) مشتمل على جميع أسمائه وصفاته. فإن من لوازم الحي أن يكون قادرا **عالما** سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال" [2].

وقال أيضا: " القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل، والقول بإثبات المكان والأعضاء تشبيه، والعدل إثبات صفات الكمال من: الحياة **والعلم** والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، ونفي غيرها " [3].

٣- أن الإله يجب أن يكون حيا عالما قادرا: حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ النحل: ١٩ : " **الإله يجب أن يكون عالما** بالسر والعلانية" [4].

وقال: " حجة المثبتين أن إله العالم يجب أن يكون عالما قادرا **حيا** " [5].

٤- كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه إلا بأمره: حيث قال رحمه الله: " ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه إلا بأمره، كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل إلا بإعلامه. فأشار إلى الأول بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٢).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٨).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٢٩٨- ٢٩٩).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٥٢).

(٥) نفس المصدر (١/ ٦٩).

البقرة: ٢٥٥، وإلى الثاني بقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، والمعنى: يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم" [(١)].

٥- أنه سبحانه كافل لأرزاق جميع الحيوانات ضامن لمصالحها: وهذا يستلزم أن يكون عالما بكل المعلومات، فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ .وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ هود: ٥ – ٦: " قوله: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ ﴾ تنبيها على أنه لا فائدة لهم في الاستخفاء، لأنه تعالى عالم بالسرائر كما أنه عالم بالظواهر.

ثم أكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لأرزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما وإحسانا فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ ﴾ الآية" [(٢)].

ب- الخلاصة:

العلم صفة ذاتية أزلية أبدية لله تبارك وتعالى، والسلف أثبتوا هذه الصفة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد أثبتها النيسابوري، واستدل لإثباتها بدلالة الكتاب والدلالة العقلية، ومسلكه لا يبعد كثيرا عن مسلك المتكلمين.

قال أبو منصور الماتريدي[(٣)]: " ثمَّ تكلم هَؤُلَاءِ بِمَا تكلم بِهِ أَصْحَاب الطبائع إِن ذَلِك الصَّانِع إِنَّمَا خرج فعله محكما متقنا بِمَا عِنْده من الْعلم وَله من الْقُدْرَة" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٤).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٧).

(٣) هو أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، من كتبه: التوحيد، توفي بسمرقند سنة: ٣٣٣هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٩).

(٤) التوحيد للماتريدي (ص: ١٤٥).

أما السلف فإنهم يرون أن صفة العلم ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، وهي مسألة فطرية ضرورية مركوزة في أصل الفطر السليمة.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ البقرة: ٢٩.

ومن دلالة السنة: ما جاء في الصحيحين في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وفيه قال الخضر لموسى: «إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ» [(١)].

وقد حكى الإجماع على إثبات هذه الصفة شيخ الإسلام و أبو الحسن الأشعري [(٢)].

وقال ابن بطة [(٣)]: " فَإِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَبِالرِّسَالَةِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَبِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا يَكُونُ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَمُقَدِّرُهُمَا، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ بَاقِيَتَانِ بِبَقَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، **وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِالْأَشْيَاءِ**، وَأَنَّ اللَّهَ قَدِيمٌ لَا بِدَايَةَ لَهُ وَلَا نِهَايَةَ وَلَا غَايَةَ ، بِصِفَاتِهِ التَّامَّةِ لَمْ يَزَلْ **عَالِمًا**، نَاطِقًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، حَيًّا، حَلِيمًا" [(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى" قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة"، برقم: ٤٧٢٧.
مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر، (٤/ ١٨٤٧)، رقم: ١٧٠- ٢٣٨٠.

(٢) راجع التفصيل، في الكلام على صفة الحياة.

(٣) هو شَيْخُ العِرَاقِ، أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، المعروف بابن بطة العكبري الحَنْبَلِيُّ، المحَدِّثُ الفَقِيْهُ من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولدا ووفاة، رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه وهي تزيد على مئة، ولد سنة: ٣٠٤هـ، وتوفي في محرم سنة: ٣٨٧هـ، ودفن يوم عاشوراء، مُصَنِّفُ كِتَابِ (الإِبَانَةِ الكُبْرَى) فِي ثَلاَثِ مُجَلَّدَاتٍ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٥)، لسان الميزان (٤/ ١١٢)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٩٧).

(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٥٧).

الثالثة: صفة القدرة:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري القدرة صفة لله الباري تبارك وتعالى، واستدل لذلك بدليلين:

الأول الدليل النقلي: أي النصوص الشرعية من الكتاب: فقال رحمه الله: " قوله: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦، دل على أن الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف المكلف تحت مشيئته وإرادته" [(١)].

وقال: " فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً : أي يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنّة الله. وقيل: عفو لمن عفا، قدير على إيصال الثواب إليه" [(٢)].

وقال: " وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وهو إشارة إلى كمال القدرة، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وإنه إشارة إلى كمال العلم" [(٣)].

وقال: " وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فبذلك نصر القليل على الكثير" [(٤)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التوبة: ٣٩: " تنبيه على أنه قادر على نصرة رسوله بأي وجه أراد، وقادر على إيقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان"[(٥)].

وقال: " وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها: القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك والمليك والقوي وذو القوة ومعانيها ترجع إلى القدرة" [(٦)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٣٦٠).
(٢) نفس المصدر (٢/ ٥٢٢).
(٣) نفس المصدر (٣/ ٥٧).
(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٠٢).
(٥) نفس المصدر (٣/ ٤٧٠).
(٦) نفس المصدر (١/ ٧١).

الثاني الدليل العقلي: واستدل به من وجهين:

١- دلالة الاتقان والإحكام في المحدثات – دقة الصنع واتقانه -: وهو أنه لا يتصور صدور فعل ما إلا من حي عالم قادر، فما بالك بهذه الدقة والإتقان والإحكام في المخلوقات والمحدثات.

حيث قال رحمه الله: " واعلم أن المسائل الأصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج إلى العلم بصحته كعلمنا بافتقار العالم إلى صانع عالم بكل المعلومات **قادر** على كل الممكنات" [١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا** ﴾ البقرة: ٢٢: " علم افتقارها إلى مدبر **قدير** وعليم خبير واحد في ملكه يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند"[٢].

وقال: " وأما القيد الثاني وهو خصوص أنه خلقنا من نفس واحدة، فإنما يوجب علينا الطاعة، لأن خلق أشخاص غير محصورة من إنسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهم واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم **قدير**" [٣].

وقال: " وحاصل الكلام أن الإنسان خلق من نفس واحدة، ثم إنه يتقلب في الأطوار ويتردد في الأحوال، وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية وإلا لتساوى الكل في الأخلاق والأمزجة، فذلك إذن بتدبير فاعل **قدير** مختار خبير" [٤].

وقال: " فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الأحياز أمر ممكن، يحتاج إلى مرجح **قادر** مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء. هذا إذا نظرنا في ذوات هذه الأجرام، أما إن اعتبرنا منافعها وكيفية تأثير الأثيريات وهي- الآباء- في العنصريات- وهي

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٦٤).

(٢) نفس المصدر (١/ ٤٥٥).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٣٩).

(٤) نفس المصدر (٣/ ١٢٧).

الأمهات- لتحصيل المواليد الثلاثة: المعادن والنباتات والحيوانات، ارتقينا من ذلك أيضا إلى وجود صانع **قدير** وحكيم خبير رتبته أعلى وأجل من رتب الممكنات" (١).

وقال: " ثم إنه سبحانه وتعالى خص كل كوكب بخاصية عجيبة، وتأثير غريب، لا يعلمه بتمامه إلا مبدعه وخالقه، واعلم أن الأجسام متماثلة في الجسمية، فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر، والتسخين الشديد، والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي، وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوّة أخرى، لا بد أن يستند إلى فاعل حكيم **قدير** عليم" (٢).

وقال: "﴿ **وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ الحج: ٦، وهذا كالبيان لما تقدمه فإن **القادر** على كل شيء ممكن، **قادر** لا محالة على إحياء الموتى، لأنه من جملة الممكنات، وبيان إمكانه ظاهر"(٣).

٢- دلالة ثبوت مطلق الكمال والتنزيه عن النقائص(٤).

ب- الخلاصة:

القدرة صفة ذاتية أزلية أبدية لله تبارك وتعالى، والسلف أثبتوا هذه الصفة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقد أثبتها النيسابوري ، واستدل لإثباتها بدلالة الكتاب والدلالة العقلية، ورأيه لا يبعد كثيرا عن مسلك المتكلمين.

قال أبو منصور الماتريدي: " ثمَّ تكلم هَؤُلَاءِ بِمَا تكلم بِهِ أَصْحَاب الطبائع إن ذَلِك الصَّانِع إِنَّمَا خرج فعله محكما متقنا بِمَا عِنْده من الْعلم وَله من الْقُدْرَة" (٥).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٧).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٢٥٣)، وانظر: (٤/ ٢١٤).

(٣) نفس المصدر (٥/ ٦٦).

(٤) راجع التفصيل في الكلام على صفة الحياة.

(٥) التوحيد للماتريدي (ص: ١٤٥).

أما السلف فإنهم يرون أن صفة القدرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، وهي مسألة فطرية ضرورية مركوزة في أصل الفطر السليمة.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التوبة: ٣٩.

فمن دلالة السنة: ما جاء في صحيح البخاري من حديث جابر بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، . . . » [١].

وقد حكى الإجماع على إثبات هذه الصفة شيخ الإسلام و أبو الحسن الأشعري [٢].

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الإستخارة، برقم: ٦٣٨٢.

(٢) راجع التفصيل، في الكلام على صفة الحياة.

الرابعة: صفة الإرادة:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري الإرادة صفة لله الباري تبارك وتعالى، فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٤٠: " وهو إما جملة واحدة أي الله يفعل ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر، أو جملتان، فيكون ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأ وخبرا، أي على نحو هذه الصفة الله، و﴿ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ بيانا له، أي يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ الحج: ١٤: " دليل على أنه خالق الإيمان وفاعله، لأنه يريد الإيمان من العبد بالاتفاق" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود: ١٠٧: " خالق لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لأحد من خلقه عليه وعلى أفعاله وعلى النظام الذي اخترعه" [(٣)].

وقال: " وإنما قيل فَعَّالٌ لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة. قلت: ويجوز أن يكون المعنى أن ما يريده فإنه يفعله البتة لا يصرفه عنه صارف" [(٤)].

ب- الخلاصة

أثبت النيسابوري صفة الإرادة لله ﷻ، متوافقا في ذلك مع الصفاتية.

وأما أهل السنة فيرون أن الإرادة صفة ذاتية أزلية أبدية لله تبارك وتعالى، فأثبتوها لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٥٥).

(٢) نفس المصدر (٥/ ٦٨- ٦٩).

(٣) نفس المصدر (١/ ١٦- ١٧).

(٤) نفس المصدر (٦/ ٤٧٧).

فهي ثابتة بدلالة الكتاب ،كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ الحج: ١٤.

وثابتة بدلالة السنة، فمما ورد في السنة قوله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [(١)].

كما أنها ثابتة بإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فقد حكى الإجماع شيخ الإسلام فقال: " وَقَدْ اتَّفَقَ جَمِيعُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَيٌّ حَقِيقَةً عَلِيمٌ حَقِيقَةً قَدِيرٌ حَقِيقَةً سَمِيعٌ حَقِيقَةً بَصِيرٌ حَقِيقَةً **مُرِيدٌ** حَقِيقَةً مُتَكَلِّمٌ حَقِيقَةً" [(٢)].

وحكاه أيضا أبو الحسن الأشعري فقال: " وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجوداً حياً قادراً عالماً **مريداً** متكلماً سميعاً بصيراً على ما وصف به نفسه" [(٣)].

ومذهب أَهْلِ السُّنَّةِ أن الْإِرَادَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ نَوْعَانِ:

١. **إِرَادَةٌ قَدَرِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ:** وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وهي مرادفة تماما للمشيئة، فـ: (أراد) فيها بمعنى (شاء)، وهذه الإرادة:

أولاً: تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه.

وعلى هذان فإذا قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ فقل: بالإرادة الكونية نعم أراده، ولو لم يرده الله عز وجل، ما وقع.

ثانياً: يلزم فيها وقوع المراد، يعني: أن ما أراده الله فلا بد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف.

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾الأنعام: ١٢٥.

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، برقم: ٧١.
مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، (٧١٩/٢)، برقم: ١٠٠- (١٠٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٦)، وانظر: (٣/ ١٨٨)، (٣/ ٢١٨)، والصفدية (١/ ١٢٧).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٢٠).

وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ الْعَلَيْهِ: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ هود: ٣٤. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة: ٢٥٣. وهِيَ الْإِرَادَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِ الْمُسْلِمِينَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢. **إِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ أَمْرِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ:** وهِيَ المتضمنة للمحبة والرضى، وهي مرادفة للمحبة، فـ: (أراد) فيها بمعنى (أحب)، وهي:

أولاً: تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق.

ثانياً: أنه لا يلزم فيها وقوع المراد، بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه، بخلاف الإرادة الكونية.

فصار الفرق بين الإرادتين من وجهين:

١- الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.

٢- الإرادة الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه.

فإذا قال قائل: كيف يريد الله تعالى كوناً ما لا يحبه، بمعنى: كيف يريد الكفر أو الفسق أو العصيان وهو لا يحبه؟!

فالجواب: أن هذا محبوب إلى الله من وجه مكروه إليه من وجه آخر، فهو محبوب إليه لما يتضمنه من المصالح العظيمة، مكروه إليه لأنه معصية.

ولا مانع من أن يكون الشيء محبوباً مكروها باعتبارين. وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ النساء: ٢٦. وهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّاسِ لِمَنْ يَفْعَلُ الْقَبَائِحَ: هَذَا يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُهُ اللَّهُ، أَيْ: لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ [1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٨٨)، وشرح الطحاوية (ص: ١١٤)، وشرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٢٢٢).

الخامسة والسادسة: صفتي السمع والبصر:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري السمع والبصر صفتين لله تبارك وتعالى، واستدل لذلك بدليلين:

الأول الدليل النقلي: أي النصوص الشرعية من الكتاب: فقال رحمه الله: " وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها: ... ومنها ما يرجع إلى السمع والبصر ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه: ٤٦، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١، ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾الأنعام: ١٠٣ "[١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾النساء: ١٠٤: " ويحتمل أن يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الأديان، أو يراد أنكم تعبدون الإله العالم القادر **السميع البصير** الذي يصح أن يرجى منه، وأنهم يعبدون الأصنام التي لا خيرهن يرجى ولا شرهن يخشى" [٢].

وقال: " أَسْمَعُ وَأَرى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل، فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراستي" [٣].

وقال: " السميع لأقوالهم، البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك" [٤].

الثاني الدليل العقلي: واستدل به من وجهين:

١- دلالة الاتقان والإحكام في المحدثات - دقة الصنع واتقانه -: وهو أنه لا يتصور صدور فعل ما إلا من حي عالم قادر سميع بصير، فما بالك بهذه الدقة والإتقان والإحكام في المخلوقات والمحدثات.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧١).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٤٩١).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٥٤٨).

(٤) نفس المصدر (٦/ ٤١).

حيث قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨: " واعلم أن هذه الآية دالة على أمور منها: اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العليم الحي السميع البصير الغني عما سواه" [(١)].

٢- دلالة ثبوت مطلق الكمال والتنزيه عن النقائص[(٢)].

ب- الخلاصة:

أثبت النيسابوري هاتين الصفتين متوافقا في ذلك مع أسلافه من الصفاتية.

وأما أهل السنة فيرون أن السمع والبصر صفتان ذاتيتان أزليتان أبديتان لله تبارك وتعالى، فأثبتوها لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فهي ثابتة بدلالة الكتاب ،كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ الحج: ١٤.

وثابتة بدلالة السنة، فمن ذلك حديث أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لاَ نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلاَ نَعْلُو شَرَفًا، وَلاَ نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [(٣)].

وقد حكى الإجماع على إثباتهما شيخ الإسلام و أبو الحسن الأشعري[(٤)] وابن بطة [(٥)].

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٠٩).

(٢) راجع التفصيل في الكلام على صفة الحياة.

(٣) البخاري: كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله، برقم: ٦٦١٠.

مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، (٤/ ٢٠٧٦)، رقم: ٤٤- ٢٧٠٤.

(٤) راجع التفصيل، في الكلام على صفة الحياة.

(٥) راجع التفصيل، في الكلام على صفة العلم.

السابعة: صفة القرب والمعية:

أ- عرض رأي النيسابوري:

أثبت النيسابوري القرب والمعية صفة لله الباري تبارك وتعالى، دون أن يستلزم ذلك الحلول، وقسم المعية إلى قسمين:

الأول: **المعية العامة**: وهي التي تشمل جميع الخلائق بلا استثناء، وفسر الآيات الواردة في ذلك بالعلم والقهر والقدرة والرؤية والإحاطة، وتقتضي المراقبة والخشية من الله.

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ النساء: ١٠٨: " ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية، وكفى هذا زاجرا للإنسان عن المعاصي" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾الحديد: ٤: " ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ معية العلم والقدرة" [(٢)].

الثاني: **المعية الخاصة**: وهي لا تشمل جميع الخلائق، بل هي خاصة لرسله وَأَوْلِيَائِهِ من المؤمنين والمتقين والمطيعين، وفسر الآيات الواردة في ذلك بالنصرة والتأييد والمعونة وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِلْهَامِ.

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨: " فإن أردت أن أكون معك بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين" [(٣)].

وقال: " ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ ﴾ طه: ٤٦، أي بالنصرة والتأييد" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٩٢).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٢٥٣).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٣١٨).

(٤) نفس المصدر (٤/ ٥٤٨).

وهو مع إثبات القرب والمعية نفى أن يكون ذلك يستلزم المخالطة والمصاحبة، فقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ الشعراء: ١٥: " ولا يخفى ما في المعية من المجاز[١]، لأن المصاحبة من صفات الأجسام، فالمراد معية النصرة والمعونة" [٢].

ب- الخلاصة:

أثبت النيسابوري صفة القرب والمعية، واستدل لإثباتها بدلالة الكتاب، وقسم المعية إلى قسمين عامة وخاصة، ورأيه موفق وسديد. فقد جعلها كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والذهبي، وغيرهم [٣].

فمذهب أهل السنة أن القرب **والمعية العامة:** صفة ذاتية أزلية أبدية لله تبارك وتعالى، **والمعية الخاصة:** صفة فعلية اختيارية، لأنها تتعلق بمشيئته، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية.

وهم أثبتوا هذه الصفة بنوعيها لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقالوا: الله معنا حقيقة بعلمه، وهو مع ذلك عال فوق سماواته، بائن من خلقه، مستو على عرشه، فلا تناقض بين معيته سبحانه وتعالى، وبين علوه، كما أن المعية لا تستلزم مخالطته سبحانه بخلقه.

واستدل أهل السنة لإثبات هذه الصفة بالكتاب والسنة والإجماع. **فمن أدلة الكتاب:**

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد: ٤.

---

(١) يقصد بالمجاز هنا: نفي المخالطة والمصاحبة، بدليل ما بعده.

(٢)تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٢٦٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٤٩)، مدارج السالكين (٢/ ٢٥٤)، العرش للذهبي (١/ ١٧٤- ١٧٦)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٤٦- ١٤٧)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٤٠١).

قال البغوي: " ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾، بالعلم" [١].

وَقَالَ مَالِكٌ: " اللَّهُ ﷻ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ" [٢].

وقال مقاتل بن سليمان[٣]: " يَعْنِي بِقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَعِلْمِهِ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ" [٤].

وقال شيخ الإسلام: " دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها، أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم. وهذا معنى قول السلف: «إنه معهم بعلمه»، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته" [٥].

وقال: " ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾التوبة: ٤٠،كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم المعية هنا – مع الاطلاع – النصر والتأييد" [٦].

وقال: " هذا الذي قلناه إن الأمكنة غير خالية من علمه وقدرته، وأنه مدرك لها بسمعه وبصره، وهو بذاته على العرش سبحانه ... وقال: وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إنما أراد بعلمه لا بذاته" [٧]. وقال: " فَلَفْظُ "مَعَ" لَا تَقْتَضِي فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ مُخْتَلِطًا بِالْآخَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾التوبة: ١١٩" [٨].

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٢٧).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٧، و٢٨٠)، و العلو للعلي الغفار (ص: ١٣٨)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٧١).

(٣) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، الأزدي مولاهم، الخراساني المروزي البلخي، مفسر متكلم، توفي سنة: ١٥٠هـ، من كتبه: التفسير الكبير، قال الإمام أبو حنيفة: أَتَانَا مِنَ المشْرِقِ رَأْيَان خَبِيْثَانِ: جَهْمٌ مُعَطِّلٌ، وَمُقَاتِلٌ مُشَبِّهٌ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٢٥٥)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧٣)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١)، معجم المؤلفين (١٢/ ٣١٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٧– ٤٩٨).

(٥) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٢١)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣).

(٦) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٢٢).

(٧) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٦٥– ٦٨)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٤٢).

(٨) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٤٩).

وقال: " فَفَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى الْمَعِيَّةِ وَبَيْنَ مُقْتَضَاهَا؛ وَرُبَّمَا صَارَ مُقْتَضَاهَا مِنْ مَعْنَاهَا. فَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَوَاضِعِ. فَلَفْظُ " الْمَعِيَّةِ " قَدْ اُسْتُعْمِلَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ يَقْتَضِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُمُورًا لَا يَقْتَضِيهَا فِي الْمَوْضِعِ الْآخَرِ؛ فَإِمَّا أَنْ تَخْتَلِفَ دَلَالَتُهَا بِحَسَبِ الْمَوَاضِعِ أَوْ تَدُلَّ عَلَى قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ جَمِيعِ مَوَارِدِهَا – وَإِنْ امْتَازَ كُلُّ مَوْضِعٍ بِخَاصِّيَّةٍ – فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لَيْسَ مُقْتَضَاهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مُخْتَلِطَةً بِالْخَلْقِ حَتَّى يُقَالَ قَدْ صُرِفَتْ عَنْ ظَاهِرِهَا" (١).

وقال: " وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ؛ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إلَيْهِمْ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ – مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا – حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لَا يَحْتَاجُ إلَى تَحْرِيفٍ" (٢).

وقال الذهبي(٣): " فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية، فليس بين الاثنين تناقض البتة ... ولفظ المعية ... ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك " (٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٤).

(٢) نفس المصدر (٣/ ١٤٢- ١٤٣).

(٣) هو شمس الدين الذهبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، التركماني، الدمشقي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق. مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة: ٦٧٣هـ، وتوفي سنة: ٧٤٨هـ، من تصانيفه: الكنى والألقاب، سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال. انظر: فوات الوفيات (٣/ ٣١٥)، البدر الطالع (٢/ ١١٠)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٦)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٨٩).

(٤) العرش للذهبي (١/ ١٧٦).

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي» [(١)].

وقدحكى الإجماع: السجزي[(٢)] في كتاب الإبانة فقال: " وَأَئِمَّتُنَا كَالثَّوْرِيِّ[(٣)] وَمَالِكٍ ....: **مُتَّفِقُونَ** عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وإنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء"[(٤)].

وقال أبو عمر الطلمنكي[(٥)]: " **وأجمع المسلمون** من أهل السنة على أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن، أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء"[(٦)].

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: " ويحذركم الله نفسه"، وقوله: " تعلم ما في نفسي"، برقم: ٧٤٠٥.
مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على على ذكر الله تعالى، برقم: ٢- (٢٦٧٥).

(٢) هو أبو نصر، عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن احمد بن محمد السجزي، الوائلي، البكري ، محدث، فقيه، طاف البلاد وسمع بخراسان والعراق والحجاز ومصر، أصله من سجستان، ونسبته إليها على غير قياس. سكن مكة وتوفي بها في المحرم سنة: ٤٤٤هـ. من مصنفاته: " الإبانة عن أصول الديانة " فِي أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، الأعلام للزركلي (٤/ ١٩٤)، معجم المؤلفين (٦/ ٢٣٩).

(٣) هو أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، ثقة حافظ فقيه عابد، من رؤوس الطبقة السابعة، روى له الجماعة، ولد سنة: ٩٧هـ، وتوفي سنة: ١٦١هـ، له من الكتب: الجامع الكبير، الجامع الصغير، الفرائض. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، تقريب التهذيب (ص: ٢٤٤)، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٤).

(٤) انظر: المجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٢)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٠)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢٣٥)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٤٦)، و(٢/ ٢٧٩)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٣٨).

(٥) أَبُو عُمَرَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي عِيْسَى لُبِّ بنِ يَحْيَى المَعَافِرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، الطَّلَمَنْكِيُّ، محدث، مقرئ، نحوي، لغوي، مفسر، فقيه، مؤرخ، من مصنفاته: الوصول إلى معرفة الأصول، ولد سنة ٣٣٩هـ، وقيل: ٣٤٠هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة: ٤٢٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦)، الأعلام للزركلي (١/ ٢١٢)، معجم المؤلفين (٢/ ١٢٣).

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٩٨)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥١)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٠)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤).

الثامنة – الحادية عشرة: صفة الاستهزاء والمكر والكيد والخداع:

أ– عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ . ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ البقرة: ١٤ – ١٥ : " وفي الالتفات من الحكاية إلى المظهر، أن الله ﷻ هو الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي استهزاؤهم بالنسبة إلى ذلك كالعدم. وفي تخصيص الله بالذكر مع قرينة أن المؤمنين هم الذين استهزىء بهم دلالة على أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله" .

وقال في معنى استهزء الله بهم: "معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، وهو المقصد الأقصى للمستهزىء، أو سمي جزاء الاستهزاء استهزاء، مثل: : ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾البقرة: ١٩٤، أو عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لأنه كان يطلع الرسول على أسرارهم مع كونهم مبالغين في إخفائها" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ آل عمران: ٥٤. " أما مكرهم بعيسى عليه السلام فهو أنهم هموا بقتله، وأما مكر الله بهم فهو أن رفعه إلى السماء وما مكنهم من إيصال السوء إليه".

وقال: " واعلم أن المكر إن كان عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر، فهو في حق الله تعالى محال، فاللفظ إذن من المتشابهات فيجب أن يؤول بأن جزاء المكر يسمى مكرا، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾الشورى: ٤٠، أو بأنه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج. وإن كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لأنه غير ممتنع في حق الله إلا أنه قد اختص في العرف بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير" [(٢)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٧٠).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٧٠– ١٧١).

وقال: " ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ الطارق: ١٦.سمي جزاء الكيد، بالاستدراج والإمهال، المؤدي إلى زيادة الإثم، الموجبة لشدّة العذاب، كيدا" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ البقرة: ٩ : " أي وما يعاملون تلك المعاملة المضاهية لمعاملة المخادعين إلا أنفسهم، لأن مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم، لأن الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه إليهم، كـ: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ النساء: ١٤٢، ويحتمل أن يراد حقيقة المخادعة، لأنهم يخدعون أنفسهم، حيث يمنونها الأباطيل، وأنفسهم أيضا تمنيهم وتحدثهم بالأكاذيب" [(٢)].

ب- الخلاصة:

من خلال عرض رأي النيسابوري بدا واضحا أنه أثبت الاستهزاء، والمكر، والكيد، والخداع صفاتا لله ﷻ، إذا كانت بمعنى الجزاء والعقوبة، أي جزاء استهزاء الكفار والمنافقين ، وجزاء مكرهم، وجزاء كيدهم وخداعهم، وعقوبة لهم.

فهو برأيه هذا متوافق مع رأي أهل السنة في طريقة إثبات هذه الصفات لله.

فمذهب أهل السنة أن الاستهزاء والمكر والكيد والخداع صفات فعلية اختيارية لله ﷻ، فأثبتوا لله ﷻ استهزاء ومكرا وكيدا وخداعا حقيقيا لمن يستحقه من الكفار والمنافقين، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فمن أدلة ثبوت هذه الصفات: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ البقرة: ١٥. وقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ٥٤. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٢. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا .وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ الطارق: ١٥ – ١٦.

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٨١).

(٢) نفس المصدر (١/ ١٦٤).

والمراد بالاستهزاء والمكر والكيد والخداع: هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ أي فعل أسباب خفية توقع بالخصم وهو لا يحس ولا يدري، ولكنها بالنسبة للفاعل معلومة مدبرة [(١)].

ولا يوصف الله ﷻ بها على الإطلاق؛ فهي ليست ثابتة على الإطلاق، وليست ممتنعة على الإطلاق، فلا يقال: إن الله مستهزئ، أو ماكر، أو كائد، أو خادع!، على الإطلاق، لا على سبيل الخبر، ولا على سبيل التسمية؛ وذلك لأن هذه المعانى تكون مدحاً في حال، وذماً في حال أخرى؛ فلا يمكن أن نصف الله بها على سبيل الإطلاق، وإنما يوصف بها حين تكون مدحاً، ولا يوصف بها إذا لم تكن مدحاً.

فتكون مدحا وكمالا إذا كانت مقيدة بمقابلة من يستحقه، أي في مقابلة من يستهزئ، ومن يمكر، ومن يكيد، ومن يخادع من الكافرين والمنافقين، عقوبة وجزاء لهم. لأنها حينئذ تقتضي أنه ﷻ أقوى منهم، وأنه ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله.

فيقال: خير الماكرين، وخير الكائدين، وماكر بالماكرين، ومستهزئ بالمنافقين، وخادع للمنافقين، وكائد للكافرين، فتقيد بذلك، لأنها لم تأت إلا مقيدة على سبيل المقابلة، فهو سبحانه مستهزء وماكر وكائد وخادع بمن يستحق ذلك.

وإن كانت لمن لا يستحقه، تكون ذما ونقصا وظلما وخيانة، والله منزه عن ذلك [(٢)].

قال الهراس[(٣)]: " تضمَّنت هَذِهِ الْآيَاتُ إِثْبَاتَ صِفَتَيِ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ، وَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ الِاخْتِيَارِيَّةِ.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٣٥)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٢٤- ٢٥).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٣/ ١٤٩- ١٥٠)، و(٣/ ١٧١)، و(٣/ ٢٨٥)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ١٤٣)، و(ص: ٣٣١- ٣٣٨)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٢٤- ٢٥)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٢٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤)، و (٧/ ١١١)، و(٢٠/ ٤٧١).

(٣) هو محمد خليل هراس، العلامة السلفي المحقق، ولد سنة ١٩١٦م، بمصر، وتوفي سنة: ١٩٧٥م، دكتور في التوحيد والمنطق، ودرَّس في جامعة الأزهر، ثم جامعة الإمام بالرياض، ثم رئيسا لشعبة العقيدة في جامعة أم القرى بمكة، من مؤلفاته: شرح العقيدة الواسطية، شرح القصيدة النونية لابن القيم. انظر: شرح العقيدة الواسطية له (ص: ٤١).

وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يشتقَّ لَهُ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ اسْمٌ، فَيُقَالَ: مَاكِرٌ، وَكَائِدٌ؛ بَلْ يُوقَفُ عِنْدَ مَا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ مِنْ أَنَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وَأَنَّهُ يَكِيدُ لِأَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ" [(١)].

وقال ابن عثيمين: " وإذا كانت الصفة كمالا من وجه ونقصا من وجه، لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه، على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل، فتثبت لله في الحال التي تكون كمالا، وتمتنع عليه في الحال التي تكون نقصا، كـ: المكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصا في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية" [(٢)].

وقال أيضا: "فأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ آل عمران: ٥٤؛ فهذا كمال؛ ولهذا لم يقل: أمكر الماكرين بل قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ؛ فلا يكون مكره إلا خيراً، ولهذا يصح أن نصفه بذلك؛ فنقول: هو خير الماكرين. أو نصفه بصفة المكر في سبيل المقابلة؛ أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إن الله تعالى ماكر بالماكرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ الأنفال: ٣٠ [(٣)].

وقال ابن القيم: " وَقَدْ قِيلَ: إنَّ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ مَكْرًا وَكَيْدًا وَاسْتِهْزَاءً وَخِدَاعًا مِنْ بَابِ الِاسْتِعَارَةِ وَمَجَازِ الْمُقَابَلَةِ نَحْوُ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾الشورى: ٤٠، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾البقرة: ١٩٤، وَقِيلَ وَهُوَ أَصْوَبُ: بَلْ تَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهِ؛ فَإِنَّ الْمَكْرَ إيصَالُ الشَّيْءِ إلَى الْغَيْرِ بِطَرِيقٍ خَفِيٍّ، وَكَذَلِكَ الْكَيْدُ وَالْمُخَادَعَةُ، وَلَكِنَّهُ نَوْعَانِ: **قَبِيحٌ**: وَهُوَ إيصَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ.

وَحَسَنٌ: وَهُوَ إيصَالُهُ إلَى مُسْتَحِقِّهِ عُقُوبَةً لَهُ؛ فَالْأَوَّلُ مَذْمُومٌ وَالثَّانِي مَمْدُوحٌ.

وَالرَّبُّ تَعَالَى إنَّمَا يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ عَدْلًا مِنْهُ وَحِكْمَةً، وَهُوَ تَعَالَى يَأْخُذُ الظَّالِمَ وَالْفَاجِرَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ لَا كَمَا يَفْعَلُ الظَّلَمَةُ بِعِبَادِهِ" [(٤)].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٢٣).

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٢٤- ٢٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٣٢).

(٤) إعلام الموقعين (٣/ ١٧١).

المحور الثانـي:

الصفات التي أثبتها النيسابوري على خلاف السلف

الأولى: صفة الكلام:

مسألة كلام الله ﷻ من أهم مسائل الصفات، وأكثرها غورا في النقاش والخلاف، والنزاع والجدل بين السلف والطوائف المخالفة من جهة، وبين الطوائف فيما بينها من جهة أخرى، وذلك بسبب ما شابها من بدع الفلاسفة والمتكلمين، وآراءهم الفاسدة، وقواعدهم السقيمة، حتى قيل: "مَسْأَلَةُ الْكَلَامِ حَيَّرَتْ عُقُولَ الْأَنَامِ" [1]، ولذلك حظيت من قبل أهل السنة بالعناية والتأليف، بتقرير المعتقد الصحيح، والرد على الأراء الباطلة والمخالفة للصواب.

أ- عرض رأي النيسابـوري:

أثبت النيسابوري الكلام صفة لله تبارك وتعالى، ولكنه أثبت كلاما غير حقيقي، وإنما كلام قائم بالنفس، أي أثبت لله ﷻ الكلام النفسي الأزلي، بلا حرف أو صوت، ولم يثبت الكلام الاختياري المتعلق بالمشيئة والقدرة. وقال بأن القرآن المحفوظ والمتلو والمسموع والمكتوب محدث ومخلوق، وهو في ذلك كله سلك مسلك الأشاعرة.

فاستدل على إثبات صفة الكلام بدليلين:

الأول الدليل النقلي: أي النصوص الشرعية من الكتاب: فقال رحمه الله: " وأما الأسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الإضافية فمنها: ... ومنها ما يرجع إلى الكلام ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ النساء: ١٦٤، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ الشورى: ٥١، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ﴾ البقرة: ٣٠، ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ ق: ٢٩، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ النساء: ١٢٢ [2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٣).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧١).

وقال في تفسير قوله تعال:﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٥٣: " التقدير: من كلمه، فحذف العائد، وقرىء كلم الله بالنصب وليس بقوي، فإن كلّ مصلّ فإنه يكلم الله، قال ﷺ: «المصلي يناجي ربه» [(١)]، وإنما الشرف في أن يكلمه الله" [(٢)].

وقال: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء: ١٦٤: ... والمراد أنه بعث كل هؤلاء الأنبياء والرسل، وخص موسى عليه السلام بشرف التكليم معه" [(٣)].

وقال: " وهاهنا مسائل ذكرها العلماء: الأولى: أنه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر، لأن قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾الأعراف: ٥٤، دل على أن له الأمر، فوجب أن يكون له النهي وسائر أنواع الكلام، ضرورة أنه لا قائل بالفرق" [(٤)].

الثاني الدليل العقلي: واستدل به من وجهين:

١- دلالة ثبوت مطلق الكمال والتنزيه عن النقائص: أي أن الحي هو الذي يصلح أن يكون عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال، فالحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال.

فقال رحمه الله: " اسمه «الحي» مشتمل على جميع أسمائه وصفاته. فإن من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا إلى غير ذلك من نعوت الكمال" [(٥)].

وقال أيضا: " القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل، والقول بإثبات المكان والأعضاء تشبيه، والعدل إثبات صفات الكمال من: الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر

---

(١) البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه، حديث رقم: ٥٣١ .

مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد، حديث رقم: ٥٤- (٥٥١) .

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٧).

(٣) نفس المصدر (٢/ ٥٣٠).

(٤) نفس المصدر (٣ / ٢٥٤).

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٨).

والكلام، ونفي غيرها. وبوجه آخر: نفي الصفات تعطيل، وإثبات الصفات الحادثة تشبيه، والعدل إثبات صفات أزلية قديمة غير متغيرة" [(١)].

٢- أن من حق الإله أن يكون متكلما: حيث قال رحمه الله: " ثم إنه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل إلها بقوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾الأعراف: ١٤٨، ومن حق الإله أن يكون متكلما هاديا إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل من الكتب" [(٢)].

مما سبق من كلام النيسابوري يبدوا جليا أنه يثبت الكلام لله ﷻ، ولكن إذا ربطنا ذلك بكلام له في مواضع أخر، نجد أنه لم يثبت الكلام الحقيقي المتعلق بالمشيئة والقدرة، وإنما أثبت الكلام النفسي الأزلي.

فمما يدل على أنه يثبت الكلام النفسي:

أنه عندما قدم لتفسيره بإحدى عشرة مقدمة، خص المقدمة العاشرة للحديث عن صفة الكلام، وفيها صرح برأيه بكل وضوح، حيث قال: " ذكر قوم من أئمة الأمة أن كلام الله تعالى قديم بعد أن عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة أما أن كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦. ومعلوم أن المسموع ليس إلا هذه الحروف. وأما أنها قديمة فلأن الكلام صفة الله تعالى، ومن المحال قيام الحادث بالقديم. وأيضا كلّ حادث متغيّر والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال.

وزعم قوم أن الكلام المؤلف من الحروف والأصوات يمتنع أن يكون قديما بالبديهة، وكيف لا وإنها أصوات تحدث قارئها شيئا بعد شيء، فلو قلنا: إنها عين كلام الله تعالى، لزمنا القول بأن الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى، وحالّة في بدن هذا الإنسان، وهذا معلوم الفساد.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٩٨- ٢٩٩).

(٢) نفس المصدر (٣ / ٣١٩).

وجمع قوم بين المذهبين فقالوا: للشيء وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في العبارة، ووجود في الكتابة.

فللقرآن وجود عيني وهو القائم بذات الله تعالى، وأنه قديم لا محالة لا يتطرق إليه شيء من سمات النقص، ووجود ذهني كالحافظ للقرآن، ووجود في العبارة وهو على لسان القارئ، ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف.

ولا ريب أن القرآن من حيثيات هذه الوجودات **حادث،** بل القرآن إنما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب **بالمجاز** من حيث إنها دالة على الكلام **القائم بذات الله تعالى**"[1].

فمن قوله " فللقرآن وجود ..." بدأ في بيان رأيه، فهو يرى أن المحفوظ والمتلو والمسموع والمكتوب يطلق عليه قرآن مجازا باعتبار أنه دال على الكلام النفسي.

وقال: " ومنكروا الكلام النفسي اتفقوا على أن الكلام اسم لهذه الألفاظ والكلمات. والأشاعرة يثبتون الكلام النفسي ويقولون:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا[2]

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦: " وقد بقي في الآية مسألة أصولية، هي أن المعتزلة استدلوا بالآية على أن كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة، ويتبع ذلك أن يكون كلامه محدثا لأن دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب. وأجيب بأن هذه المسموعة فعل الإنسان وليست هي التي خلقها الله تعالى أوّلا عندكم، فعلمنا أن هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة، **ونحن نحمله على أنها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا أطلق عليها أنها كلام الله**"[3].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٥٤).

(٢) نفس المصدر (١/ ٣١). والبيت مذكور في شرح الطحاوية (ص: ١٨٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦)، (٧/ ١٣٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٤٣٤).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨: " قالت المعتزلة: التحدي بالقديم محال. وأجيب بمثل ما مر أن محل النزاع هو الكلام النفسي، لا الألفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها"[١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤: " وهاهنا مسائل ذكرها العلماء: الرابعة كلام الله تعالى **قديم** لأنه ميز بين الخلق وبين الأمر ولو كان أمر الله مخلوقا لما صح هذا التمييز" [٢]. وقال: " فالكلام للقديم كمال **قديم**" [٣].

ومما يدل على أنه يرى أن القرآن المحفوظ والمتلو والمسموع والمكتوب محدث ومخلوق، وأن كلامه القديم إنما هو الكلام النفسي، قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء: ٢: "واحتجت المعتزلة بالآية على أن القرآن محدث، وأجاب الأشاعرة بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف لأنه متجدد في النزول، وإنما النزاع في الكلام النفسي الذي لا يصح عليه الإتيان والنزول" [٤].

ومما يدل على أن النيسابوري رحمه الله تعالى أثبت الكلام بلا حرف أو صوت، قوله: " قال الأشعري: المسموع هو الكلام القديم الأزلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت، كما لا يمتنع رؤية ما ليس بمكيف ولا في جهة" [٥].

وقال: " فالأشعرية قالوا إن موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الأزلية، لأنه كما لا يتعذر رؤيته عندنا مع أنه ليس بجسم ولا عرض، فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع أنه ليس بحرف ولا صوت"[٦].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ٣٨٦).

(٢) نفس المصدر (٣ / ٢٥٤).

(٣) نفس المصدر (٣ / ٢٥٤).

(٤) نفس المصدر (٥ / ٥).

(٥) نفس المصدر (٢ / ٧).

(٦) نفس المصدر (٣ / ٣١٤).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٠: " والنداء المسموع عند الأشعري هو الكلام القديم الذي لا يشبه الحروف والأصوات" [(١)].

وقال: " وذهب الأشعري إلى أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا، كما أن الذات التي ليست بجسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ طه: ١٣: " وعند أهل السنة ...، وعندهم أن الله تعالى أسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت" [(٣)].

ب- نقد رأي النيسابوري:

إن ما ذهب إليه الأشاعرة، ومنهم النيسابوري، في صفة الكلام، هو رأي يخالف الصواب الذي عليه السلف رحمهم الله، فيرد عليهم من عدة وجوه:

١. أن هذا خلاف ظاهر النصوص، وصريح العقل، وليس عليه دليل صحيح، وخلاف طريقة السلف وإجماعهم، وهو أن الله يتكلم بكلام حقيقي أزلي، بحرف وصوت، متعلق بمشيئته وقدرته، يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ النساء:١٦٤، فتأكيده الكلام بالمصدر المؤكد: ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ ينفي احتمال المجاز، فدل على أن كلام الله له كلام حقيقي بحرف وصوت سمعه موسى عليه السلام بلا واسطة، ولهذا جرى بينهما محاورة، كما في سورة طه.

وقال تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ . إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ طه: ١٢ - ١٤. ولا يجوز أن يقول هذا غير الله.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٢٦٥).

(٢) نفس المصدر (٥ / ٣٤٠).

(٣) نفس المصدر (٤ / ٥٢٠).

ومن دلالة السنة ما ورد أن الله ﷻ يكلم المؤمنين في الجنة ويكلمونه، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . . . »[(١)].

وأما دلالة العقل: فهو أن الْوَصْفُ بِالتَّكَلُّمِ مِنْ أَوْصَافِ الْكَمَالِ، وَضِدُّهُ وهو الخرس مِنْ أَوْصَافِ النَّقْصِ، لا يحسن أن يتصف به المخلوق، بل ينزه عنه، فمن باب أولى ينزه عنه الباري تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾الأعراف: ١٤٨، ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ طه: ٨٩: فَعُلِمَ أَنَّ نَفْيَ رُجُوعِ الْقَوْلِ وَنَفْيَ التَّكَلُّمِ نَقْصٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى عَدَمِ أُلُوهِيَّةِ الْعِجْلِ.

وأما الإجماع فممن حكاه شيخ الإسلام فقال: "وَقَدْ اتَّفَقَ جَمِيعُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَيٌّ حَقِيقَةً عَلِيمٌ حَقِيقَةً قَدِيرٌ حَقِيقَةً سَمِيعٌ حَقِيقَةً بَصِيرٌ حَقِيقَةً مُرِيدٌ حَقِيقَةً مُتَكَلِّمٌ حَقِيقَةً"[(٢)].

والدليل على أن كلامه ﷻ متعلق بمشيئته: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٣، فالكلام حصل بعد مجيء موسى فدل على أن كلامه يتعلق بالمشيئة.

والدليل على أن كلامه ﷻ بحروف وأصوات: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٠، ومن السنة قوله ﷺ: « يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ »[(٣)].

قال شيخ الإسلام: " وَقَدْ نَصَّ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ أَحْمَد وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُنَادِي بِصَوْتِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ تَكَلَّمَ بِهِ بِحَرْفِ وَصَوْتٍ" [(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم: ٧٥١٨.

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، (٤/ ٢١٧٦)، رقم: ٩- ٢٨٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٦)، وانظر: (٣/ ١٨٨)، (٣/ ٢١٨)، والصفدية (١/ ١٢٧).

(٣) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى " ولا تنفع الشفاعة ..."، برقم: ٧٤٨٣.

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٤).

٢. أن القول بأن كلام الله مَعْنًى وَاحِدٌ قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ وَإِنَّمَا هُوَ الْكَلَامُ النَّفْسَانِيُّ، وليس كلاما حقيقة، يلزم منه أن يكون الْأَخْرَسُ مُتَكَلِّمًا.

٣. ويلزم منه أَنْ لَا يَكُونَ الَّذِي فِي الْمُصْحَفِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ هُوَ الْقُرْآنُ، وَلَا كَلَامَ اللَّهِ، وَلَكِنْ عِبَارَةً عَنْهُ، لَيْسَتْ هِيَ كَلَامَ اللَّهِ، كَمَا لَوْ أَشَارَ أَخْرَسُ إِلَى شَخْصٍ بِإِشَارَةٍ فَهِمَ بِهَا مَقْصُودَهُ، فَكَتَبَ ذَلِكَ الشَّخْصُ عِبَارَتَهُ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَخْرَسُ، فَالْمَكْتُوبُ هُوَ عِبَارَةُ ذَلِكَ الشَّخْصِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى.

٤. وأن هذا خلاف الأدلة، لأن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦، يدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت، فلا يسمع المعنى القائم بالنفس – الكلام النفسي–.

٥. والْآيَةُ تَدُلُّ كذلك عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَسْمُوعَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى يَسْمَعَ مَا هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ.

٦. وَلَوْ كَانَ مَا فِي الْمُصْحَفِ عِبَارَةً عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هُوَ كلام الله، لما حرم على الجنب المحدث مسه، ولو كان ما يقرأه الْقَارِئُ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ لَمَا حَرُمَ عَلَى الْجُنُبِ وَالْمُحْدِثِ قِرَاءَتُهُ.

٧. ويُرد على القول بأن كلام الله هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ – الكلام النفسي– بقوله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ» [1]، فقد اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُصَلِّيَ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ عَامِدًا لِغَيْرِ مَصْلَحَتِهَا بَطَلَتْ صَلَاتُهُ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ، مِنْ تَصْدِيقٍ بِأُمُورٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَطَلَبٍ، لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ، وَإِنَّمَا يُبْطِلُهَا التَّكَلُّمُ بِذَلِكَ، فَعُلِمَ اتِّفَاقُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الكلام النفسي لَيْسَ بِكَلَامٍ.

---

(١) مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، (٣٨١/١)، برقم: ٣٣– (٥٣٧).

٨. ويُرد عليه بقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ»[1]، فَفَرَّقَ بَيْنَ حَدِيثِ النَّفْسِ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ بِحديث النفس حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ، وَالْمُرَادُ: حَتَّى يَنْطِقَ بِهِ اللِّسَانُ، فَعُلِمَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْكَلَامُ فِي اللُّغَةِ، لِأَنَّ الشَّارِعَ إِنَّمَا خَاطَبَنَا بِلُغَةِ الْعَرَبِ.

٩. وبحديث مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[2]. فَبَيَّنَ أَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا هُوَ بِاللِّسَانِ، فَلَفْظُ الْقَوْلِ وَالْكَلَامِ؛ إِنَّمَا يُعْرَفُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَسَائِرِ كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا كَانَ لَفْظًا وَمَعْنًى، وليس الكلام النفسي.

١٠. وَلَا شَكَّ أَنَّ القول: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ تَعَالَى، وَإِنَّ الْمَتْلُوَّ الْمَحْفُوظَ الْمَكْتُوبَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْقَارِئِ حِكَايَةُ كَلَامِ اللَّهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ؛ هو قول بِخَلْقِ القرآن، فإن الله يَقُولُ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ الإسراء: ٨٨. لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُشِيرُ إِلَى الْمَتْلُوِّ الْمَسْمُوعِ، إِذْ مَا فِي ذَاتِ اللَّهِ غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهِ، وَلَا مُنَزَّلٍ وَلَا مَتْلُوٍّ وَلَا مَسْمُوعٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ المراد بمثل هذا الْمَتْلُوُّ الْمَكْتُوبُ الْمَسْمُوعُ ، لأن مَا فِي نَفْسِي الله لَا حِيلَةَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلَا إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ، لأنه غير مسموع ولا معروف.

فالقول أنه أَشَارَ إِلَى حِكَايَةِ مَا فِي نَفْسِهِ وَعِبَارَتِهِ، وَهُوَ هذا الْمَتْلُوُّ الْمَكْتُوبُ الْمَسْمُوعُ، هو صَرِيحُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَإِنَّ حِكَايَةَ الشَّيْءِ يكون بِمِثْلِهِ وَشَبَهِهِ، وأيضا لَوْ كَانَتْ هَذِهِ التِّلَاوَةُ حِكَايَةً لَكَانَ النَّاسُ قَدْ أَتَوْا بِمِثْلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَأَيْنَ عَجْزُهُمْ؟!

---

(١) البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، برقم: ٦٦٦٤.
مسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر، (١/١١٦)، برقم: ٢٠٢- (١٢٧).

(٢) ابن ماجة: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، برقم: ٣٩٧٣. وصححه الألباني.

١١. والقول بأن كلام الله أزلي لا يتعلق بمشيئته هو خلاف الأدلة، لأنها تدل على أن كلام الله متعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء كما سبق تقريره.

١٢. والقول بأن كلام الله قَائِمٌ بِنَفْسِهِ يَتَكَلَّمُ بِذَاتِهِ هو خلاف المعهود، لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم، لا ما يضمره في نفسه، فلَا يَكُونُ الْكَلَامُ إِلَّا مِنْ مُتَكَلِّمٍ، لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئا قائما بنفسه منفصلا عن المتكلم، كَمَا لَا تَكُونُ الْإِرَادَةُ إِلَّا مِنْ مُرِيدٍ، وَلَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ، وَلَا يُعْقَلُ كَلَامٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ يَتَكَلَّمُ بِذَاتِهِ.

١٣. وَأَمَّا الاسْتَدَلال بِقَوْلِ الْأَخْطَلِ النصراني:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا [(١)]

فيرد عليه: بأنَّ هذا الاسْتِدْلَال فَاسِدٌ من عدة أوجه:

أ- أن هَذَا الْبَيْتُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأَخْطَلِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي دِيوَانِهِ؟!

ب- وَقِيلَ إِنَّمَا قَالَ: "إِنَّ الْبَيَانَ لَفِي الْفُؤَادِ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصِّحَّةِ.

ت- وَعَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ عَنْهُ، فَلَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ ضَلُّوا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ، وَزَعَمُوا أَنَّ عِيسَى عليه السلام نَفْسُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَاتَّحَدَ اللَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ! فلا يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ نَصْرَانِيٍّ قَدْ ضَلَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ، وَيُتْرَكُ مَا يُعْلَمُ مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ.

قال شيخ الإسلام: "لو احتج مُحتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلًا عن مسمى الكلام.

(١) شرح الطحاوية (ص: ١٨٤)، مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦)، (٧/ ١٣٨).

ثم يقال: مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة" [(١)].

١٤. وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ: هَلْ سَمِعَ مُوسَى عليه السلام جَمِيعَ الْمَعْنَى أَوْ بَعْضَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ جَمِيعَ كَلَامِ اللَّهِ! وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضَهُ، فَقَدْ قَالَ: يَتَبَعَّضُ. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ أَوْ أَنْزَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ.

١٥. وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠. وَلَمَّا قَالَ لهم: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ البقرة: ٣٤. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، هَلْ هَذَا جَمِيعُ كَلَامِهِ أَوْ بَعْضُهُ؟ فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ جَمِيعُهُ، فَهَذَا مُكَابَرَةٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضُهُ، فَقَدِ اعْتَرَفَ بِتَعَدُّدِهِ.

ومنشأ الخطأ عند أغلب هذه الطوائف المخالفة، أنهم اعتقدوا أن إثبات الكلام الحقيقي بالحرف والصوت في كلام الباري يقتضي مشابهة المخلوق بما يقتضيه الحال من مخارج الحروف والأصوات كالفم والجوف والحلق واللسان والشفتين والخيشوم.

بينما كلامه وصوته سبحانه وتعالى لا يستلزم ذلك، لأنه تبارك وتعالى لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يشبهه شيء من خلقه، بل قد ثبت أن بعض المخلوقات تتكلم وليست بذات شفة ولسان ومخارج، فالله يتكلم كما يليق بجلاله وعظمته، وكل مخلوق يتكلم كما يليق به.

قال ابن أبي العز: " وَغَايَةُ شُبْهَتِهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَلْزَمُ مِنْهُ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْنَا أَنَّهُ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ انْتَفَتْ شُبْهَتُهُمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ يس: ٦٥. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ تَتَكَلَّمُ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فصلت: ٢١. وَكَذَلِكَ تَسْبِيحُ الْحَصَا وَالطَّعَامِ، وَسَلَامُ الْحَجَرِ، كُلُّ ذَلِكَ بِلَا فَمٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّوْتُ الصاعد من لديه الْمُعْتَمِدُ عَلَى مَقَاطِعِ الْحُرُوفِ" [(٢)].

---

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ١١٤).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ١٧٠).

وقال شيخ الإسلام: " وَقَدْ نَصَّ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ أَحْمَد وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُنَادِي بِصَوْتِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ تَكَلَّمَ بِهِ بِحَرْفِ وَصَوْتٍ لَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ كَلَامًا لِغَيْرِهِ لَا جِبْرِيلَ وَلَا غَيْرِهِ وَأَنَّ الْعِبَادَ يَقْرَءُونَهُ بِأَصْوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ فَالصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ مِنْ الْعَبْدِ صَوْتُ الْقَارِئِ وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِئِ" [(١)].

إذن ما عليه النقل والعقل، والذي عليه السلف في صفة الكلام، أن الله ﷻ يتكلم بكلام حقيقي، قديم النوع، متجدد الآحاد، يتعلق بمشيئته ﷻ وقدرته، فلَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا متى شاء، بما شاء، كيف شاء، بحروف وأصوات مسموعة بالآذان، لا تماثل أصوات المخلوقين.

وأن القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلامه حروفه ومعانيه، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مسموع بالآذان.

فما ذهب إليه النيسابوري والأشاعرة عامة من إثبات الكلام النفسي الأزلي، بلا حرف أو صوت، ونفي الكلام الاختياري المتعلق بالمشيئة والقدرة.

وكذلك قولهم: إن القرآن المحفوظ والمتلو والمسموع والمكتوب محدث ومخلوق، كل ذلك مخالف لما عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٨٤- ٥٨٥).

الثانية: إثبات الرؤية:

المراد بالرؤية إثبات إمكانية رؤية الناس بأبصارهم للخالق تبارك وتعالى، أو عدمها ، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

أ- عرض رأي النيسابوري في رؤية الله ﷻ:

النيسابوري رحمه الله سار في هذه المسألة على نهج الأشاعرة، فهو يثبت الرؤية في الآخرة، وفي الجنة لأهلها، لكنه يقول إنها لا في مكان ولا في جهة، وبدون مقابلة، وبدون تقليب الحدقة التماسا لرؤيته سبحانه وتعالى، لأن هذا من صفات الأجسام وهو تعالى منزه عن ذلك.

فمما يدل على إثباته الرؤية قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٤٦: " استدل أهل السنة بالآية على جواز رؤية الله تعالى، وأنكرها المعتزلة قالوا: اللقاء لا يفيد الرؤية" [(١)].

وقال في معرض الرد على المعتزلة في نفي الرؤية، واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾الأنعام: ١٠٣: " الرؤية جنس، والإدراك، أي: إدراك البصر رؤية مع الإحاطة. ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام، فلا يلزم من نفي إدراك البصر نفي الرؤية ... ثم نقول: إذا ثبت ذلك يجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة" [(٢)].

وقال في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية: " ومنها أن موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها. ومنها أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل، والمعلق على الجائز جائز. ومنها قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦. قد اتفق الجمهور على أن النبي ﷺ وآله فسر الحسنى بالجنة، والزيادة بالرؤية، ومنها قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ الكهف: ١١٠. ونحو

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٧٨).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٣٧-١٣٨).

ذلك من الآيات الدالة على اللقاء، ... ومنها قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ .إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣. ومنها قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥. فيكون المؤمنون غير محجوبين. ومنها قوله: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ الزخرف: ٧١ ، ولا شك أن القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على أكمل الوجوه، وأكمل طرق المعرفة هو العيان. ومنها قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ الإنسان: ٢٠، فيمن قرأ بفتح الميم وكسر اللام.

وأما الأخبار فكثيرة منها: الحديث المشهور: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القمر ليلة البدر لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ » [(١)]. والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح، لا تشبيه المرئي بالمرئي.

ومنها أن الصحابة اختلفوا في أن النبي ﷺ وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج، ولم يكفر بعضهم بعضا بهذا السبب، فدل ذلك على أنهم كانوا يجمعون على إمكان الرؤية " [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣: " قالت الأشاعرة إن موسى سأل الرؤية وأنه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى. فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها" [(٣)].

ومما يدل على إثباته الرؤية بنفي الجهة والمكان والمقابلة قوله: في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٣: " وأعلم أن أهل السنة استدلوا بالآية على إمكان رؤية الله تعالى في الآخرة، بل على وجوبها بحكم الوعد، وحاصل كلامهم أن النظر إن كان بمعنى الرؤية فهو المطلوب، وإن كان بمعنى تقليب الحدقة نحو المرئي، فهذا في حقه تعالى محال، لأنه منزه عن الجهة والمكان، فوجب حمله على مسببه وهو الرؤية" [(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: " وسبح بحمد ربك..."، برقم: ٤٨٥١.
مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، (٤٣٩/١)، برقم: ٢١١-(٦٣٣).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٣٨-١٣٩).

(٣) نفس المصدر (٣ / ٣١٤)، وانظر: (٣ / ٣١٤)، (٣ / ٥٧٥)، (٦ / ٤٦٥).

(٤) نفس المصدر (٦ / ٤٠٤).

ب- نقد رأي النيسابوري في رؤية الله ﷻ:

النيسابوري رحمه الله سلك مسلك الأشاعرة في مسألة الرؤية، فهو يثبت الرؤية في الآخرة، وفي الجنة لأهلها، لكنه يقول إنها لا في مكان ولا في جهة، وبدون مقابلة، وبدون تقليب الحدقة التماسا لرؤيته ﷻ، لأن هذا من صفات الأجسام وهو تعالى منزه عن ذلك.

قال شيخ الإسلام في الرد على الأشاعرة: "قَوْلُ هَؤُلَاءِ: " إنَّ اللَّهَ يُرَى مِنْ غَيْرِ مُعَايَنَةٍ وَمُوَاجَهَةٍ "، قَوْلٌ انْفَرَدُوا بِهِ دُونَ سَائِرِ طَوَائِفِ الْأُمَّةِ، وَجُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ عَلَى أَنَّ فَسَادَ هَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ. وَالْأَخْبَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ" [(١)].

وقال: "الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يُرَى بِلَا مُقَابَلَةٍ، هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنِ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ، فَلَمَّا كَانُوا مُثْبِتِينَ لِلرُّؤْيَةِ نَافِينَ لِلْعُلُوِّ، احْتَاجُوا إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ. وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْكُلَّابِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ" [(٢)].

وقال ابن أبي العز: " وَمَنْ قَالَ: يُرَى لَا فِي جِهَةٍ، فَلْيُرَاجِعْ عَقْلَهُ!! فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُكَابِرًا لِعَقْلِهِ، أو فِي عَقْلِهِ شَيْءٌ، وَإِلَّا فَإِذَا قَالَ يُرَى لَا أَمَامَ الرَّائِي وَلَا خَلْفَهُ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَا عَنْ يَسَارِهِ وَلَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ، رَدَّ عَلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ بِفِطْرَتِهِ السَّلِيمَةِ " [(٣)].

فمذهب أهل السنة أن أهل الجنة يرون الله ﷻ بأبصارهم، رؤية حقيقية، من غير إحاطة ولا كيفية، وذلك في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ – ٢٣.

قال ابن أبي العز: " وَهِيَ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ ... وَإِضَافَةُ النَّظَرِ إِلَى الْوَجْهِ، الَّذِي هُوَ مَحَلُّهُ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَعْدِيَتُهُ بِأَدَاةِ "إِلَى" الصَّرِيحَةِ فِي نَظَرِ الْعَيْنِ، وَإِخْلَاءُ الكلام من قرينة تدل على خلافه حَقِيقَته ومَوْضُوعَه، صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِذَلِكَ نَظَرَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي الْوَجْهِ إِلَى الرب جل جلاله" [(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٤٢).

(٣) شرح الطحاوية (ص: ١٩٥).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ١٨٩).

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ» [(١)].

وحديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ...» [(٢)].

قال ابن قدامة[(٣)]: " وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير" [(٤)].

قال شيخ الإسلام: " نَعَمْ رُؤْيَةُ اللَّهِ بِالْأَبْصَارِ هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَيْضًا لِلنَّاسِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ " [(٥)].

وقد حكى الإجماع على إثبات الرؤية، ابن بطة، فقال: " فَإِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ وَبِالرِّسَالَةِ ... **وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" [(٦)].

---

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم: ٦٥٧٣.
مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١/١٦٣)، برقم: ٢٩٩-(١٨٢).

(٢) البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: " وسبح بحمد ربك..."، برقم: ٤٨٥١.
مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، (١/٤٣٩)، برقم: ٢١١-(٦٣٣).

(٣) هو الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الفقيه، المجْتَهِدُ، مُوَفَّقُ الدِّيْنِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قُدَامَةَ بنِ مِقْدَامِ بنِ نَصْرٍ المَقْدِسِيُّ، الجَمَّاعِيْلِيُّ، ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ، الصَّالِحِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) سَنَةَ: ٥٤٠هـ فِي شَعْبَانَ، وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق، وتوفي بها، ودفن في سفح قاسيون سنة: ٦٢٠هـ،من مصنفاته: المغني، الكَافِي، الْمقنع، العُمدَة، ذم التأويل، لمعة الاعْتِقَاد، وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥- ١٦٨)، الأعلام للزركلي (٤/ ٦٧)، معجم المؤلفين (٦/ ٣٠).

(٤) التعليق على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٨٧)، وانظر: منهاج السنة (٢/ ٣٣٢)، وشرح الطحاوية (١/١٩٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).

(٦) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٥٧).

المحور الثالث:

الصفات التي نفاها أو تأولها النيسابوري

الأولى: صفة العلو والفوقية:

أ- مذهب السلف:

العلو صفة ذاتية أزلية لله تبارك وتعالى، وهي أنواع ثلاثة:

١. علو الذات: وهو أنه فوق جميع خلقه بذاته، ليس فوقه شيء ولا حذاءه شيء، وأنه مستو على عرشه، بائن عن الخلق.

٢. علو القدر والشأن: وهو أن له من كل صفة كمالها وأَعْلَاهَا وَغَايَتُهَا.

٣. علو القهر والغلبة: وهو أنه الْقَاهِرَ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.

والسلف أثبتوا لله ﷻ العلو بأنوعه الثلاثة، علوا حقيقيا على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل [(١)].

فالعلو الذاتي لله تبارك وتعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الأنعام: ٦١. وقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد: ٩. وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ النحل: ٥٠. وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك: ١٦. وقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ الأعلى: ١. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ الأعراف: ٥٤.

---

(١) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٩٧)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤)، مدارج السالكين (١/ ٥٥)، معارج القبول (١/ ١٤٤)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٨٧)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٦٧)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٨٦- ٤٠٠).

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي »[(١)].

٥. حديث الجارية المشهور، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ، ... فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: **فِي السَّمَاءِ**، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(٢)].

قال شيخ الإسلام: " وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ مُتَطَابِقُونَ عَلَى أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ، وَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا لَا يُحْصَى"[(٣)].

وقد عدد ابن القيم أنواع أساليب الأدلة النقلية في الدلالة على علو الله ﷻ، وجعلها في ثمانية عشر نوعا، فقال: " أَحَدُهَا: التَّصْرِيحُ بِالْفَوْقِيَّةِ مَقْرُونَةً بِأَدَاةِ " مِنْ " الْمُعَيِّنَةِ لِفَوْقِيَّةِ الذَّاتِ ... أو مُجَرَّدَةً عَنْ الْأَدَاةِ ... التَّصْرِيحُ بِالْعُرُوجِ إِلَيْهِ ... التَّصْرِيحُ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ ... التَّصْرِيحُ بِرَفْعِهِ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ ... التَّصْرِيحُ بِالْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الدَّالِ عَلَى جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْعُلُوِّ ذَاتًا وَقَدْرًا وَشَرَفًا، ... التَّصْرِيحُ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْهُ ... التَّصْرِيحُ بِاخْتِصَاصِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَنَّهَا عِنْدَهُ، وَأَنَّ بَعْضَهَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ بَعْضٍ، ... التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فِي السَّمَاءِ، ... التَّصْرِيحُ بِالِاسْتِوَاءِ مَقْرُونًا بِأَدَاةِ "عَلَى" مُخْتَصًّا بِالْعَرْشِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ مُصَاحِبًا فِي الْأَكْثَرِ لِأَدَاةِ " ثُمَّ " الدَّالَّةِ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْمُهْلَةِ، وَهُوَ بِهَذَا السِّيَاقِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَاهُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ الْمُخَاطَبُونَ غَيْرَهُ مِنْ الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ، وَلَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ أَلْبَتَّةَ؛ ... التَّصْرِيحُ بِرَفْعِ الْأَيْدِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ... التَّصْرِيحُ بِنُزُولِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالنُّزُولُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ ... الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ حِسًّا إِلَى الْعُلُوِّ ... إِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ رَامَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى"[(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:" ويحذركم الله نفسه"، برقم: ٧٤٠٤.

مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٤/٢١٠٧)، برقم: ١٤-(٢٧٥١).

(٢) مسلم: كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، (١/٣٨١)، برقم: ٣٣-(٥٣٧).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/ ٣١٨).

(٤) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٢١٥- ٢١٦)، شرح الطحاوية (ص: ٢٨٥).

دلالة العقل:

١. أنه مما لا شك فيه أن الله ﷻ إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته، فلا يكون له العلو التام، والسيطرة التامة، والسلطان التام، فإذا كان السفل مستحيلاً؛ كان العلو واجباً.

٢. أن جهة فوق أشرف الجهات، وهو صفة كمال، فوجب أن يكون ثابتا لله، لأن كل صفة كمال مطلقة، فهي ثابتة لله [(١)].

قال شيخ الإسلام: " لأنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم دون الجهل، ... ولما تقابل المباينة للعالم والمداخلة له وصف بالمباينة دون المداخلة.

وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مسامتاً له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول.

والمنازع يسلم أنه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر، وعلو المكانة معناه أنه أكمل من العالم، وعلوه القهر مضمونه أنه قادر على العالم، فإذا كان مبايناً للعالم، كان من تمام علوه أن يكون فوق العالم، لا محاذياً له، ولا سافلاً عنه، ولما كان العلو صفة كمال، كان ذلك من لوازم ذاته، فلا يكون مع وجود غيره إلا عالياً عليه، لا يكون قط غير عال عليه" [(٢)].

دلالة الفطرة:

وهي ما يجده ابن آدم حال الدعاء، وخاصة إذا حزبه أمر، من ضرورة رفع اليدين، قاصدا جهة العلو قلبا وقالبا، فيجد ذلك اضطرارا لا اختيارا بحيث لا يستطيع أحد دفعه.

---

(١) انظر: تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص: ٦٥-٦٦)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٨٦- ٤٠٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٥- ٦).

وهذا ما احتج به أبو جعفر الهمذاني[١] على أبي المعالي الجويني حينما نفى العلو بقوله: " كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ! فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبِرْنَا يَا أُسْتَاذُ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا؟ فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهُ، إِلَّا وَجَدَ فِي قلبه ضرورة طلب الْعُلُوِّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ ندفع بهذه الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا؟ قَالَ: فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَلَى رَأْسِهِ وَنَزَلَ! وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَبَكَى! وَقَالَ: حيرني الهمداني حَيَّرَنِي!

أَرَادَ الشَّيْخُ: أَنَّ هَذَا أَمْرٌ فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ من المرسلين، يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ طَلَبًا ضَرُورِيًّا يَتَوَجَّهُ إِلَى اللَّهِ وَيَطْلُبُهُ فِي الْعُلُوِّ" [٢].

قال ابن خزيمة: " بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي السَّمَاءِ، كَمَا أَخْبَرَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﵇، وَكَمَا هُوَ مَفْهُومٌ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، عُلَمَائِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ، أَحْرَارِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ، ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ، بَالِغِيهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ، كُلُّ مَنْ دَعَا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا: فَإِنَّمَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَى أَعْلَاهُ لَا إِلَى أَسْفَلَ" [٣].

وقد حكى الإجماع: السجزي فقال: " وَأَئِمَّتُنَا...: **مُتَّفِقُونَ** عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ" [٤].

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " ومنها العلي والمتعالي، فإن العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فإما أن يراد بمثل هذه الألفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات، وإما أن يقال: إنا نطلق

---

(١) هو أَبُو جَعْفَرٍ، مُحَمَّدُ ابنُ أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الهَمَذَانِيُّ، كَانَ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الأَثَرِ، وَمِنْ كُبَرَاءِ الصُّوْفِيَّةِ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ: سَافَرَ الكَثِيْرَ إِلَى البُلْدَانِ الشَّاسِعَة، وُلِدَ: بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ، وتوفي سنة: ٥٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠١)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٠)، معجم المؤلفين (١١/ ٦٩).

(٢) انظر: العرش للذهبي (١/ ١٥٣)، الاستقامة (١/ ١٦٧)، مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٤٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٧٥)، شرح الطحاوية (ص: ٢٩١).

(٣) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٥٤).

(٤) انظر: المجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٢)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥٠)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢٣٥)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٤٦)، و(٢/ ٢٧٩)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٣٨).

هذه الأسماء للإذن الشرعي فنكل معانيها إلى مراد الله تعالى، وإما أن نستمد في إدراكها بضرب من الكشف والعيان" [(١)].

فهو هنا ينفي علو الذات بقوله:" فإن العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله"، ويثبت علو القدر بقوله: " فإما أن يراد بمثل هذه الألفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات".

وقال: أما قوله: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران: ٥٥: " فالمشبهة تمسكوا بمثله في إثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء، لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة، فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل، بأن المراد إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ النحل: ٥٠: "وقوله: ﴿ مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ إما أن يتعلق بـ: ﴿ يَخَافُونَ ﴾ والمعنى: يخافون ربهم أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم، وإما أن يكون حالا من الرب، أي: يخافونه غالبا قاهرا " [(٣)].

وقال: " واستدلال المشبهة بقوله: ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك: ١٦: ظاهر. وأهل السنة يتأولونه: بوجوه: **منها**: ... أن العرب كانوا يقرون بوجود الإله، لكنهم يزعمون أنه في السماء، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ مَنْ تزعمون أنه فِي السَّماءِ. **ومنها**: قول جمع من المفسرين ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ من في السماء ملكوته أوسلطانه أو قهره، لأن العادة جارية بنزول البلاء من السماء.**ومنها**: قول آخرين أن المراد جبرائيل يخسف بهم الأرض بأمر الله" [(٤)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ الأعلى: ١: " والمراد بالعظم والعلو عظم الشرف وعلو القدر، فلا استدلال فيه للمشبهة" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧٢).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٧١).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٢٦٧-٢٦٨).

(٤) انظر: نفس المصدر (٦/ ٣٢٨).

(٥) نفس المصدر (٦/ ٤٨٣).

ج – نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى علو الذت، وأثبت فقط علو القدر، وعلو القهر، وأول النصوص الشرعية في إثبات علو الذات بعلو القدر والقهر.

وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات بحجة أن إثباتها يقتضي التجسيم والتشبيه.

الرد عليه:

١. أن تفسير العلو بمجرد علو القدر، وعلو القهر، دون إثبات علو الذت بما يليق بجلال الله وعظمته، تأويل فاسد، لأنه صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

٣. وهو كذلك يخالف العقل والفطرة .

٤. قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك: ١٦، أي من في السماء ملكوته أوسلطانه أو قهره، يرد عليه بأن ملك الله وسلطانه وقهره في السماء وفي الأرض أيضا.

٥. نفي العلو بحجة أن ذلك يستلزم أن يكون في جهة، وهو من صفات الأجسام، والله منزه عن ذلك، هي حجة باطلة، لأن الله لا يشبهه شيء من خلقه، فكما أثبت لنفسه ذاتا لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه صفات الخلق، وقد أضاف صفة العلو إلى نفسه، وتمدح به، وأثبته له رسوله ﷺ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة العلو مخالف للكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

الثانية: صفة الاستواء:

أ- مذهب السلف:

الاستواء صفة فعلية اختيارية لله ﷻ، لأنه يتعلق بمشيئته، وكل صفة تتعلق بمشيئته فهي من الصفات الفعلية، وهو استواء حقيقي، معناه: العلو والارتفاع والصعود، والاستقرار.

والسلف أثبتوا أن الله مستو على عرشه بذاته ﷻ حقيقة، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

واستواء الله تبارك وتعالى على عرشه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب:

وردت لفظة: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ المقيدة والمتعدية بـ: "على" الدالة على العلو والارتفاع، في سبعة مواضع في القرآن الكريم، هي:

١. قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي﴾ الأعراف: ٥٤.

٢. وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ يونس: ٣.

٣. وقوله تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ﴾ الرعد: ٢.

٤. وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى .ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ طه: ٤ – ٥.

٥. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ الفرقان: ٥٩.

٦. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ السجدة: ٤.

٧. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ الحديد: ٤.

ووردت مقيدة بـ: "إلى" الدالة على العلو والارتفاع أيضا، في موضعين:

١. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة: ٢٩.

٢. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ فصلت: ١١.

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي »[(١)].

قَالَ الإِمَام البخاري: " قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ البقرة: ٢٩، ارْتَفع، وَقَالَ مُجَاهِد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ "[(٢)].

قال البغوي: " ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى﴾ الأعراف: ٥٤، قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: **اسْتَقَرَّ**. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: **صَعَدَ**. وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. فأمّا أهل السنة يقولون: الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِلَا كَيْفٍ، يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْإِيمَانُ بِهِ وَيَكِلُ الْعِلْمَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وَسَأَلَ رَجُلٌ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه: ٥، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ رَأْسَهُ مَلِيًّا وَعَلَاهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا ضَالًّا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ"[(٣)].

وقال القرطبي[(٤)]: " وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً. وَخُصَّ الْعَرْشُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَإِنَّمَا جَهِلُوا كَيْفِيَّةَ الِاسْتِوَاءِ فَإِنَّهُ لَا تُعْلَمُ حَقِيقَتُهُ، ... وَالِاسْتِوَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْعُلُوُّ وَالِاسْتِقْرَارُ"[(٥)].

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى" ويحذركم الله نفسه"، برقم: ٧٤٠٤.
مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٤/٢١٠٧، برقم: ١٤-(٢٧٥١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وكان عرشه على الماء"، وانظر: إثبات الحد لله ﷻ (٥٧).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٩٧).

(٤) هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، القرطبي، المالكي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة: ٦٧١هـ. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٥٨٤)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)، معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٩).

(٥) تفسير القرطبي (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

وقال ابن خزيمة: " فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِخَبَرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ خَالِقَنَا مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، لَا نُبَدِّلُ كَلَامَ اللَّهِ، وَلَا نَقُولُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَنَا، كَمَا قَالَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى عَرْشِهِ، لَا اسْتَوَى، فَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، كَفِعْلِ الْيَهُودِ، كَمَا أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، فَقَالُوا: حِنْطَةٌ، مُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ" [(١)].

وقال الذهبي: "ومما ينبغي معرفته أن السلف مع إثباتهم لمعنى الاستواء، واعتقادهم بأن الله **مستو** على عرشه **ومرتفع** عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله ﷻ، لأن أمره هو مما استأثر الله بعلمه" [(٢)].

وقال أيضا:" وإن مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين أنهم يقولون: إن الله استوى على عرشه بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، واستواؤه حقيقة لا مجاز كما يزعم الجهمية وأتباعهم الذين ينكرون العرش وأن يكون الله فوقه، وأما كيفية ذلك الاستواء فهي مجهولة لدينا والسؤال عن كيفية ذلك الاستواء بدعة، لأن الله سبحانه لم يطلعنا على كيفية ذاته، فكيف يكون لنا أن نعرف كيفية استوائه" [(٣)].

وقد حكى الإجماع: أبو عمر الطلمنكي، حيث قال: " **وأجمع المسلمون** من أهل السنة على أن معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن، أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء" [(٤)].

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

(٢) العرش للذهبي (١/ ١٩٣).

(٣) نفس المصدر (١/ ٣٢٥).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٩٨)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٥١)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٠)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤).

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٩: " والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الأجسام، وإنه تعالى منزه عن ذلك. وأيضا «ثم» تقتضي التراخي، فلو كان المراد بهذا الاستواء العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا أزلا، ولم يكن متأخرا عن خلق ما في الأرض، فيجب التأويل" [١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾آل عمران: ٧ : " قال أهل السنة: ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه: ٥، فإنه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الإله في مكان وإلا لزم انقسامه، وكل منقسم مركب، وكل مركب ممكن. فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات" [٢].

وقال: " مثاله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ طه: ٥، فإنه دل الدليل على أن الإله يمتنع أن يكون في المكان، فعرفنا أنه ليس مرادا لله من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها، إلا أن في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين أحدها إلا بدليل لغوي ظني، والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز بإجماع المسلمين، ولهذا قال مالك بن أنس:

الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " [٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأعراف: ٥٤: " أما قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه **عقلية ونقلية:**

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢١٠).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٠٧).

(٣) نفس المصدر (٢/ ١٠٩).

منها: أن استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش، وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة إلى محدث مخصص فلا يكون واجبا.

ومنها: أنه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان إما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهيا من بعضها دون بعض. وعلى الأول يلزم اختلاطه بجميع الأجسام حتى للقاذورات، وعلى الثاني يلزم التركيب والتجزئة في ذاته تعالى.

ومنها: أنه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة، لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها إلى غيره، فيكون ممكنا.

ومنها: أن الحيز والجهة لا معنى له إلا الفراغ المحض، ولأن هذا المفهوم واحد فالأحياز بأسرها متساوية في تمام الماهية. فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار، وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث، فحصوله في الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف.

منها: لو كان في حيز لكان إما أعظم من العرش أو مساويا له أو أصغر منه والثالث باطل بالإجماع والأولان يستلزمان الانقسام لأن المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه.

وأما الدلائل السمعية فكثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ١، والأحد مبالغة في كونه واحدا، والذي يمتلىء منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا من أجزاء ... وذلك ينافي كونه أحدا.

ومنها: قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٧، ويلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للإله.

ومنها: أن فرعون طلب حقيقة الإله في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ٢٣، ولم يزد موسى على ذكر الأوصاف. وأما فرعون فقد طلب الإله في السماء في قوله: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ غافر: ٣٧، فعلمنا أن التنزيه دين موسى، ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون.

ومنها: هذه الآية لأنها تدل على أنه استقر على العرش بعد تخليق السموات والأرض وكان قبل ذلك مضطربا.

ومنها: أن أول الآية أعني قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ إلى آخر الآية. فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان أجنبيا عما قبله وعما بعده، لأنه ليس من صفات المدح، إذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه أنه استقر على العرش. فإذن **المراد بالاستواء:** كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت، حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها.

هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الآية قولان:

الأول: القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة، ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها إلى الله.

والثاني: الخوض في التأويل وذلك من وجوه:

أحدها: تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء أي استعلى على الملك.

وثانيها: أن «استوى» بمعنى «استولى» كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف و لا دم مهراق

وثالثها: ذكر القفال أن العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك، ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك. يقال: استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه إذا استقام له أمره واطرد [(١)].

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري **نفى** هذه الصفة، **وأولها**، متوافقا مع المتكلمين، وأهل التأويل، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، **فأول** النصوص الشرعية في إثبات الاستواء **بـ:** الاستيلاء، **وبـ:** كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت.

---

(١) انظر: تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٤٦- ٢٥٢).

فيتلخص الرد عليه بالآتي[(١)]:

أولا: أن تأويل الاستواء **بـ**: الاستيلاء، **وبـ**: كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت، فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح ولا دليل.

ثانيا: أنه خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

ثالثا: نفي حقيقة الاستواء بحجة التشبيه والتجسيم والحدوث والتركيب، وأن الله لو كان فوق العرش لكان إما أعظم من العرش أو مساويا له أو أصغر منه، حجة باطلة، لأن الله لا يشبهه شيء من خلقه، فكما أثبت لنفسه ذاتا لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه صفات الخلق، وقد أضاف صفة الاستواء إلى نفسه، وتمدح به، وأثبته له رسوله ﷺ، فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

قال ابن عبد البر: " وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ لَوْ كَانَ فِي مَكَانٍ لَأَشْبَهَ الْمَخْلُوقَاتِ لَأَنَّ مَا أَحَاطَتْ بِهِ الْأَمْكِنَةُ وَاحْتَوَتْهُ مَخْلُوقٌ فَشَيْءٌ لَا يَلْزَمُ وَلَا مَعْنَى لَهُ، لِأَنَّهُ ﷻ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ مِنْ بَرِيَّتِهِ، لَا يُدْرَكُ بِقِيَاسٍ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كَانَ قَبْلَ كُلِّ شيء، ثم خلق الأمكنة والسموات وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا شَرِيكَ لَهُ" [(٢)].

رابعا: نفي الاستواء بحجة أن ذلك يستلزم أن يكون محدودا، قال ابن عثيمين: " وإن أردتم بكونه محدوداً: أن العرش محيط به، فهذا باطل، وليس بلازم، فإن الله تعالى مستوى على العرش، وإن كان ﷻ أكبر من العرش، ومن غير العرش، ولا يلزم أن يكون العرش محيطاً به، بل لا يمكن أن يكون محيطاً به، لأن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾الزمر: ٦٧ [(٣)].

---

(١) انظر: العرش للذهبي (١/ ١٨٧)، شرح العقيد الواسطية للهراس (ص: ١٣٧- ١٤٢)، شرح العقيد الواسطية للعثيمين (١/ ٣٧٣- ٣٨٦)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٦٥).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٨٠).

خامسا: نفي الاستواء بحجة أن ذلك يستلزم أن يكون مفتقرا ومحتاجا، وأن يكون حامل العرش حاملا للإله، قال ابن عثيمين: " لا يلزم، لأن معنى كونه مستوياً على العرش: أنه فوق العرش، لكنه علو خالص، وليس معناه أن العرش يقله أبداً، فالعرش لا يقله، والسماء لا تقله، وهذا اللازم الذي ادعيتموه ممتنع، لأنه نقص بالنسبة إلى الله ﷻ، وليس بلازم من الاستواء الحقيقي، لأننا لسنا نقول: إن معنى ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ الأعراف: ٥٤، يعني: أن العرش يقله ويحمله، فالعرش محمول: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ الحاقة: ١٧، وتحمله الملائكة الآن، لكنه ليس حاملاً لله ﷻ، لأن الله ﷻ ليس محتاجاً إليه، ولا مفتقراً إليه" [(١)].

سادسا: قوله أنه استقر على العرش بعد تخليق السموات والأرض، وكان قبل ذلك مضطربا، قال شيخ الإسلام: " فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ إنَّمَا اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، فَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْعَرْشِ؟ قِيلَ الِاسْتِوَاءُ عُلُوٌّ خَاصٌّ، فَكُلُّ مُسْتَوٍ عَلَى شَيْءٍ عَالٍ عَلَيْهِ وَلَيْسَ كُلُّ عَالٍ عَلَى شَيْءٍ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ. وَلِهَذَا لَا يُقَالُ لِكُلِّ مَا كَانَ عَالِيًا عَلَى غَيْرِهِ إنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ وَاسْتَوَى عَلَيْهِ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا قِيلَ فِيهِ إنَّهُ اسْتَوَى عَلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنَّهُ عَالٍ عَلَيْهِ: وَالَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ " الِاسْتِوَاءُ " لَا مُطْلَقُ الْعُلُوِّ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمَّا كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ لَمَّا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ كَانَ عَالِيًا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا خَلَقَ هَذَا الْعَالَمَ اسْتَوَى عَلَيْهِ" [(٢)].

سابعا: قوله: أن التنزيه دين موسى، ووصفه بالمكان والحيز- أي الاستواء والعلو – دين فرعون، يرد عليه بأن العكس هو الصحيح، فإن إثبات الاستواء والعلو دين موسى عليه السلام، ونفي ذلك دين فرعون.

فقوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ غافر: ٣٧، يدل أن موسى أخبر فرعون أن الله في السماء ودعاه إليه، فرَامَ فرعون الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ، لِيَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٢- ٥٢٣).

فَيُكَذِّبَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السماوات، إذ لو كان موسى قال له: إن الإله الذي أدعوك إليه ليس في السماء، لكان هذا القول من فروعون عبثاً، ولكان بناؤه القصر جنوناً.

فَمَنْ نَفَى الْعُلُوَّ والاستواء مِنَ الْجَهْمِيَّةِ فَهُوَ فِرْعَوْنِيٌّ، وَمَنْ أَثْبَت ذلك فَهُوَ مُوسَوِيٌّ مُحَمَّدِيٌّ [(١)].

قال شيخ الإسلام: " ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٣٧، فِيمَا قَالَ لِي إنَّ إلَهَهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ. فَبَيَّنَ اللَّهُ ﷺ أَنَّ فِرْعَوْنَ ظَنَّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا قَالَ، وَعَمَدَ لِطَلَبِهِ حَيْثُ قَالَهُ مَعَ الظَّنِّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى قَالَ: إنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَطَلَبَهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي بَدَنِهِ أَوْ حَشِّهِ. فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُجْهِدْ نَفْسَهُ بِبُنْيَانِ الصَّرْحِ" [(٢)].

ثامنا: تأويل الاستواء بالاستيلاء باطل، من وجوه عدة:

الأول: أن تأويل الاستواء بالاستيلاء مخالف لتفسير السلف من الصحابة والتابعين، الذي أجمعوا عليه، والدليل على إجماعهم أنه لم ينقل عنهم أنهم قالوا به وخالفوا الظاهر، ولو كانوا يرون خلاف ظاهره لنقل إلينا، فما منهم أحد قال: إن "استوى" بمعنى "استولى" [(٣)].

الثاني: أنه مخالف لظاهر اللفظ، لأن مادة الاستواء إذا تعدت بـ: "على" ، فهي بمعنى العلو والاستقرار، هذا ظاهر اللفظ، وهذه مواردها في القرآن وفي كلام العرب.

فلَفْظَ الِاسْتِوَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِي خَاطَبَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِلُغَتِهِمْ وَأَنْزَلَ بِهَا كَلَامَهُ نَوْعَانِ: مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ.

---

(١) انظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٦٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٥)، إعلام الموقعين (٢/ ٢١٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٤٧)، و(٢/ ١٩٨)، العرش للذهبي (٢/ ٢٠)، و(٢/ ٣٧٨)، العلو للعلي الغفار (ص: ٢١٩)، شرح الطحاوية (ص: ٢٨٧)، معارج القبول (١/ ١٧٢)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٤٤)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٦٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٧٣)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٧٦- ٣٧٨).

فَالْمُطلَّقُ: مَا لَمْ يُوصَلْ مَعْنَاهُ بِحَرْفٍ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ القصص: ١٤، وَهَذَا مَعْنَاهُ كَمُلَ وَتَمَّ. **وَأَمَّا الْمُقَيَّدُ**: فَثَلَاثَةُ أَضْرَابٍ:

١. مُقَيَّدٌ بِـ: "إِلَى" كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة: ٢٩، وَاسْتَوَى فُلَانٌ إِلَى السَّطْحِ وَإِلَى الْغُرْفَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمُعَدَّى بِإِلَى فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ: فِي الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة: ٢٩، وَالثَّانِي فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ فصلت: ١١، وَهَذَا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ.

٢. مُقَيَّدٌ بِـ: "عَلَى" كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾هود: ٤٤، وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ الفتح: ٢٩، وَهَذَا أَيْضًا مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ وَالِاعْتِدَالُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

٣. الْمُقِرُّونَ بِوَاوِ "مَعَ" الَّتِي تُعَدِّي الْفِعْلَ إِلَى الْمَفْعُولِ مَعَهُ، نَحْوَ: اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةَ، بِمَعْنَى سَاوَاهَا، وَهَذِهِ مَعَانِي الِاسْتِوَاءِ الْمَعْقُولَةِ فِي كَلَامِهِمْ، لَيْسَ فِيهَا مَعْنَى اسْتَوْلَى الْبَتَّةَ، وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَهُ مُتَأَخِّرُو النُّحَاةِ مِمَّنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ [١].

وقد سئل الخليل بن أحمد: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: "هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها" [٢].

الثالث: أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم:

١. فيلزم أن يكون الله عز وجل حين خلق السماوات والأرض ليس مستولياً على عرشه، لأن الله يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى﴾ الأعراف: ٥٤، و" ثُمَّ " تفيد الترتيب، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله.

٢. أن الغالب من كلمة "استولى" أنها لا تكون إلا بعد مغالبة! ولا أحد يغالب الله [٣].

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، العرش للذهبي (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٧٧).

قال شيخ الإسلام: " رُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَا يَجُوزُ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى إلَّا فِي حَقِّ مَنْ كَانَ عَاجِزًا ثُمَّ ظَهَرَ، وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَالْعَرْشُ لَا يُغَالِبُهُ فِي حَالٍ، فَامْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى اسْتَوْلَى" [(١)].

وقال أيضا: " فَأَهْلُ اللُّغَةِ قَالُوا: لَا يَكُونُ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى إلَّا فِيمَا كَانَ مُنَازِعًا مُغَالِبًا فَإِذَا غَلَبَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قِيلَ: اسْتَوْلَى؛ وَاَللَّهُ لَمْ يُنَازِعْهُ أَحَدٌ فِي الْعَرْشِ" [(٢)].

٣. من اللوازم الباطلة أنه يصح أن نقول: إن الله استوى على الأرض والشجر والجبال، لأنه مستول عليها.

قال ابن القيم نقلا عن الخطابي قوله: " لَوْ كَانَ الِاسْتِوَاءُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ لَكَانَ الْكَلَامُ عَدِيمَ الْفَائِدَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحَاطَ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ قَطْرٍ وَبُقْعَةٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ وَتَحْتَ الْعَرْشِ، فَمَا مَعْنَى تَخْصِيصِهِ الْعَرْشَ بِالذِّكْرِ" [(٣)].

تاسعا: الاعتماد على البيت المشهور:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف و لا دم مهراق

لتأويل الاستواء بالاستيلاء باطل، من وجوه:

١. أنه بيت مصنوع، كما قال شيخ الإسلام: " وَلَمْ يَثْبُتْ نَقْلٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ شِعْرٌ عَرَبِيٌّ، وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ أَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا: إنَّهُ بَيْتٌ مَصْنُوعٌ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ احْتَجَّ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَاحْتَاجَ إلَى صِحَّتِهِ، فَكَيْفَ بِبَيْتِ مِنْ الشِّعْرِ لَا يُعْرَفُ إسْنَادُهُ، وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ أَئِمَّةُ اللُّغَةِ" [(٤)].

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٧).

(٣)مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٧٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، وانظر: العرش للذهبي (١/ ٢٠٤).

٢. أن هذا البيت لو صح فهو حجة عليهم لا لهم، قال ابن القيم: " لَوْ صَحَّ هَذَا الْبَيْتُ وَصَحَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّفٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الِاسْتِوَاءِ، فَإِنَّ بِشْرًا هَذَا كَانَ أَخَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَاسْتَوَى عَلَى سَرِيرِهَا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْمُلُوكِ وَنُوَّابِهَا أَنْ يَجْلِسُوا فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُسْتَوِينَ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْمُطَابِقُ لِمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي اللُّغَةِ" [(١)].

٣. وعلى فرض صحة البيت، وأن المراد به استيلاء القهر والملك، لكان المستوي عبد الملك، لا أخوه بشر، قال ابن القيم: " لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ اسْتِيلَاءَ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ لَكَانَ الْمُسْتَوِي عَلَى الْعِرَاقِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، لَا أَخُوهُ بِشْرٌ، فَإِنَّ بَشَرًا لَمْ يَكُنْ يُنَازِعُ أَخَاهُ الْمُلْكَ وَلَمْ يَكُنْ مَلِكًا مِثْلَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَهُ عَلَيْهَا وَوَالِيًا مِنْ جِهَتِهِ، فَالْمُسْتَوْلِي عَلَيْهَا هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَا بِشْرٌ، بِخِلَافِ الِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ الِاسْتِقْرَارُ فِيهَا وَالْجُلُوسُ عَلَى سَرِيرِهَا، فَإِنَّ نُوَّابَ الْمُلُوكِ تَفْعَلُ هَذَا بِإِذْنِ الْمُلُوكِ" [(٢)].

إذن: فما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة الاستواء وتأويلها، مخالف للصواب الذي أجمع عليه السلف رحمهم الله، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٧٩).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٨٠).

الثالثة: صفة الإتيان والمجيء:

أ- مذهب السلف:

الإتيان والمجيء من الصفات الفعلية الاختيارية، والسلف أثبتوا لله ﷻ إتيانا ومجيئا حقيقيين لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فإن صفتي الإتيان والمجيء لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ البقرة: ٢١٠. وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾ الأنعام: ١٥٨. وقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾الحشر: ٢. وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ الفجر: ٢٢.

قال ابن جرير[(١)]: " يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك، يا محمد، بين خلقه في موقف القيامة" [(٢)].

وقال البغوي: "﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾، بِلَا كَيْفٍ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ"[(٣)].

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ في حديث طويل، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وفيه: « . . . وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ،

---

(١) هو الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ بنِ كَثِيْرٍ الطَّبَرِيّ، مفسر، مقرئ، محدث مؤرخ، فقيه، اصولي، مجتهد، بطبرستان سنة: ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة: ٣١٠هـ، من مصنفاته: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الامم والملوك، وتهذيب الآثار. سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧- ٢٨٢)، لسان الميزان (٥/ ١٠٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ٦٩)، معجم المؤلفين (٩/ ١٤٧).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (١٢/ ٢٤٥).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٧٣).

فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» (١).

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ» (٢).

قال النووي: " هَكَذَا هُوَ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ جِئْتُهُ أَتَيْتُهُ وَفِي بَعْضِهَا جِئْتُهُ بِأَسْرَعِ فَقَطْ وَفِي بَعْضِهَا أَتَيْتُهُ وَهَاتَانِ ظَاهِرَتَانِ وَالْأَوَّلُ صَحِيحٌ أَيْضًا وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا لِلتَّوْكِيدِ وَهُوَ حَسَنٌ لَا سِيَّمَا عِنْدَ اخْتِلَافِ اللَّفْظِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ" (٣).

وقد حكى الإجماع: الأشعري حيث قال: "وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء،" (٤).

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾ البقرة: ٢١٠: " وأما إتيان الله، فقد أجمع المفسرون على أنه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب، لأن هذا من شأن المحدثات والمركبات، وأنه تعالى أزلي فرد في ذاته وصفاته، فذكروا في الآية وجهين:

الأول: وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الألفاظ عن التأويل وتفويضه إلى مراد الله تعالى ...

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: " وجوه يومئذ ناضرة" ، برقم: ٧٤٣٧، و٧٤٣٩ .
مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١٦٣/١)، برقم: ٢٩٩-(١٨٢).

(٢) مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، (٢٠٦١/٤)، برقم: ٣-(٢٦٧٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٢٨).

الثاني: وهو قول جمهور المتكلمين: أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل.

فقيل: جعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لها كما يقال «جاء الملك» إذا جاء جيش عظيم من جهته. وقيل: المراد إتيان أمره وبأسه فحذف المضاف" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ الأنعام: ١٥٨: "أي ينتظرون، ومعنى الاستفهام النفي، وتقدير الآية إنهم لا يؤمنون بك إلا عند مجيء أحد هذه الأمور: مجيء الملائكة، أو مجيء الرب، ويعني به عذابه وبأسه كما سلف في البقرة، أو مجيء المعجزات القاهرة" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾الحشر: ٢: "ومعنى إتيان الله، إتيان أمره وهو النصر إن عاد إلى اليهود" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر: ٢٢: " أي أمره بالجزاء والحساب أو قهره أو دلائل قدرته. ويجوز أن يكون تمثيلا لهول ذلك اليوم، كما إذا حضر الملك بنفسه وجنوده كان أهيب" [(٤)].

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة الإتيان والمجيء، وتأولها بمجيء أمره بالجزاء والحساب والنصر، أو مجيء عذابه وبأسه، أو مجيء دلائل قدرته وقهره، ومعجزاته القاهرة، وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الفعلية الاختيارية بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٥٧٩- ٥٨٠).

(٢) نفس المصدر (٣ / ١٩١).

(٣) نفس المصدر (٦ / ٢٨٢).

(٤) نفس المصدر (٦ / ٤٩٨).

الرد عليه:

١. أن تفسير الإتيان والمجيء بمجرد مجيء أمره بالجزاء والحساب والنصر، أو مجيء عذابه وبأسه، أو مجيء دلائل قدرته وقهره، ومعجزاته القاهرة، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

قال شيخ الإسلام: " أَمَّا الْإِتْيَانُ الْمَنْسُوبُ إلَى اللَّهِ، فَلَا يَخْتَلِفُ قَوْلُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، كَمَكْحُولِ وَالزُّهْرِيِّ وَالْأَوْزَاعِي[١] وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَمَالِك بْنِ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمد وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنَّهُ يَمُرُّ كَمَا جَاءَ. وَكَذَلِكَ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ، كَأَحَادِيثِ النُّزُولِ وَنَحْوِهَا. وَهِيَ طَرِيقَةُ السَّلَامَةِ وَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يُؤْمِنُونَ بِظَاهِرِهَا، وَيَكِلُونَ عِلْمَهَا إلَى اللَّهِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ" [٢].

وقال ابن القيم: " وقَوْلُهُ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ الفجر: ٢٢، فَعَطْفُ مَجِيءِ الْمَلَكِ عَلَى مَجِيئِهِ سُبْحَانَهُ يَدُلُّ عَلَى تَغَايُرِ الْمَجِيئَيْنِ، وَأَنَّ مَجِيئَهُ سُبْحَانَهُ حَقِيقَةٌ، كَمَا أَنَّ مَجِيءَ الْمَلَكِ حَقِيقَةٌ، بَلْ مَجِيءُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً مِنْ مَجِيءِ الْمَلَكِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الأنعام: ١٥٨، فَفَرَّقَ بَيْنَ إِتْيَانِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِتْيَانِ الرَّبِّ، وَإِتْيَانِ بَعْضِ آيَاتِ رَبِّكَ، فَقَسَّمَ وَنَوَّعَ، وَمَعَ هَذَا التَّقْسِيمِ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْقِسْمَانِ وَاحِدًا فَتَأَمَّلْهُ " [٣].

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة الإتيان والمجيء مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

---

(١) هو أَبُو عَمْرٍو، الأَوْزَاعِيُّ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَمْرِو بنِ أبي عمرو واسمه يُحمد الشامي، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، وَعَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ، ثقة جليل، من السابعة، وُلِدَ سَنَةَ: ٨٨هـ، وتُوُفِّيَ: سَنَةَ: ١٥٧هـ، روى له أصحاب الكتب الستة. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، برقم: ٤٨. تهذيب التهذيب (٦/ ٢٣٨)، برقم: ٤٨٧. تقريب التهذيب، برقم: ٣٩٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٩).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٥٨).

الرابعة: صفة الحياء:

أ- مذهب السلف:

الحياء من الصفات الفعلية الاختيارية، والسلف أثبتوا لله ﷻ حياء حقيقيا على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فكما أن المخلوق تُثبت له هذه الصفة، وهي في مقام الكمال والمدح، فثبوتها لله تبارك وتعالى من باب أولى. فإن صفة الحياء لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾ البقرة: ٢٦.

٢. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾الأحزاب: ٥٣.

ومن أدلة السنة:

١. عَنْ سَلْمَانَ الفارسي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» [(١)].

٢. عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» [(٢)].

قال ابن القيم: " وَأَمَّا حَيَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ: فَذَاكَ نَوْعٌ آخَرُ. لَا تُدْرِكُهُ الْأَفْهَامُ. وَلَا تَكَيِّفُهُ الْعُقُولُ. فَإِنَّهُ حَيَاءُ كَرَمٍ وَبِرٍّ وَجُودٍ وَجَلَالٍ" [(٣)].

---

(١) أبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم: ١٤٨٨.

الترمذي: كتاب الدعوات، باب ١٠٥، حدبث رقم: ٣٥٥٦.

ابن ماجة: باب رفع اليدين فيالدعاء، برقم: ٣٨٦٥. وقال الألباني صحيح.

(٢) البخاري: كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، برقم: ٦٦.

مسلم: كتاب السلام، باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها، (١٧١٣/٤)، برقم: ٢٦-(٢١٧٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٠).

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: "واعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على معان لا يمكن إثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى: ... ومنها الحياء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ البقرة: ٢٦. والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح. والقانون في تصحيح هذه الألفاظ أن يقال لكل واحدة من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية وآثار تصدر منها في النهاية مثاله: الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه.

فالغضب في حقه تعالى محمول على الأثر الحاصل في النهاية لا الأمر الكائن في البداية، وقس على هذا "[(١)].

وقال: " والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم، واشتقاقه من الحياة، يقال: حيي الرجل كما يقال نسي وحشي إذا اشتكى النسا والحشا، وكأن الحيي صار منتقص القوة منتكس الحياة، وقد عرفت في الأسماء الحسنى أن أمثال هذه الصفات إنما يجوز أن تطلق على الله تعالى بعد الإذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادئ ...

ومعنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يمثل بها لحقارتها، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت؟ فجاءت على سبيل المقابلة والطباق "[(٢)].

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة الحياء، وقال بأنها مما لا يمكن إثباته بالحقيقة في حق الله تعالى، وتأولها بالترك، أو أنها على سبيل المقابلة، وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الفعلية الاختيارية بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٧٤).

(٢) نفس المصدر (١ / ٢٠٣- ٢٠٤).

الرد عليه:

١. أن تفسير الحياء بمجرد الترك، أو أنها على سبيل المقابلة، دون إثبات حياء حقيقي يليق بجلال الله وعظمته، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف.

فالحياء كغيره من الصفات تثبت لله سبحانه وتعالى على ما يليق به، مع نفي المماثلة لمخلوقاته.

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة الحياء مخالف للكتاب والسنة، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

* * * * * * * * * * * * * * *

الخامسة: صفة الغضب:

أ- مذهب السلف:

الغضب من الصفات الفعلية الاختيارية، والسلف أثبتوا لله ﷻ غضبا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فإن صفة الغضب لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ النساء: ٩٣. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ الزخرف: ٥٥. وقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ المائدة: ٨٠.

قال الهراس: " تضمَّنت هَذِهِ الْآيَاتُ إِثْبَاتَ بَعْضِ صِفَاتِ الْفِعْلِ مِنَ الرِّضى لِلَّهِ، **والغَضَب**، واللَّعنُ، وَالكُرِه، السَّخْط، والمِقْت، والأَسَف.

وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا تُشْبِهُ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهَا مَا يَلْزَمُ فِي الْمَخْلُوقِ." [(١)].

ومن أدلة السنة:

١. عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» [(٢)].

٢. حديث الشفاعة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وفيه: « فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» [(٣)].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٠٨- ١٠٩).

(٢) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى" ويحذركم الله نفسه"، برقم: ٧٤٠٤.

مسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٤/٢١٠٧)، برقم: ١٤-(٢٧٥١).

(٣) البخاري: كتاب التفسير، باب " ذرية من حملنا مع نوح"، برقم: ٤٧١٢.

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١/١٨٤)، برقم: ٢٧-(١٩٤).

٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» [(١)].

قال ابن أبي العز: " وَمَذْهَبُ السَّلَفِ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ إِثْبَاتُ صِفَةِ **الْغَضَبِ**، وَالرِّضَى، وَالْعَدَاوَةِ، وَالْوِلَايَةِ، وَالْحُبِّ، والبغض، ونحو ذلك من الصِّفَاتِ، الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ، وَمَنْعُ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَصْرِفُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا اللَّائِقَةِ" [(٢)].

وقال ابن عثيمين: " الغضب صفة ثابتة لله تعالى على الوجه اللائق به، وهي من صفاته الفعلية" [(٣)]. "ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم"[(٤)].

وممن حكى الإجماع:

ابن أبي العز، حيث قال: " وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُهُ وَلَا يَشَاؤُهُ، وَيَنْهَى عَمَّا يَسْخَطُهُ وَيَكْرَهُهُ، وَيُبْغِضُهُ، **وَيَغْضَبُ** عَلَى فَاعِلِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ شَاءَهُ وَأَرَادَهُ" [(٥)].

وقال الهراس: "إِثْبَاتُ جَمِيعِ مَا وَرَدَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الصِّفَاتِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الذَّاتِيَّةِ مِنْهَا؛ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَنَحْوِهَا، وَالْفِعْلِيَّةِ؛ كَالرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ **وَالْغَضَبِ** وَالْكَرَاهَةِ، وَكَذَلِكَ لَا فَرْقَ بَيْنَ إِثْبَاتِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَنَحْوِهِمَا، وَبَيْنَ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالنُّزُولِ، فَكُلُّهَا مِمَّا **اتَّفَقَ السَّلَفُ** عَلَى إِثْبَاتِهِ بِلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَبِلَا تَشْبِيهٍ وَتَمْثِيلٍ"[(٦)].

---

(١) البخاري: كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي من الجراح يوم أحد، برقم: ٤٠٧٣.

مسلم: كتاب الجهاد، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله، (١٤١٧/٣)، برقم: ١٠٦-(١٧٩٣).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٣- ٤٦٤).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٢٦٢).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (ص: ١١).

(٥) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٤).

(٦) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٦٠).

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " واعلم أنه قد ورد في القرآن ألفاظ دالة على معان لا يمكن إثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها: ... ومنها الغضب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ الفتح: ٦...

والقانون في تصحيح هذه الألفاظ أن يقال لكل واحدة من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية، وآثار تصدر منها في النهاية، مثاله: الغضب: حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه.

فالغضب في حقه تعالى محمول على الأثر الحاصل في النهاية، لا الأمر الكائن في البداية، وقس على هذا" [(١)].

وقال: " ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا، أنه عبارة عن لازمه، وهو إرادة الانتقام" [(٢)].

وقال: " أما الغضب في حقه تعالى فإرادة إيقاع السوء، كما سبق مرارا" [(٣)].

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة الغضب، وتأولها بلازمه، وهو إرادة الانتقام، أو إرادة إيقاع السوء، وإيصال الضرر إلى المغضوب عليه.

وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الفعلية الاختيارية بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم، لأن الغضب: حالة تحصل في القلب عند غليان دمه وسخونة مزاجه، وهذا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٧٤).

(٢) نفس المصدر (١/ ٣٣٣).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٢٧٠).

الرد عليه:

١. أن تفسير الغضب بمجرد إرادة الانتقام، أو إرادة إيقاع السوء، وإيصال الضرر إلى المغضوب عليه، دون إثبات غضب حقيقي يليق بجلال الله وعظمته، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف.

قال ابن أبي العز: " وَلَا يُقَالُ: إِنَّ الرِّضَى إِرَادَةُ الْإِحْسَانِ، وَالْغَضَبَ إِرَادَةُ الِانْتِقَامِ، فَإِنَّ هَذَا نَفْيٌ لِلصِّفَةِ " [١].

٣. أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ الزخرف: ٥٥، ﴿ءَاسَفُونَا ﴾، يعني: أغضبونا وأسخطونا، فالله سبحانه وتعالى يسخط على الكفار، ويغضب عليهم، ثم ينتقم منهم.

قال ابن عثيمين: " ﴿ فَلَمَّآ ﴾: هنا شرطية، فعل الشرط فيها: ﴿ءَاسَفُونَا ﴾، وجوابه: ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾.

ففيها رد على من فسروا السخط والغضب بالانتقام، لأن أهل التعطيل من الأشعرية وغيرهم يقولون: إن المراد بالسخط والغضب الانتقام، أو إرادة الانتقام، ولا يفسرون السخط والغضب بصفة من صفات الله يتصف بها هو نفسه، فيقولون: غضبه، أي انتقامه، أو بالإرادة، لأنهم يقرون بها، ولا يفسرونه بأنه صفة ثابتة لله على وجه الحقيقة تليق به.

ونحن نقول لهم: بل السخط والغضب غير الانتقام، والانتقام نتيجة الغضب والسخط، كما نقول: إن الثواب نتيجة الرضى" [٢].

٤. أن غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ فِي الْآدَمِيِّ أَمْرٌ يَنْشَأُ عَنْ صِفَةِ الْغَضَبِ، لَا أَنَّهُ الْغَضَبُ.

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٤).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٢٧٠)، انظر: تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٥٥).

قال ابن أبي العز: " وَيُقَالُ لِمَنْ تَأَوَّلَ الْغَضَبَ وَالرِّضَى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: إن الْغَضَبَ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ، وَالرِّضَى الْمَيْلُ وَالشَّهْوَةُ، وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى! فَيُقَالُ لَهُ: غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ فِي الْآدَمِيِّ أَمْرٌ يَنْشَأُ عَنْ صِفَةِ الْغَضَبِ، لَا أَنَّهُ الْغَضَبُ"[(١)] .

وقال شيخ الإسلام: "وَالْغَضَبُ - وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إنَّهُ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ فَهُوَ - صِفَةٌ تَقُومُ بِنَفْسِ الْغَضْبَانِ غَيْرُ غَلَيَانِ دَمِ الْقَلْبِ؛ وَإِنَّمَا ذَلِكَ أَثَرُهُ؛ فَإِنَّ حَرَارَةَ الْغَضَبِ تُسَخِّنُ الدَّمَ حَتَّى يَغْلِيَ. فَإِنَّ مَبْدَأَ الْغَضَبِ مِنْ النَّفْسِ هِيَ الَّتِي تَتَّصِفُ بِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَسْرِي ذَلِكَ إلَى الْجِسْمِ" [(٢)].

وقال: " وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: " الْغَضَبُ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لِطَلَبِ الِانْتِقَامِ " فَلَيْسَ بِصَحِيحِ فِي حَقِّنَا؛ بَلْ الْغَضَبُ قَدْ يَكُونُ لِدَفْعِ الْمُنَافِي قَبْلَ وُجُودِهِ، فَلَا يَكُونُ هُنَاكَ انْتِقَامٌ أَصْلًا. وَأَيْضًا: فَغَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ يُقَارِنُهُ الْغَضَبُ، لَيْسَ أَنَّ مُجَرَّدَ الْغَضَبِ هُوَ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ، كَمَا أَنَّ " الْحَيَاءَ " يُقَارِنُ حُمْرَةَ الْوَجْهِ، وَ" الْوَجَلَ " يُقَارِنُ صُفْرَةَ الْوَجْهِ؛ لَا أَنَّهُ هُوَ" [(٣)].

٥. أن غضب الله ليس كغضب المخلوق، فغضبه يليق به، كما أن غضب المخلوق يليق به، وكذلك سائر الصفات. فكما أن لله ذاتا تليق به ولا تشبه الذوات، فكذلك صفاته تليق به ولا تشبه الصفات، فالقول في الصفات كالقول في الذات.

قال شيخ الإسلام: "وَإِنْ قُلْت – أي المخالف-: إنَّ لَهُ إرَادَةً تَلِيقُ بِهِ؛ كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ إرَادَةً تَلِيقُ بِهِ قِيلَ لَك: وَكَذَلِكَ لَهُ مَحَبَّةٌ تَلِيقُ بِهِ وَلِلْمَخْلُوقِ مَحَبَّةٌ تَلِيقُ بِهِ وَلَهُ رِضًا وَغَضَبٌ يَلِيقُ بِهِ وَلِلْمَخْلُوقِ رِضًا وَغَضَبٌ يَلِيقُ بِهِ وَإِنْ قُلْت: الْغَضَبُ غَلَيَانُ دَمِ الْقَلْبِ لِطَلَبِ الِانْتِقَامِ فَيُقَالُ لَهُ: وَالْإِرَادَةُ مَيْلُ النَّفْسِ إلَى جَلْبِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ فَإِنْ قُلْت: هَذِهِ إرَادَةُ الْمَخْلُوقِ قِيلَ لَك: وَهَذَا غَضَبُ الْمَخْلُوقِ" [(٤)].

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٧٠).

(٣) نفس المصدر (٦/ ١١٩).

(٤) نفس المصدر (٣/ ١٧- ١٨).

وقال: "وقال المثبتون للصفات الشرعية لنفاتها لماذا نفيتم أن الله يرضى ويغضب ويحب ويفرح، ونحو ذلك مما نطق به الكتاب والسنة.

قالوا لأن هذه الصفات تستلزم التجسيم والتشبيه، فإنا لا نعقل الغضب إلا غليان دم القلب لطلب الإنتقام، أو ما يحصل عنه الغليان وكذلك سائرها.

قالوا – أي المثبتون- وكذلك إثبات السمع والبصر والكلام والإرادة ونحو ذلك، يستلزم التشبيه والتجسيم، فإنا لا نعقل الإرادة إلا ميل المريد إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، أو ما يلازم هذا المعنى، وإلا فإرادة لمراد لا ينفع صاحبه ولا يضره لا يعقل في الشاهد، قالوا إرادة الحق لا تشبه إرادة المخلوقين.

قالوا: وكذلك غضب الحق ورضاه لا يشبه غضب خلقه ورضاهم فالقول في أحدهما كالقول في الآخر، أما تجويز أحدهما ومنع الآخر فهو مكابرة" [(١)].

٦. أن الغضب على من يستحق الغضب عليه من القادر على عقوبته صفة كمال.

قال شيخ الإسلام: " الغضب على من يستحق الغضب عليه من القادر على عقوبته صفة كمال وأما غضب العاجز أو غضب الظالم فلا يقال إنه كمال ونظائر هذا كثيرة" [(٢)].

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة الغضب مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) الصفدية (٢/ ٣٦- ٣٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٩٢).

السادسة: صفة الوجه:

أ- مذهب السلف:

الوجه من الصفات الذاتية الخبرية، والسلف أثبتوا لله ﷻ وجها حقيقيا على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فإن صفة الوجه لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٥.
وقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٢٧.

قال ابن جرير الطبري: " يقول تعالى ذكره: كلّ من على ظهر الأرض من جنّ وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو" [(١)].

وقال الشنقيطي: " وَالْوَجْهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْعَلِيِّ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ رَبَّنَا وَنُؤْمِنَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ التَّنْزِيهِ التَّامِّ عَنْ مُشَابَهَةِ صِفَاتِ الْخَلْقِ" [(٢)].

ومن أدلة السنة: حديث أبي موسى الأشعري ؓ، وفيه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» [(٣)].

وحديث عمار بن ياسر ؓ، قال: كان من دعائه ﷺ: « وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» [(٤)].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٣٨).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٥٠١).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﵇: إن الله لا ينام، (١/١٦١)، برقم: ٢٩٣-(١٧٩).

(٤) النسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر، برقم: ١٣٠٥، وقال الألباني: صحيح، انظر: النسائي مع حكم الألباني.

قال البيهقي: " بَابُ ذِكْرِ آيَاتٍ وَأَخْبَارٍ وَرَدَتْ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعَيْنِ وَهَذِهِ صِفَاتٌ طَرِيقُ إِثْبَاتِهَا السَّمْعُ، فَنُثْبِتُهَا لِوُرُودِ خَبَرِ الصَّادِقِ بِهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا" [(١)].

وقد حكى الإجماع: وقال شيخ الإسلام: " إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْمَعْرِفَةِ وَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنْ الْكُلَّابِيَةِ والكَرَّامِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ صِفَةَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ" [(٢)].

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥: "﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، أي فقد صادفتم **رضاه** ... وقد زعمت المجسمة من الآية، أن لله تعالى وجها، وأيضا سماه واسعا، والسعة من نعوت الأجسام. والجواب أن الآية عليه لا له، فإن الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول، فإنه إن كان محاذيا للشرقي استحال أن يكون حينئذ محاذيا للغربي، فلا بد من تأويل هو: أن الإضافة للتشريف مثل «بيت الله» «وناقة الله» لأنه خلقهما وأوجدهما" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾الأنعام: ٥٢: " ولا يثبت به لله تعالى عضو، كما زعمت المجسمة، ولكن المراد به التعظيم، فقد يعبر به عن **ذات** الشيء أو حقيقته" [(٤)].

وقال في تفسير: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾الروم: ٣٨: " أي **ذاته** أو جهة قربته"[(٥)].

وقال في تفسير: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ الرحمن: ٢٧: "والوجه عبارة عن **الذات**" [(٦)].

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٣٧٥- ٣٧٦)، وانظر: (٦/ ٤١٣).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٨٦).

(٥) نفس المصدر (٥/ ٤١٦).

(٦) نفس المصدر (٦/ ٢٣٠).

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة الوجه، وتأولها بالذات، أو بالرضا، وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الخبرية بحجة أن إثباتها يقتضي التجسيم والتشبيه، لأنها أبعاض وأجزاء لا تكون إلا للأجسام، والله ليس بجسم.

الرد عليه:

١. تأويل الوجه بـ: الذات و بالرضا، ، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

٣. أن الله ﷻ أَضَافَ الْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ وَأَضَافَ النَّعْتَ إِلَى الْوَجْهِ فَقَالَ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٢٧، دَلَّ عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْوَجْهِ لَيْسَ بِصِلَةٍ وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، وَأَنَّ الْوَجْهَ صِفَةٌ لِلذَّاتِ [١].

٤. أنه كان من دعائه ﷺ: « وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ »، وَلَمْ يَكُنْ لِيَسْأَلَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى الذات والثَّوَابِ والرضا، وَلَا يُعْرَفُ تَسْمِيَةُ ذَلِكَ وَجْهًا لُغَةً وَلَا شَرْعًا وَلَا عُرْفًا [٢].

٥. أن قوله ﷺ: « حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، فَإِضَافَةُ السُّبُحَاتِ الَّتِي هِيَ الْجَلَالُ، وَالنُّورُ إِلَى الْوَجْهِ، وَإِضَافَةُ الْبَصَرِ إِلَيْهِ، تُبْطِلُ كُلَّ مَجَازٍ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ وَجْهُهُ [٣].

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة الوجه مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

---

(١) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٠٨).

(٢) نفس المصدر (ص: ٤١٠).

(٣) نفس المصدر (ص: ٤١١).

السابعة: صفة العين:

أ- مذهب السلف:

العين من الصفات الذاتية الخبرية، والسلف أثبتوا لله ﷻ عينين اثنتين حقيقيتين، لا زيادة ولا نقص، وأثبتوها على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. فإن صفة العينين لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ طه: ٣٩. قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هود: ٣٧، والمؤمنون: ٢٧. قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الطور: ٤٨. قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ القمر: ١٤.

ومن أدلة السنة: ١. قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ- وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» [(١)].

قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، هذه الجملة هي المقصودة من الحديث في هذا الباب، فهذا يدل على أن لله عينين حقيقة، لأن العور فقد أحد العينين، أو ذهاب نورهما [(٢)].

٢. أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ النساء: ٥٨، فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينيه" [(٣)].

قال صاحب معالم السنن: " وضعه اصبعه على أذنه وعينه عند قراءته سميعاً بصيراً، معناه اثبات صفة السمع والبصر لله سبحانه" [(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: " ولتصنع على عيني"، برقم: ٧٤٠٧.

مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، (١/١٥٥)، برقم: ٢٧٤-(٠٠٠).

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٢٨٥).

(٣) أبو داود: كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم: ٤٧٢٨. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٤) معالم السنن للخطابي (٤/ ٣٣٠).

قال ابن خزيمة: "فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُثْبِتَ لِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ مَا ثَبَّتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ، مِنَ الْعَيْنِ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ مَنْ يَنْفِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا قَدْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، بِبَيَانِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا عَنْهُ ﷻ، فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ النحل: ٤٤، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنَيْنِ، فَكَانَ بَيَانُهُ مُوَافِقًا لِبَيَانِ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ" [(١)].

وقال الهراس: "يُثْبِتُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ عَيْنًا يَرَى بِهَا جَمِيعَ الْمَرْئِيَّاتِ، وَهِيَ صِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِلَّهِ ﷻ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا يَقْتَضِي إِثْبَاتُهَا كَوْنَهَا جَارِحَةً مركَّبة مِنْ شَحْمٍ وَعَصَبٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَتَفْسِيرُ المعطِّلة لَهَا بِالرُّؤْيَةِ أَوْ بِالْحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ نفيٌ وتعطيلٌ.

وَأَمَّا إِفْرَادُهَا فِي بَعْضِ النُّصُوصِ وَجَمْعُهَا فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ؛ فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ عَلَى نَفْيِهَا؛ فَإِنَّ لُغَةَ الْعَرَبِ تَتَّسِعُ لِذَلِكَ، فَقَدْ يعبَّر فِيهَا عَنِ الِاثْنَيْنِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، وَيَقُومُ فِيهَا الْوَاحِدُ مَقَامَ الِاثْنَيْنِ كَمَا قدَّمنا فِي الْيَدَيْنِ" [(٢)].

وقال شيخ الإسلام: " وأن له عينيْن بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر: ١٤ " [(٣)].

وقال ابن القيم: " فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ فِي نَصِّ كِتَابِهِ: الْوَجْهَ وَالْعَيْنَيْنِ، وَالْيَدَيْنِ " [(٤)].

وقد حكى الإجماع: الشيخ ابن عثيمين فقال: " وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: " إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور" [(٥)].

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ هود: ٣٧، وليست العين بمعنى الجارحة، لأنه منزه عن الجوارح والأعضاء، فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة، لأن العين آلة الحفظ والحراسة" [(٦)].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ٩٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١١٨).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٠٩)، مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤).

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٣٠٢).

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (ص: ١٢).

(٦) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٢٠).

وقال: " ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ طه: ٣٩، أي لتربى ويحسن إليك، وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشيء بالعينين إذا عني بحفظه، ولما كان العالم بالشيء حارسا له عن الآفات كما أن الناظر إليه يحرسه، أطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه.

وأيضا العين سبب الحراسة، فأطلق السبب وأريد المسبب، ويقال: عين الله عليك إذا دعي له بالحفظ والحياطة" [(١)].

وقال: " ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾الطور: ٤٨، وهو مجاز عن الكلاءة التامة، والجمع للتعظيم والمبالغة" [(٢)].

ج – نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة العين، وتأولها بالحفظ والحياطة والكلاءة، وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الخبرية بحجة أن إثباتها يقتضي التجسيم والتشبيه، لأنها أبعاض وأجزاء لا تكون إلا للأجسام، والله ليس بجسم.

الرد عليه:

١. أن تفسير العين بمجرد الرؤية والحفظ والحياطة والكلاءة، دون إثبات عين حقيقية تليق بجلال الله وعظمته، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

٣. أننا إذا قلنا بأنها الرؤية، وأثبت الله لنفسه عيناً، فلازم ذلك أنه يرى بتلك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها عين حقيقية [(٣)].

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة العين مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٥٤٥).

(٢) نفس المصدر (٦٤/ ١٩٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٢٢).

الثامنة: صفة اليد والقبض والأصابع:

أ- مذهب السلف:

اليدان من الصفات الذاتية الخبرية، والسلف أثبتوا لله ﷻ يدين اثنتين حقيقيتين، لا زيادة ولا نقص، وأثبتوهما على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

فإن صفة اليدين لله تبارك وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. **فمن أدلة الكتاب:** قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: ٢٦. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤. وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ يس: ٧١. وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: ٨٣. وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ص: ٧٥. وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الزمر: ٦٧. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾الفتح: ١٠.

ومن أدلة السنة: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[1].

وعَنْه رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ»، وَقَالَ: «عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[2]. وفي رواية: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى». وغيرها من الأحاديث.

---

(١) البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، برقم: ١٤١٠.
مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، (٢/٧٠٢)، برقم: ٦٤-(١٠٠٠).

(٢) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى" لما خلقت بيدي، برقم: ٧٤١١.
مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، (٢/٦٩١)، برقم: ٣٧-(٩٩٣).

قال البيهقي: " بَابُ ذِكْرِ آيَاتٍ وَأَخْبَارٍ وَرَدَتْ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالْعَيْنِ وَهَذِهِ صِفَاتٌ طَرِيقُ إِثْبَاتِهَا السَّمْعُ، فَنُثْبِتُهَا لِوُرُودِ خَبَرِ الصَّادِقِ بِهَا وَلَا نُكَيِّفُهَا" [١].

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان: " هذا وقد تنوعت النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ على إثبات **اليدين** لله تعالى، وإثبات **الأصابع** لهما، وإثبات **القبض** بهما وتثنيتهما، وأن إحداهما يمين، كما مر، وفي نصوص كثيرة، والأخرى شمال كما في صحيح مسلم، وأنه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبالنهار ليتوب مسيء الليل، وأنه تعالى يتقبل الصدقة من الكسب الطيب بيمينه فيربيها لصاحبها، وأن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، وغير ذلك مما هو ثابت عن الله ورسوله" [٢].

وقد حكى الإجماع: الأشعري، والسجزي، وابن تيمية.

قال الأشعري: " وأجمعوا على أنه ﷻ يسمع ويرى، وأن له تعالى: يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحاً، وأن يديه تعالى غير نعمته" [٣].

وقال السجزي: " وأهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين، بذلك ورد النص في الكتاب والأثر" [٤].

وقال شيخ الإسلام: " إِثْبَاتُ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ وَالْمَعْرِفَةِ وَأَئِمَّةُ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنْ الْكُلَّابِيَة والكَرَّامِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ كُلُّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ صِفَةَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ" [٥].

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٣١١).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٢٧).

(٤) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ٢٦٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٤).

اليدان اثنتان بلا زيادة ولا نقص:

الثابت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله ﷻ ليس له إلا يدان اثنتان، **ففي الكتاب:**

قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ص: ٧٥، والمقام مقام تشريف، ولو كان الله خلقه بأكثر من يدين، لذكره، لأنه كلما ازدادت الصفة التي بها خلق الله هذا الشيء، ازداد تعظيم هذا الشيء.

وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾المائدة: ٦٤، في الرد على من قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾المائدة: ٦٤، بالإفراد، والمقام مقام يقتضي كثرة النعم، وكلما كثرت وسيلة العطاء، كثر العطاء، فلو كان لله تعالى أكثر من اثنتين لذكرهما.

أما السنة: فقوله ﷺ: « **يطوي الله تعالى السماوات بيمينه والأرض بيده الأخرى** »[(١)]. ولم يذكر أكثر من اثنتين. **وأجمع** السلف على أن لله يدين اثنتين فقط بدون زيادة.

فما ورد مفردا مضافا كقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ يفيد العموم، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا يمنع التعدد إذا ثبت، وقد ثبت أن لله يدان اثنتان.

وما ورد بالجمع كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ يس: ٧١: فإما أن يقال أن أقل الجمع اثنان، كما هو رأي بعض العلماء، وعليه فـ: ﴿أَيْدِينَآ﴾ لا يلزم أن تدل على أكثر من اثنتين، وحينئذ تطابق التثنية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ولا إشكال فيه. وإما أن نقول: إن المراد بهذا الجمع التعظيم، تعظيم هذه اليد، وليس المراد أن لله تعالى أكثر من اثنتين.

وبهذا يزول الإشكال في صفة اليد التي وردت بالإفراد والتثنية والجمع[(٢)].

قال البيهقي: " وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص: ٧٥. بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنَ الْإِضَافَةِ، وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ فِي التَّثْنِيَةِ "[(٣)].

---

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة"، برقم: ٤٨١٢.

مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار، (٢١٤٧/٤)، برقم: ٢٣-(٢٧٨٧)، و(٢٧٨٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٢٩٩- ٣٠٢)، تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ٦٥).

(٣) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨).

ب- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله:" ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ الفتح: ١٠، فإن اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة إلى القدرة مرجوحة" [(١)].

وقال: " ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ آل عمران: ٢٦، أي **بقدرتك** يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء. وإنما خص الخير بالذكر وإن كان بيده الخير والشر والنفع والضرّ، لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، أو لأن جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وإن كنا لا نعلم تفصيلها فكلها خير، أو لأن القادر على إيصال الخير أقدر على إيصال الشر فاكتفى بالأول عن الثاني" [(٢)].

وقال: " ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤، واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة- وهو ظاهر- وعلى النعمة ... وعلى القوة ... ولا شك أن اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال، للدليل الدال على أنه ليس بجسم ولا ذي أجزاء خلافا للمجسمة، وأما سائر المعاني فلا بأس بها " [(٣)].

وقال: " ومعنى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ الأعراف: ٥٧، أمام نعمته، وهي الغيث الذي هو من أجلّ النعم وأحسنها، وهذا بحسب الأغلب" [(٤)].

وقال: " قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ ص: ٧٥، كلام المجسمة فيه ظاهر، وغيرهم حملوه على وجوه **منها:** أن اليد عبارة عن القدرة يقال مالي بهذا الأمر يد أي قوّة وطاقة. **ومنها:** أنها النعمة. **ومنها:** أنها للتأكيد وليدل على عدم الواسطة" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤٨).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٣٨).

(٣) نفس المصدر (٢/ ٦١٤).

(٤) نفس المصدر (٣/ ٢٦١).

(٥) نفس المصدر (٥/ ٦٠٨).

وقال: " ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾الفتح: ١٠، قال أهل المعاني: هذا تمثيل وتخييل ولا جارحة هناك. وقيل: اليد النعمة، أي نعمة الله عليهم بالهداية فوق إحسانهم إلى الله بإجابة البيعة ... وقيل: اليد القوة، أي نصرته إياهم فوق نصرتهم لرسوله. وقيل: يد الله بمعنى الحفظ، فإن المتوسط بين المتبايعين يضع يده فوق يدهما، فلا يترك أن تتفارق أيديهما حتى يتم البيع، والمراد أن الله تعالى يحفظهم على بيعتهم" [(١)].

وقال: " ﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾الزمر: ٦٧، ولا قبض ولا طي ولا يمين وإنما الغرض تصوير عظمة شأنه" [(٢)].

ج- نقد رأي النيسابوري:

النيسابوري نفى صفة اليد، وتأولها بالقدرة، والقوة، والنعمة، والحفظ، فلا يد حقيقية لله، ولا يمين، ولا قبض، ولا أصابع.

وهو بهذا وافق المتكلمين، وأهل التأويل، من المعتزلة والأشاعرة الذين ينفون الصفات الخبرية بحجة أن إثباتها يقتضي التجسيم والتشبيه، لأنها أبعاض وأجزاء لا تكون إلا للأجسام، والله ليس بجسم.

الرد عليه:

١. أن تفسير اليد بمجرد القدرة والقوة والنعمة والحفظ، دون إثبات يدين حقيقيتين تليق بجلال الله وعظمته، تأويل فاسد، وهو صرف للألفاظ الشرعية عن ظاهرها وحقائقها بلا مرجح أو دليل.

٢. وهو خلاف طريقة السلف وإجماعهم.

٣. أن صفات الله ﷻ الخبرية الغيبية كـ: الوجه والعينين واليدين والساق، ليس للعقل فيها مجال، وما كان هذا سبيله، فإن الواجب علينا إبقاؤه على ظاهره، من غير أن نتعرض له.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ١٤٦- ١٤٧).

(٢) نفس المصدر (١/ ٥٨٠).

٤. أنه يمتنع غاية الامتناع أن يراد باليد النعم أو القوة في مثل قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، لأنه يستلزم أن تكون النعمة نعمتين فقط، ونعم الله لا تحصى!! ويستلزم أن القوة قوتان، والقوة لا تتعدد، فهذا التركيب يمنع غاية المنع أن يكون المراد باليد القوة أو النعمة.

٤. أنه لو كان المراد باليد القوة، ما كان لآدم فضل على إبليس، بل ولا على الحمير والكلاب، لأنهم كلهم خلقوا بقوة الله.

٦. ولو كان المراد باليد القوة، ما صح الاحتجاج على إبليس، إذ إن إبليس سيقول: وأنا يا رب خلقتني بقوتك، فما فضله علي؟!

قال البيهقي: " وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ص: ٧٥. بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنَ الْإِضَافَةِ، وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ فِي التَّثْنِيَةِ، وَفِي ذَلِكَ مَنْعٌ مِنْ حَمْلِهِمَا عَلَى النِّعْمَةِ أَوِ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِتَخْصِيصِ التَّثْنِيَةِ فِي نِعَمِ اللَّهِ، وَلَا فِي قُدْرَتِهِ مَعْنًى يَصِحُّ؛ لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى؛ وَلِأَنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّخْصِيصِ وَتَفْضِيلِ آدَمَ عليه السلام عَلَى إِبْلِيسَ، وَحَمْلُهَا عَلَى الْقُدْرَةِ أَوْ عَلَى النِّعْمَةِ يُزِيلُ مَعْنَى التَّفْضِيلِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِيهَا" [(١)].

٧. أن اليد التي أثبتها الله جاءت على وجوه متنوعة، يمتنع أن يراد بها النعمة أو القوة، فجاء فيها الأصابع والقبض والبسط والكف واليمين، وكل هذا يمتنع أن يراد بها القوة، لأن القوة لا توصف بهذه الأوصاف [(٢)].

٨. أن نفي صفة اليدين بحجة التجسيم والتشبيه باطل، لأنه لا يلزم من إثبات اليد لله أن نمثل الخالق بالمخلوقين، لأن إثبات اليد جاء في القرآن والسنة وإجماع السلف، ونفى مماثلة الخالق للمخلوقين يدل عليه الشرع والعقل والحس.

أما الشرع: فقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١.

وأما العقل: فلا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق في صفاته، لأن هذا يعد عيباً في الخالق.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٨٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٠٧- ٣٠٨).

وأما الحس: فكل إنسان يشاهد أيدي المخلوقات متفاوتة ومتباينة من كبير وصغير، وضخم ودقيق.. إلخ، فيلزم من تباين أيدي المخلوقين وتفاوتهم، مباينة يد الله تعالى لأيدي المخلوقين، وعدم مماثلته لهم سبحانه وتعالى من باب أولى [(١)].

قال السَّفَّاريني: " فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعُلَمَاءِ الْحَنَابِلَةِ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَدَيْنِ إِثْبَاتُ صِفَتَيْنِ ذَاتِيَّتَيْنِ تُسَمَّيَانِ يَدَيْنِ، تَزِيدَانِ عَلَى النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ " [(٢)].

إذن ما ذهب إليه النيسابوري من نفي صفة اليد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله تعالى، فعفا الله عنا وعنه وعن جميع المسلمين.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٣٠٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٢٣١).

الفصل السادس

مسائل الإيمان

ويشتمل على على تمهيد، وأربعة مباحث:

التمهيد: أهمية مسائل الإيمان.

المبحث الأول: تعريف الإيمان.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع: حكم مرتكب الكبيرة.

التمهيد:

أهمية مسائل الإيمان

مسائل الإيمان يُعبِّر عنها العلماء بمسألة: "الأسماء والأحكام"، ومرادهم بـ: "الأسماء": اسم العبد في الدنيا، أمؤمن هو، أو كافر، أو ناقص الإيمان؟

ومرادهم بـ: " الأحكام": حكمه في الآخرة، هل هو من أهل الجنة، أم من أهل النار، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويُخلد في الجنة؟

ومسائل الإيمان من مسائل العقيدة الجليلة التي وقع الاختلاف فيها بين المسلمين؛ بل إنها أول مسائل النزاع والافتراق بين طوائف هذه الأمة، ثم ترتب عليها اختلافات أُخرى.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي(١): " وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ - أَعْنِي مَسَائِلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ - مَسَائِلُ عَظِيمَةٌ جِدًّا، فَإِنَّ اللَّهَ عَلَّقَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ، وَاسْتِحْقَاقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالِاخْتِلَافَ فِي مُسَمَّيَاتِهَا أَوَّلَ اخْتِلَافٍ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ خِلَافُ الْخَوَارِجِ لِلصَّحَابَةِ، حَيْثُ أَخْرَجُوا عُصَاةَ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَدْخَلُوهُمْ فِي دَائِرَةِ الْكُفْرِ، وَعَامَلُوهُمْ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ، وَاسْتَحَلُّوا بِذَلِكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ.

ثُمَّ حَدَثَ بَعْدَهُمْ خِلَافُ الْمُعْتَزِلَةِ وَقَوْلُهُمْ بِالْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، ثُمَّ حَدَثَ خِلَافُ الْمُرْجِئَةِ، وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ الْفَاسِقَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ تَصَانِيفَ مُتَعَدِّدَةً، وَمِمَّنْ صَنَّفَ فِي الْإِيمَانِ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ. وَكَثُرَتْ فِيهِ التَّصَانِيفُ بَعْدَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ" (٢).

---

(١) ستأتي ترجمته لاحقا.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١١٤- ١١٦).

المبحث الأول:

تعريف الإيمان

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى: "قوله: ﴿ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ البقرة: ٢٢١، **اتفق** الكل على أن المراد منه **الإقرار بالشهادة، والتزام أحكام الإسلام**" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: "﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣: واستدل بالآية من قال: إن الطاعات داخلة في مسمى الإيمان، وأنه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها" [(٢)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال: ٢، وفي معرض تعداد أوجه زيادة الإيمان قال: " الثالث: أن يقال: الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل، كما ينبيء عنه ظاهر الآية، لأنه لما ذكر الأمور الخمسة، قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الأنفال: ٤، فدل ذلك على أن كل تلك الخصال داخلة في مسمى الإيمان، ويؤيده ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أعلاها شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» [(٣)].

وإذا كان الإيمان عبارة عن مجموع الأركان الثلاثة، فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الإيمان، وإن لم يكن التفاوت في الإقرار والاعتقاد متصورا" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٦١٠).

(٢) نفس المصدر (٢/٣١١).

(٣) البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم: ٩.

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، (١/٦٣)، برقم: ٥٨-(٣٥).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٧٣-٣٧٤).

وقال: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الأنفال: ٧٢، ويدخل فيه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والانقياد **لجميع التكاليف**" [(١)].

وقال: "﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾الفتح: ٤، أي يقينا مع يقينهم، أو إيمانا بالشرائع مع إيمانهم بالله. وعن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبي ﷺ التوحيد، فلما آمنوا بالله وحده، أنزل الصلاة، ثم الزكاة، ثم الجهاد، ثم الحج " [(٢)].

وقال: "والمعنى: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ الحجرات: ٧، فأطعتموه فوقاكم العنت، والكفر واضح. وأما الفسوق والعصيان فقيل: الأوّل الكبائر والثاني الصغائر. ويحتمل أن يكون الكفر مقابل التصديق بالجنان، والفسوق مقابل الإقرار باللسان، لأن الفسق هاهنا أمر قولي بدليل قوله: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ ﴾ الحجرات: ٦، سماه فاسقا لكذبه، **والعصيان مقابل العمل بالأركان**" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ ﴾ الحديد: ١٨: " ومن قرأ بتشديد الدال فقط، فمعناه: إن الذين صدقوا الله ورسوله وأقرضوا، ويندرج تحت التصديق: الإيمان وجميع الأعمال الصالحات إلا أنه أفرد الإنفاق بالذكر تحريضا عليه" [(٤)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ البينة: ٥: " استدل بالآية من قال: إن الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل، بيانه أن الله تعالى ذكر العبادة المقرونة بالإخلاص وهو التوحيد، ثم عطف عليه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم أشار إلى المجموع بقوله: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾"[(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٢١/٣).

(٢) نفس المصدر (١٤٥/٦).

(٣) نفس المصدر (٦/ ١٦١-١٦٢).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٥٧/٦).

(٥) نفس المصدر (٥٤٤/٦).

ب – الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض، أن النيسابوري يرى أن الإيمان هو: اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

فمما يدل على إدخاله العمل في مسمى الإيمان: حكايته الاتفاق على أن المراد من الإيمان: الإقرار بالشهادة، والتزام أحكام الإسلام، أي العمل بأحكام الإسلام والإيمان.

وأيضا جعل من أوجه زيادة الإيمان ونقصانه: أن الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل.

وقرر أن ظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال: ٢ – ٤، ينبئ أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، ثم احتج على ذلك بحديث: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً».

إذاً النيسابوري يرى أن الإيمان هو اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، ورأيه هذا موافق لرأي أهل السنة.

قال شيخ الإسلام: " وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وَأَنَّ الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ" (١).

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) العقيدة الواسطية، لابن تيمية (ص: ١١٣).

المبحث الثاني:

زيادة الإيمان ونقصانه

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣: "واستدل بالآية من قال: إن الطاعات داخلة في مسمى الإيمان، **وأنه يزيد وينقص** بحسب زيادتها ونقصانها" [(١)].

وقال: "وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الأنفال: ٢، قالت العلماء: زيادة الإيمان تكون على ثلاثة أنحاء:

الأوّل: بقوّة الدليل وبكثرته، فإن كل دليل مركب لا محالة من مقدمات. ولا شك في أن النفوس مختلفة في الإشراق والإنارة، والأذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة، فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وأدوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم، وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد، ولذا يورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

الثاني: بتعدد التصديق وتجدده، فمن المعلوم أن من صدق إنسانا في شيئين كان تصديقه أزيد من تصديق من صدقه في شيء واحد، فمعنى الآية أنهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا بإقرار جديد.

الثالث: أن يقال: الإيمان: عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل، كما ينبيء عنه ظاهر الآية، ... وإذا كان الإيمان عبارة عن مجموع الأركان الثلاثة فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الإيمان، وإن لم يكن التفاوت في الإقرار والاعتقاد متصورا" [(٢)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣١١/٢).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٧٣/٣).

وقال: " ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾الفتح: ٤، أي يقينا مع يقينهم، أو إيمانا بالشرائع مع إيمانهم بالله. وعن ابن عباس أن أول ما أتاهم به النبي ﷺ التوحيد، فلما آمنوا بالله وحده، أنزل الصلاة، ثم الزكاة، ثم الجهاد، ثم الحج، أو ازدادوا إيمانا استدلاليا مع إيمانهم الفطري" [(١)].

ب - الخلاصة:

يتضح من خلال عرض أقوال النيسابوري، أنه يرى أن الإيمان: يزيد وينقص ويتفاوت، والزيادة تكون في التصديق والعمل، بقوّة الدليل وبكثرته، وبتعدد التصديق وتجدده، وبالتفاوت في العمل.

ورأيه هذا موافق لرأي أهل السنة، قال ابن عبد البر: " أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَالْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ" [(٢)].

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: " وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" [(٣)].

وقال شيخ الإسلام: " وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص" [(٤)].

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/١٤٥).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/ ٢٣٨).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٥٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

المبحث الثالث:

الاستثناء في الإيمان

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾الأنفال: ٢ - ٤: " واعلم أن الأئمة اتفقوا على أن الرجل المؤمن يجوز له أن يقول أنا مؤمن، ثم اختلفوا في أنه هل يجوز له أن يضيف إليه حقا، أو لا، بل يستثني فيقول إن شاء الله.

والأوّل – أي الجزم وعدم الاستثناء-: مذهب أصحاب أبي حنيفة لما ورد في الآية، ولأن الشك في الإيمان لا يجوز لأن التصديق والإقرار كلاهما محقق.

والثاني: مذهب أصحاب الشافعي، وأجابوا عن الآية بأنه لا نزاع في أن الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا، إنما النزاع في أن القائل أنا مؤمن، هل هو موصوف بتلك الصفات جزما أم لا.

وأما حديث الشك[(١)] فمبني على أن الإيمان عبارة عن الأركان الثلاثة، ولا ريب أن كون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة أمر مشكوك فيه ... على أنا لا نسلم أن الاستثناء لأجل الشك، وإنما هو لزوال العجب، أو لعدم القطع بحسن الخاتمة، أو لنوع من الأدب، ففيه تفويض بالأمر إلى علم الله وحكمه ... عن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت؟ قال: الإيمان إيمانان: فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب، فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾الأنفال: ٢، فو الله لا أدري أمنهم أنا أم لا" [(٢)].

---

(١) مقصوده من حديث الشك هو: قول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله .

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٣٧٤-٣٧٥).

ب – الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض أن النيسابوري يرى جواز الاستثناء في الإيمان، وأنه مبني على أن الإيمان عبارة عن الأركان الثلاثة: اعتقاد الجنان، وإقرار اللسان، وعمل الأركان.

ويرى أن الاستثناء ليس لأجل الشك، وإنما هو لزوال العجب، أو لعدم القطع بحسن الخاتمة، أو لنوع من الأدب.

ورأيه هذا موافق لرأي أهل السنة، قال الآجري: " وَطَرِيقُ الصَّحَابَةِ ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، عِنْدَهُمْ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الْأَعْمَالِ، لَا يَكُونُ فِي الْقَوْلِ، وَالتَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَإِنَّمَا الِاسْتِثْنَاءُ فِي الْأَعْمَالِ الْمُوجِبَةِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ" [(١)].

وقال شيخ الإسلام: " وَالْمَأْثُورُ عَنْ الصَّحَابَةِ وَأَئِمَّةِ التَّابِعِينَ وَجُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ الْمَنْسُوبُ إلَى أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ الِاسْتِثْنَاءُ فِيهِ" [(٢)].

وقال الإمام أحمد: " اذْهَبْ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ[(٣)] فِي الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وعمل، وَالْعَمَلُ الْفِعْلُ، فَقَدْ جِئْنَا بِالْقَوْلِ، وَنَخْشَى أَنْ نَكُونَ قَدْ فَرَّطْنَا فِي الْعَمَلِ، فَيُعْجِبُنِي أَنْ نَسْتَثْنِيَ فِي الْإِيمَانِ، نَقُولُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ" [(٤)].

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(١) الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٦- ٦٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).

(٣) حديث ابن مسعود، هو ما رواه القاسم بن سلام، قال: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَا مؤمنٌ! فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: أَرْجُو، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَفَلَا وكلتَ الْأُولَى كَمَا وَكَّلْتَ الْأُخْرَى؟ ". الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام: باب الاستثناء في الإيمان، برقم: ٩. وانظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٧).

(٤) السنة لأبي بكر بن الخلال (٣/ ٦٠٠)، برقم: ١٠٦٥.

المبحث الرابع:

حكم مرتكب الكبيرة

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى: "والفاسق في الشريعة: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو عند أهل السنة من أهل الإيمان، إلا أنه عاص، وعند الخوارج كافر، وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين" [(١)].

وقال: "والذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والإمامية، القطع بأنه سبحانه يعفو عن بعض العصاة، وأنه إذا عذب أحدهم فلا يعذبه أبدا،...

... أما أصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض، فقد تمسكوا بنحو قوله عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨، وبأن عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا، فلا بد من الترجيح لجانب الوعد، بصرف التأويل إليه، لأن العفو عن الوعيد مستحسن في العرف، وإهمال الوعد بالضد.

... وأيضا إن صاحب الكبيرة أتى بما هو أفضل الخيرات وهو الإيمان، ولم يأت بما هو أقبح القبائح وهو الكفر، ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: "﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ البقرة: ١٧٨: " وقد يستدل بهذا على أن الفاسق مؤمن، لأنه تعالى أثبت الأخوة بين القاتل وبين ولي الدم، ولا شك أن هذه الأخوة بسبب الدين ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ الحجرات: ١٠، مع أن قتل العمد العدوان، بالإجماع من الكبائر. وأيضا إنه تعالى ندب إلى العفو عن القاتل، والعفو إنما يليق عن المؤمن" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٠٦- ٢٠٧).

(٢) نفس المصدر (١ / ٣٢٠- ٣٢١).

(٣) نفس المصدر (١ / ٤٨٤).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٢: " ثم إن ظاهر الآية دل على أنه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة، لأنها غير مذكورة، فصارت الآية دليلا على أنه قد يعفو عن أصحاب الكبائر... وقد يستدل بالآية على أن **صاحب الكبيرة مؤمن** لأنه سماهم مؤمنين" [(١)].

وقال: " قال علماء السنة: كل أهل الإيمان موعودون بالجنة وإن كانوا من أهل الكبائر غاية ذلك أنهم يعذبون بالنار مدّة إن لم يكن عفوا وشفاعة ثم يخرجون إلى الجنة" [(٢)].

ب- الخلاصة:

يتضح من خلال عرض أقوال النيسابوري، أنه يرى أن مرتكب الكبيرة مؤمن إلا أنه عاص، وأنه تحت مشيئة الله، فقد يعفو عنه، أو تناله الشفاعة، فيدخل الجنة بلا عذاب، أو يعذب مدة إن لم يكن عفو أو شفاعة، ثم مصيره إلى الجنة، فلا يخلد في النار.

ورأيه هذا موافق لرأي أهل السنة، قال الطحاوي: " وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، في النار لايُخَلَّدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ مؤمنين، وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾النساء: ٤٨، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ، وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ" [(٣)].

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(١ تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٢٨١-٢٨٢).

(٢) نفس المصدر (٦ / ٢٤).

(٣) متن الطحاوية (ص: ٦٥).

الباب الثاني

الإيمان بالملائكة.

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: المراد بالإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: خلق الملائكة.

الفصل الثالث: صفات الملائكة.

الفصل الرابع: أعمال الملائكة.

الفصل الخامس: عدد الملائكة.

الفصل السادس: تفاضل الملائكة.

الفصل الأول:

المراد بالإيمان بالملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: تعريف الملائكة في اللغة:

قال رحمه الله تعالى: " والملائكة جمع ملْأَك، وأصله مأْلَك: بتقديم الهمزة من الأُلُوكة: هي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملْأَك، وجمع على فعائل مثل شمأل وشمائل، ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال وألقيت حركتها على اللام. وإلحاق التاء لتأنيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق" [(١)].

ثانيا: تعريف الملائكة في الاصطلاح:

قال رحمه الله تعالى: " وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب: منهم من زعم أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول أكثر المسلمين"[(٢)].

ثالثا: المراد بالإيمان بالملائكة:

قال رحمه الله تعالى: " وأما الايمان بالملائكة فهو الإيمان بوجودها ... ويدخل في الإيمان بالملائكة اعتقاد أنهم معصومون، وأن لذتهم بذكر الله، وحياتهم بمعرفته وطاعته، وأنهم وسائط بين الله وبين البشر، وبهم وصلت الكتب إلى الأنبياء، ولكل طائفة منهم مقام معلوم، وجزء مقسوم من أقسام هذا العالم" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢١٣).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر (٢/ ٨٧).

ب – الخلاصة:

من خلال هذا العرض يتضح أن رأيه في التعريف اللغوي للملائكة، وكذلك رأيه في المراد من الإيمان بالملائكة، يتفق مع ما ذهب إليه أهل السنة، قال شيخ الإسلام: " وَالْمَلَائِكَةُ رُسُلُ اللَّهِ. وَلَفْظُ الْمَلَكِ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الرِّسَالَةِ، فَإِنَّ أَصْلَ الْكَلِمَةِ مَلْأَك عَلَى وَزْنِ مَفْعَلٍ، لَكِنْ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ خُفِّفَتْ. بِأَنْ أُلْقِيَتْ حَرَكَةُ الْهَمْزَةِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا وَحُذِفَتْ الْهَمْزَةُ، وَمَلَاك: مَأْخُوذٌ مِنْ الْمَأْلُك، وَالْمَلْأَك، بِتَقْدِيمِ الْهَمْزَةِ عَلَى اللَّامِ، وَاللَّامِ عَلَى الْهَمْزَةِ، وَهُوَ الرِّسَالَةُ، وَكَذَلِكَ الْأَلُوكَةُ بِتَقْدِيمِ الْهَمْزَةِ عَلَى اللَّامِ" (١).

أما من ناحية المراد بالإيمان بهم فأهل السنة يرون أنه: الإقرار الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، مربوبين مسخرين، موصوفين بما وصفهم الله ورسوله من صفات خَلْقية وخُلُقية، قائمين بما وُكِل إليهم من أعمال خير قيام، متفاضلين فيما بينهم، وأنهم جم غفير، لا يحصي عددهم إلا الله ﷻ (٢).

أما من ناحية التعريف الاصلاحي فقد خالف أهل السنة، فإنه قال بأنها أجسام هوائية، بينما مذهب السلف أنها أجسام نورانية، فملخص تعريف أهل السنة للملائكة أنهم: عالم غيبي، وذَوَاتٌ مَوْجُودَة قَائِمَةٌ بِنفْسِهَا، وأجسامهم نورانية لطيفة، قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بِالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، ومسكنهم السماوات، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، وَلَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَتَنَاكَحُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، وَلَا هم شُرَكَاءَ مَعَ الله وَلَا أَنْدَادًا، بل عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولكلٍ وظائف خصه الله بها (٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٢٧).

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة (ص: ٤١)، الإيمان، د محمد نعيم ياسين (ص: ٢٩) .

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٢٢٠، و٤٤٣)، و(١١/ ٣٣٨)، تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٤٧٦)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٠٦)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٨٤)، و(٥/ ٣٥٤)، لوامع الأنوار (١/ ٤٤٦)، الكليات (ص: ٨٥٤)، معارج القبول (٢/ ٦٥٦)، أعلام السنة المنشورة (ص: ٤١)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٦٢)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٥٩، و٦٤)، معجم لغة الفقهاء (ص: ٤٥٧).

الفصل الثاني:

خلق الملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: وجودالملائكة: قال رحمه الله تعالى: " ولا نزاع البتة بين الأنبياء عليهم السلام في إثبات الملائكة، وذلك كالأمر المجمع عليه بينهم" [١].

ثانيا: مادة خلق الملائكة: قال رحمه الله تعالى في معرض تعداد الفروقات بين إبليس والملائكة: " وأيضا إنه من النار ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ ص: ٧٦، وأنهم من نور، لقوله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» [٢]" [٣].

ب- الخلاصة:

من خلال هذا العرض يتضح أن رأيه في إثبات وجود الملائكة، وكذلك رأيه في مادة خلقهم، متفق مع رأي أهل السنة، قال الألوسي: " واختلف الناس في حقيقتها بعد **اتفاقهم** على أنها موجودة ... فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام نورانية، وقيل: هوائية قادرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى" [٤].

وقال شيخ الإسلام: " فَإِذَا كَانُوا مَخْلُوقِينَ مِنْ نُورٍ؛ وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ؛ بَلْ هُمْ صَمَدٌ لَيْسُوا جَوْفًا كَالْإِنْسَانِ، وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ وَيَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ" [٥].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢١٤).

(٢) مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (٤/٢٢٩٤)، برقم: ٦٠-(٢٩٩٦).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٤١).

(٤) تفسير الألوسي = روح المعاني (١/ ٢٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٤).

الفصل الثالث:

صفات الملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى: " ولا خلاف في أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأما الجن والشياطين فخلاف ذلك" [(١)].

وقال: " وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب: منهم من زعم أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول أكثر المسلمين" [(٢)].

وقال: " وأما أوصافهم، فكما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان" [(٣)].

وقال: " واعلم أن الجمهور من علماء الدين على أن الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ النحل: ٥٠، فلا شيء من المأمورات بل ومن المنهيات- لأن المنهي مأمور بتركه- إلا ويدخل فيه" [(٤)].

وقال رحمه الله تعالى في معرض تعداد الفروقات بين إبليس والملائكة: " إن إبليس له ذرية لقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ الكهف: ٥٠، والملائكة لا ذرية لها، لأنها تحصل من الذكر والأنثى، ولا إناث فيهم" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٠).

(٢) نفس المصدر (١ / ٢١٣).

(٣) نفس المصدر (١ / ٢١٥).

(٤) نفس المصدر (١ / ٢١٦).

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٤١).

وقال في معرض الكلام على نزول القرآن إلى السماء الدنيا: "وليس يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم" [(١)].

وقال: " وأُولِي أَجْنِحَةٍ: أي أصحاب أجنحة، أراد أن طائفة منهم، أجنحة كل منهم اثنان اثنان، وبعضهم أجنحة كلٍ ثلاثة ثلاثة، وبعضهم أجنحة كلٍ أربعة أربعة ... وعن رسول الله ﷺ، أنه رأى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج، وله ستمائة جناح [(٢)]" [(٣)].

وقال: " ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ التحريم: ٦، أي موكل على أهلها الزبانية التسعة عشر، الموصوفون بالغلظة والشدة في الأجرام، أو في الأفعال، أو فيهما" [(٤)].

ب- الخلاصة:

يستخلص من خلال هذا العرض، أن النيسابوري يرى أن من صفات الملائكة طاعة الله عز وجل، وعدم مخالفة أمره، وأنهم يسبحون الله دون انقطاع أو فتور ليلا ونهارا، فلا ينامون ولا يسهون أو ينسون، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ولا يوصفون بالأنوثة، وهم معصومون من جميع الذنوب، ولهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة بقدرة الله، ويوصفون بعظم الخلق، وأن مسكنهم السموات.

وما ذهب إليه هو نفس مذهب أهل السنة، قال ابن كثير في قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الأنبياء: ٢٦، أَيِ الْمَلَائِكَةُ عِبَادُ اللَّهِ، مُكْرَمُونَ عِنْدَهُ فِي مَنَازِلَ عَالِيَةٍ، وَمَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ، **وَهُمْ لَهُ فِي غَايَةِ الطَّاعَةِ قَوْلًا وَفِعْلًا**، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: ٢٧، أَيْ لَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بأمر، ولا يخالفونه فيما أمرهم بِهِ، بَلْ يُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِهِ" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٥٠١).

(٢) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء، برقم: ٣٢٣٢.

مسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، (١٥٨/١)، برقم: ٢٨٠-(١٧٤).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥ / ٥٠٧).

(٤) نفس المصدر (٦ / ٣٢١).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٦).

وقال ابن جرير الطبري: "عن عبد الله بن الحارث، قال: قلت: لكعب الأحبار ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٠. أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي إنهم جُعل لهم التسبيح، كما جُعل لكم النفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفَّس؟ قلت: بلى قال: فكذلك جُعل لهم التسبيح" [(١)].

وقال ابن حجر: " وَذَكَرَ فِي رَبِيعِ الْأَبْرَارِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ لَيْسُوا ذُكُورًا وَلَا إِنَاثًا، وَلَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَنَاكَحُونَ وَلَا يَتَوَالَدُونَ" [(٢)].

وقال البغوي: " ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم ﴾ الأنعام: ٩، يَعْنِي: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مَلَكًا، لجَعَلْناهُ رَجُلًا، يَعْنِي: فِي صُورَةِ رَجُلٍ آدَمِيٍّ ... وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَجَاءَ الْمَلَكَانِ إِلَى دَاوُدَ فِي صُورَةِ رَجُلَيْنِ" [(٣)].

وقال النسفي[(٤)]: "أى الملائكة، لأنهم يسكنون السموات " [(٥)].

وسئل ابن مسعود عن قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ . فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ النجم: ٩ – ١٠، فقَالَ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ» [(٦)].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ٤٢٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٣٠٦).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١١١).

(٤) هو أبو البركات، حافظ الدين، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، فقيه حنفي، مفسر، نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند، وتوفي سنة: ٧١٠هـ. من تصانيفه: عمدة العقائد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، وكنز الدقائق في الفقه الحنفي. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٢٧٠)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ١٧٤)، الدرر الكامنة (٣/ ١٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٦٧)، معجم المؤلفين (٦/ ٣٢).

(٥) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١١٨).

(٦) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء، برقم: ٣٢٣٢.

مسلم: كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، (١/١٥٨)، برقم: ٢٨٠–(١٧٤).

الفصل الرابع:

أعمال الملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " وأما أصنافهم فمنهم حملة العرش، ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ الحاقة: ١٧، ومنهم أكابر الملائكة جبرائيل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الرزق والغذاء، وإسرافيل صاحب الصور، وعزرائيل ملك الموت[١]، ومنهم ملائكة الجنة، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ الرعد: ٢٣، ومنهم ملائكة النار، ﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾ المدثر: ٣٠، ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد. ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم، ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴾ الصافات: ١" [٢].

وقال في تفسير الآيات الأولى من سورة النازعات: " قال مقاتل: يعني بهذه الطوائف جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأعوان كل منهم. فجبريل موكل بالرياح والجنود، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، وإسرافيل بنفخ الصور، وملك الموت عزرائيل وأعوانه بقبض الأرواح"[٣].

وقال: " ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ التحريم: ٦، أي موكل على أهلها الزبانية التسعة عشر، الموصوفون بالغلظة والشدة في الأجرام، أو في الأفعال، أو فيهما، لأنه لا تأخذهم رأفة بمن عصى الله" [٤].

وقال: " مُعَقِّباتٌ: جماعات من الملائكة تعقب في حفظه وكلاءته ... لأن بعضهم يعقب بعضا، أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ... قال ابن جريج: هو مثل قوله تعالى:

---

(١) لا دليل على أن اسم ملك الموت: عزرائيل.

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢١٥).

(٣) نفس المصدر (٦ / ٤٣٩).

(٤) نفس المصدر (٦ / ٣٢١).

﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ق: ١٧، صاحب اليمين يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات. وقال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك يحفظه من الجن والإنس والهوام، في نومه ويقظته" [(١)].

ب – الخلاصة:

يستخلص من خلال هذا العرض، أن النيسابوري يرى أن من أعمال الملائكة: الوحي، والتوكيل في الرزق والغذاء، والنفخ في الصور، وحمل عرش الرحمن، وقبض الأرواح، وحفظ العباد، وضبط أعملهم وأقوالهم، وأن منهم خزنة الجنة، وخزنة النار.

وآرؤه هذه متوافقة مع ما ذهب إليه أهل السنة، قال ابن القيم: "وَمِنْ هَذَا اخْتِيَارُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُصْطَفَيْنَ مِنْهُمْ عَلَى سَائِرِهِمْ، كَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ ... فَجِبْرِيلُ: صَاحِبُ الْوَحْيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَمِيكَائِيلُ: صَاحِبُ الْقَطْرِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَإِسْرَافِيلُ: صَاحِبُ الصُّورِ الَّذِي إِذَا نَفَخَ فِيهِ أَحْيَتْ نَفْخَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَمْوَاتَ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ" [(٢)].

وقال ابن كثير: "﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ الأنعام: ٦١، أَيْ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يُخْرِجُونَ الرُّوحَ مِنَ الْجَسَدِ فَيَقْبِضُهَا مَلَكُ الْمَوْتِ" [(٣)].

وقال: "﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ الرعد: ١١، أَيْ لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَسٌ بِاللَّيْلِ وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ، يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَالْحَادِثَاتِ، كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، فَاثْنَانِ عن اليمين والشمال يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ، صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤ / ١٤٣).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩).

الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ، واحد مِنْ وَرَائِهِ وَآخَرَ مَنْ قُدَّامِهِ، فَهُوَ بَيْنُ أربعة أملاك بالنهار، وأربعة أملاك بِاللَّيْلِ، بَدَلًا، حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ" [(١)].

وقال: " ثمَّ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هَيَّأَهُمُ اللَّهُ لَهُ أَقْسَامٌ فَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَمِنْهُمُ الْكَرُوبِيُّونَ الَّذِينَ هُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَهُمْ أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ" [(٢)].

وأما خزنة الجنة، قيل في مقدمتهم رضوان عليه السلام [(٣)]، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧٣.

وأما خزنة النار، فعلى رأسهم مالك عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمًا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٩، وقال: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ الزخرف: ٧٧.

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٥).
(٢) البداية والنهاية (١/ ٤٩).
(٣) معارج القبول (٢/ ٦٦٥).

الفصل الخامس:

عدد الملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله تعالى: " وأما شرح كثرتهم فقد قال ﷺ: «أطّت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع»[(١)]" [(٢)]. وقال: "وعن كعب: إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة وساقها في الجنة وأغصانها تحت الكرسي، فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله"[(٣)].

ب- الخلاصة:

يرى النيسابوري أن الملائكة لا يعلم عددها إلا الله، لفرط كثرتها، وهو رأي أهل السنة، فعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وفيه: «فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ» [(٤)].

قال ابن حجر: " وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَكْثَرُ الْمَخْلُوقَاتِ، لِأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ مِنْ جَمِيعِ الْعَوَالِمِ مَنْ يَتَجَدَّدُ مِنْ جِنْسِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا غَيْرَ مَا ثَبَتَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذَا الْخَبَرِ " [(٥)].

---

(١) الترمذي: كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا"، برقم: ٢٣١٢.

ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، برقم: ٤١٩٠. ولفظه عندهما: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ». وقال الألباني: حسن دون قوله: لوددت.

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢١٤).

(٣) نفس المصدر (٦/ ٥٣٩).

(٤) البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم، برقم: ٣٢٠٧.

مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء، (١/١٤٥)، برقم: ٢٥٩-(١٦٢).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢١٥).

الفصل السادس:

تفاضل الملائكة

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: تفاضلهم فيما بينهم:

قال رحمه الله: " وأما أصنافهم فمنهم حملة العرش، ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ الحاقة: ١٧، ومنهم أكابر الملائكة جبرائيل صاحب الوحي والعلم، وميكائيل صاحب الرزق والغذاء، وإسرافيل صاحب الصور" [١].

وقال: " ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ مريم: ١٧، يعني جبرائيل، لأن الدين يحيا به وبوحيه، والإضافة للتشريف" [٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ القدر: ٤: "أما الروح فالأظهر أنه جبرائيل، خص بالذكر لزيادة شرفه" [٣].

ثانيا: المفاضلة بين الملائكة والبشر:

قال رحمه الله: " لما خصص الله تعالى أبانا آدم بالخلافة، ثم علمه من العلوم ما ظهر بذلك مزيته على جميع الملائكة، اقتضت حكمته البالغة أن جعله مسجودا لهم" [٤].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢١٥).

(٢) نفس المصدر (٤/ ٤٧٧).

(٣) نفس المصدر (٦/ ٥٣٩).

(٤) نفس المصدر (١/ ٢٤٠).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ البقرة: ٣٤: " ومما يناسب تفسير الآية، الكلام في أن الأنبياء أفضل من الملائكة أم بالعكس، قال أكثر أهل السنة بالأول، ومالت المعتزلة والشيعة إلى الثاني" (١).

وقال في معرض تعداد أدلة عصمة الأنبياء: " النبي ﷺ أفضل من الملك كما مر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، فالنبي أولى" (٢).

وفي معرض الرد على المعتزلة، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ التكوير: ١٩ - ٢١: " استدل في الكشاف بالآيات على تفضيل الملك على الأنبياء، وقال: لأنه وصف جبرائيل بصفات الكرامة، ثم وصف النبي ﷺ بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ التكوير: ٢٢، وشتان بين الوصفين.

قلت: أمثال هذا التغليط من باب الجنون، وهذا نشأ من سماع لفظ المجنون. والتحقيق أن ذكر جبرائيل ومدحه وقع استطرادا لبيان مدح النبي ﷺ، والمبالغة في صدقه، فإن الكفرة زعموا أن القرآن إفك افتراه مجنون به، وأعانه عليه قوم آخرون، فلم يكن بد من نفي الجنون عنه. ووصف جبرائيل بالأمانة والمكانة وغيرهما، فإن شرف الرسول يدل على شرف المرسل إليه وصدقه، **فالعجب من الزمخشري** أنه كيف سمع لفظ المجنون فاعتراه حتى استدل به على مفضولية أشرف المخلوقات، ولم يعلم أن ذكر جبرائيل ووصفه بأوصاف الكمال اتفق لغرض تزكية النبي ﷺ. **والعجب من الإمام فخر الدين** الرازي أيضا، أنه كيف أورد حجته الواهية في تفسيره، ولم يتعرض للجواب عنه، مع كمال حرصه على تزييف أدلتهم" (٣).

ب- الخلاصة: من خلال هذا العرض يظهر أن النيسابوري يرى أن الملائكة يتفاضلون فيما بينهم، فأفضلهم جبريل عليه السلام، ثم ميكائيل وإسرافيل، ثم حملة العرش، كما يرى أن الأنبياء أفضل من الملائكة. وهذا مما لا خلاف فيه مع أهل السنة.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٢٤٢- ٢٥١).

(٢) نفس المصدر (١ / ٢٥٧).

(٣) نفس المصدر (٦ / ٤٥٥).

قال ابن رجب[1]: " وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة" [2].

وقال ابن القيم: "وَمِنْ هَذَا اخْتِيَارُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُصْطَفَيْنَ مِنْهُمْ عَلَى سَائِرِهِمْ، كَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ" [3].

وقال ابن كثير: " ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هَيَّأَهُمُ اللَّهُ لَهُ أَقْسَامٌ فَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَمِنْهُمُ الْكَرُوبِيُّونَ الَّذِينَ هُمْ حَوْلَ الْعَرْشِ وَهُمْ أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ مَعَ حَمَلَةِ الْعَرْشِ" [4].

كما أن رأي جمهور أهل السنة أن الأنبياء وصالحي بني آدم أفضل من الملائكة، قال شيخ الإسلام: "وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَصَالِحَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ"[5].

وقال السَّفَّاريني: " فَالْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ" [6].

والله أعلم .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) هو زين الدين، جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود البغدادي، الدمشقي، الحنبلي، الشهير بـ: ابن رجب، محدث، حافظ، فقيه، أصولي، مؤرخ. ولد ببغداد سنة: ٧٣٦هـ، وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير، وسمع بمكة وبمصر، وتوفي بدمشق سنة: ٧٩٥هـ، من مصنفاته: فتح الباري، شرح صحيح البخاري – مخطوط، رياض القدس شرح سنن الترمذي، جامع العلوم والحكم. انظر: ا إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٤٦٠)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/ ١٠٨)، لأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥)، معجم المؤلفين (٥/ ١١٨).

(٢) لطائف المعارف (ص: ١٦٥)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٣)، تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٦٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٤).

(٤) البداية والنهاية (١/ ٤٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٦).

(٦) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٩٨).

الباب الثالث

الإيمان بالكتب

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول: المراد بالإيمان بالكتب.

الفصل الثاني: خصائص الكتب السماوية.

الفصل الثالث: الكتاب الخاتم.

الفصل الأول:

المراد بالإيمان بالكتب

أ: عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ البقرة: ١٧٦: " يعني جنس الكتب السماوية، أو القرآن" [١].

قال رحمه الله: "وأما الإيمان بالكتب فأن تعلم أن كلها وحي من عند الله، وليس لأحد من المخلوقات أن يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم، ولا سيما في القرآن العظيم" [٢].

ب: الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض أن النيسابوري يرى أن المراد بالكتب هي السماوية، وأن المراد بالإيمان بها هو العلم بأنها وحي ومنزلة من عند الله، وهذا هو مذهب أهل السنة.

قال الهراس: "والكُتُبُ: جَمْعُ كِتَابٍ، وَهُوَ مِن الكَتْب؛ بِمَعْنَى: الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْكُتُبُ المنزَّلة مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ" [٣].

وعقيدة أهل السنة في الإيمان بالكتب السماوية: الإقرار الجازم بأن لله ﷻ كتبا، أنزلها على رسله بالحق والهدى والنور، وأنها كلام الله على الحقيقة، وتتضمن شرائع واجبة العمل بها على من نزلت إليهم من الأمم، ولا يعلم عددها وأسماءها إلا الله، إلا ما سماه الله منها في كتابه، واتباع خاتمها والعمل به [٤].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٤٧٤)، وانظر: (٢ / ٨٨)، (٢ / ١٠٢)، (٦ / ٣٢٢) .

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٨٧).

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ٦٢).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (ص: ٣١٢)، أعلام السنة المنشورة (ص: ٤٣)، معارج القبول (٢/ ٦٧٢)، شرح العقيدة الواسطية للفوزان (ص: ١١) .

الفصل الثاني:

خصائص الكتب السماوية

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: وجوب الإيمان بها:

قال رحمه الله تعالى: " الإيمان بجميع الكتب السماوية أعني التصديق بها **واجب**، لأن الفلاح منوط بذلك. فيجب تحصيل العلم بما أنزل على محمد ﷺ التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا، لكنه فرض كفاية لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ التوبة: ١٢٢، الآية. وأما المنزل على الأنبياء المتقدمين فالإيمان به واجب على الجملة، لأن الله تعالى ما تعبدنا الآن به حتى يلزمنا معرفتها مفصلة، لكنها إن عرفنا شيئا من تفاصيلها فهناك يجب علينا الإيمان بتلك التفاصيل" [(١)].

ثانيا: اتحاد المصدر:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ النساء: ١٣٦: "وقيل: إن المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بموسى والتوراة، وبعيسى والإنجيل، آمَنُوا بمحمد ﷺ والقرآن، وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط" [(٢)].

وقال: " ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ المائدة: ٤٦، أي مقرا بأن التوراة كتاب منزل من عند الله تعالى، وأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه، وهو الإنجيل المصدق أيضا، لكونه مبشرا بمبعث محمد ﷺ كالتوراة" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٤٦- ١٤٧)، وانظر: (٢ / ١٠١).

(٢) نفس المصدر (٢ / ٥١٣).

(٣) نفس المصدر (٢ / ٥٩٧).

ثالثا: اتحاد الغاية:

قال رحمه الله تعالى: " وفي قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ آل عمران: ٣ ... وفيه أنه تعالى **لم يبعث نبيا قط إلا** بالدعاء إلى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان" [١].

وقال في تفسير سورة الأعلى: " ثم بين أن ما في السورة من التوحيد والنبوّة والوعيد والوعد، كانت ثابتة في صحف الأنبياء الأقدمين، لأنها قواعد كلية لا تتغير بتغير الأزمان"[٢].

رابعا: كونها هدى ونور:

قال رحمه الله تعالى: " ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾المائدة: ٤٤، العطف يقتضي التغاير فقيل: الهدى بيان الأحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد. وقال الزجاج: الهدى بيان الحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه، والنور بيان أن أمر النبي ﷺ حق. وقيل: فيها هدى يهدي للحق والعدل، ونور يبين ما استبهم من الأحكام، فهما عبارتان عن معبر واحد"[٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى ﴾ المائدة: ٤٦: " وأما النور فبيان الأحكام الشرعية، وتفاصيل التكاليف، والهدى الأول: أصول الديانات كالتوحيد والنبوات والمعاد، والهدى الثاني: اشتماله على البشارة بمجيء محمد ﷺ، لأن ذلك سبب اهتداء الناس إلى نبوته" [٤].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ١٠١).

(٢) نفس المصدر (٦ / ٤٨٧).

(٣) نفس المصدر (٢ / ٥٩٥).

(٤) نفس المصدر (٢ / ٥٩٧).

خامسا: يصدق بعضها بعضا:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ البقرة: ١١٣: "﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، الواو للحال، والكتاب للجنس، أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحق من حمل التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله أن يؤمن بالباقي ولا يكفر به، لأن جميع الكتب السماوية متواردة في تصديق بعضها بعضا" [(١)].

سادسا: اللاحق ينسخ السابق:

قال رحمه الله: " ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٦، أي مقرا بأن التوراة كتاب منزل من عند الله تعالى، وأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه، وهو الإنجيل المصدق أيضا، لكونه مبشرا بمبعث محمد ﷺ كالتوراة" [(٢)].

سابعا: نزولها في رمضان:

قال رحمه في تفسير قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ البقرة: ١٨٥: " واختيار الجمهور أن الله تعالى أنزل القرآن في رمضان. عن النبي ﷺ «نزلت صحف إبراهيم أوّل ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين، والإنجيل لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعشرين» [(٣)]" [(٤)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٣٦٩).

(٢) نفس المصدر (٢ / ٥٩٧).

(٣) هو حديث وَاثِلَةَ بن الأسقع ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ ». وهو مخرج في مسند أحمد، برقم: ١٦٩٨٤، المعجم الكبير للطبراني، برقم: ١٨٥، والأوسط، برقم: ٣٧٤٠، مسند أبي يعلى، برقم: ٢١٩٠، مصنف ابن أبي شيبة، برقم: ٣٠١٩١، السنن الكبرى للبيهقي، برقم: ١٨٦٤٩، شعب الإيمان له، برقم: ٢٠٥٣، الأسماء والصفات له، برقم: ٤٩٤، وخرجه الألباني في الصحيحة، برقم: ١٥٧٥، وحسنه في صحيح الجامع الصغير، برقم: ١٤٩٧.

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٥٠١).

ب – الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض أن النيسابوري يرى أن الواجب الإيمان إجمالا بكل الكتب، وكذلك الإيمان التفصيلي بما علمنا تفاصيله، أما القرآن فيجب تحصيل علومه للقيام بواجب العلم والعمل به.

كما يرى أنها متحدة المصدر فكلها من عند الله، ومتحدة الغاية، فإنها تدعو إلى توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به، وتدعو إلى العلم والطاعات والأخلاق المحمودة، وتدعو إلى نبذ الكفر والشرك والجهل والمعاصي والأخلاق المذمومة.

ويرى أنها هدى ونور، وأنه يصدق بعضها بعضا ويؤيده، واللاحق منها ينسخ السابق، وأنه كلها نزلت في رمضان.

وهذا كله مما لا خلاف فيه مع أهل السنة، قال ابن أبي العز: " أَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَنُؤْمِنُ بِمَا سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا فِي كِتَابِهِ، مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سِوَى ذَلِكَ كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِ، لَا يَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَالْإِقْرَارُ به، واتباع مَا فِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ "[(١)].

وقال الشيخ حافظ حكمي: " وَمَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ كُلَّهَا مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَجَلَّ عَلَى رُسُلِهِ إِلَى عِبَادِهِ، بِالْحَقِّ الْمُبِينِ، وَالْهُدَى الْمُسْتَبِينِ، وَأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ عَجَلَّ، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهَا حَقِيقَةً"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: " الدِّينُ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ "[(٣)].

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٣١٢).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٦٧٢)، وانظر: أعلام السنة المنشورة (ص: ٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦٤- ٦٥).

الباب الثالث: **الإيمان بالكتب**

الفصل الثالث

الكتاب الخاتم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: موقف القرآن من الكتب السابقة.

المبحث الثاني: خصائص القرآن الكريم.

المبحث الأول:

موقف القرآن من الكتب السابقة

أ-عرض رأي النيسابوري:

أولا: مصدق لها:

قال رحمه الله: " وفي قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ آل عمران: ٣، إنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة، لأن من هو على مثل حاله من كونه أميا لم يخالط أهل الدرس والقراءة إن كان مفتريا استحال أن يسلم من التحريف والجزاف "[(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ النمل: ١: " تلك الآيات التي تضمنتها هذه السورة، آيات القرآن الذي علم أنه منزل مبارك مصدق لما بين يديه"[(٢)].

ثانيا: ناسخ لها ومهيمن عليها:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨: " منّ الله تعالى على نبينا ﷺ بإنزال القرآن إليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب، أي جنسه، وهو كل كتاب سوى القرآن نازل من السماء.

وفي المهيمن قولان: قال الخليل وأبو عبيدة: هيمن على الشيء يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا. وقال الجوهري: أصله أأمن بهمزتين، قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين، ثم الأولى هاء كما في هرقت وهياك. والمعنى إنه أمين على الكتب التي قبله لأنه لا ينسخ البتة ولا يحرف"[(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ١٠١).

(٢) نفس المصدر (٥ / ٢٩٢).

(٣) نفس المصدر (٢ / ٦٠٠).

ب – الخلاصة:

ما ذهب إليه النيسابوري من أن القرآن مصدق ومؤيد لما سبقه من كتب سماوية، وأنه ناسخ ومهيمن عليها، هو عين ما ذهب إليه السلف ﷺ.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ آل عمران: ٣: "﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، أَيْ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ قَبْلَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْأَنْبِيَاءِ، فَهِيَ تُصَدِّقُهُ بِمَا أَخْبَرَتْ بِهِ وَبَشَّرَتْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَهُوَ يُصَدِّقُهَا، لِأَنَّهُ طَابَقَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ، وَبَشَّرَتْ مِنَ الْوَعْدِ مِنَ اللَّهِ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ" [(١)] .

وقال بعد أن ذكر أقوال السلف في معنى المهيمن: " وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى، فَإِنَّ اسْمَ الْمُهَيْمِنِ يَتَضَمَّنُ هَذَا كُلَّهُ، فَهُوَ أَمِينٌ وَشَاهِدٌ وَحَاكِمٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ، جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَنْزَلَهُ آخِرَ الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ، وَزَادَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ، مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ، فَلِهَذَا جَعَلَهُ شَاهِدًا وَأَمِينًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَتَكَفَّلَ تَعَالَى بِحِفْظِهِ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ [(٢)].

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ١١٦).

المبحث الثاني:

خصائص القرآن الكريم

أ: عرض رأي النيسابوري:

أولا: وجوب اتباعه والعمل به:

قال رحمه الله تعالى: " ثم كما أمر الرسول بالتبليغ والإنذار، مع قلب قوي وعزم صحيح، أمر المرسل إليهم، وهم الأمة بالمتابعة، فقال: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ الأعراف: ٣، ومعنى كونه منزلا إليهم: أنهم مخاطبون بذلك مكلفون به، وإلا فهو بالحقيقة منزل على الرسول، قالت العلماء: المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا. عن الحسن: يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله" (١).

ثانيا: تكفل الله بحفظه من الزيادة والنقص والتحريف:

قال رحمه الله " وهاهنا نكتة، هي أنه سبحانه تولى حفظ القرآن، ولم يكله إلى غيره، فبقي محفوظا على مر الدهور، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف" (٢).

ثالثا: العموم والشمول:

قال رحمه الله عن عمومه، في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾الأنعام: ١٩: " أي لأنذركم يا أهل مكة، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم. وقيل: من الثقلين. وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة" (٣).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ١٩٩).

(٢) نفس المصدر (٤ / ٢١٢)..

(٣) نفس المصدر (٣ / ٥٩).

وقال عن شموله، في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨: "«من» مزيدة للاستغراق، أي ما تركنا وما أغفلنا شيئا قط. وقيل: للتبعيض أي ما أهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف إلى معرفته. والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال العالم على التفصيل. وقيل: القرآن لأنه هو الذي تسبق إليه الأذهان فيما بين أهل الإيمان.

... وما من علم إلا وفي القرآن أصله، ومنه شرفه وفضله، كقوله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١، للطب. وقوله: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ الأنعام: ٦٢، للحساب. وكقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩، للأخلاق.

وأما تفاصيل علم الفروع فذكر العلماء أن السنة والإجماع والقياس كلها مستندة إلى الكتاب، كقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧، وكقوله: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١١٥، وكقوله: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ ﴾ الحشر: ٢.

وقيل: إن القرآن واف ببيان جميع الأحكام، لأن الأصل براءة الذمة عن التكاليف كلها، وشغل الذمة لا بد فيه من دليل منفصل، وكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام لم يكن ذلك تكليفا، أو يكون باقيا على أصل الإباحة" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٨٩، "قال الفقهاء: إنما كان القرآن بيان جميع الأحكام لأن الأحكام المستنبطة من السنة والإجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند إلى الكتاب حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته، وورد فيه: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١١٥، وجاء: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ ﴾ الحشر: ٢.

وقال آخرون: إن علم أصول الدين كلها في القرآن. وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمة إلا ما ورد به نص القرآن، فإذن القرآن واف ببيان جميع الأحكام، والقياس ضائع" [(٢)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣ / ٧٦).

(٢) نفس المصدر (٤ / ٢٩٧- ٢٩٨).

ب: الخلاصة:

يرى النيسابوري وجوب اتباع القرآن والعمل به، وأن الله تولى حفظه من الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف، بخلاف الكتب المتقدمة، وأنه عام للثقلين إلى يوم القيامة، وأنه شامل فما من علم إلا وفيه أصله، وفيه أيضا بيان جميع الأحكام، لأن الأحكام المستنبطة من السنة والإجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند إلى الكتاب.

وهو في ذلك كله متفق مع السلف رحمهم الله، والنيسابوري، وجميع المسلمين.

قال ابن أبي العز: " وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَالْإِقْرَارُ به، واتباع مَا فِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ "[(١)].

وقال جمال الدين القاسمي: "وإنما ختمت النبوة به، لأنه شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان وكل مكان. لأن القرآن الكريم لم يدع أمّا من أمهات المصالح إلا جلّاها، ولا مكرمة من أصول الفضائل إلا أحياها. فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام: "وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْأَوَّلِينَ والآخرين مِنْ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وقَوْله تَعَالَى ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ آل عمران: ٨٥، عَامٌّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ"[(٣)].

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٣١٢)، وانظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ٣٩٣).

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٨/ ٨٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٢١٩).

الباب الرابع

الإيمان بالأنبياء والرسل

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: الفرق بين النبي والرسول.

الفصل الثاني: الإيمان بالأنبياء والرسل.

الفصل الثالث: خصائص الأنبياء والرسل.

الفصل الرابع: دلائل النبوة.

الفصل الخامس: تفاضل الأنبياء والرسل.

الفصل الأول:

الفرق بين النبي والرسول

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الحج: ٥٢: "خصص أولا ثم عمم، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، فقد لا يكون معه كتاب بل يؤمر بأن يدعو إلى شريعة من قبله، وقد لا ينزل عليه الملك ظاهرا وإنما يرى الوحي في المنام، أو يخبره بذلك رسول في عصره، ولا بد للكل من المعجزة" [(١)].

ب- الخلاصة:

من خلال عرض رأيه في الفرق بين النبي والرسول يتضح أنه يرى بوجود فرق بينهما، وأن كل منهما منبأ ومأمور بالدعوة والتبليغ، بيد أنه تردد في الفرق بينهما بين ثلاثة إحتمالات، دون ترجيح لأحدها.

فالإحتمال الأول: عنده أن النبي لا ينزل معه كتاب، وإنما يدعو ويقرر شريعة من قبله، وهذا عليه بعض السلف.

قال القاضي عياض: " وَقِيلَ: هُمَا مُفْتَرِقَانِ مِنْ وَجْهٍ، إِذْ قَدِ اجْتَمَعَا فِي النُّبُوَّةِ، الَّتِي هِيَ الِاطِّلَاعُ عَلَى الْغَيْبِ، وَالْإِعْلَامُ بِخَوَاصِّ النُّبُوَّةِ، أَوِ الرِّفْعَةِ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ، وَحَوْزِ دَرَجَتِهَا.

وَافْتَرَقَا فِي زِيَادَةِ الرسالة للرسول، وهو الْأَمْرُ بِالْإِنْذَارِ وَالْإِعْلَامِ ... **وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أنّ الرسول قد جَاءَ بِشَرْعٍ مُبْتَدَأٍ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ رَسُولٍ. وَإِنْ أُمِرَ بِالْإِبْلَاغِ وَالْإِنْذَارِ**" [(٢)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٩٠).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٤٨٨).

وأما الإحتمال الثاني والثالث وهو: أن النبي إنما يوحى إليه في المنام، أو أن النبي يخبره بالنبوة رسول في عصره، فهذان الاحتمالان لا دليل عليهما، فخالف السلف في هذا.

كما أن إحتمالاته خلت مما رجحه شيخ الإسلام إذ قال: " فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول ... وقوله: ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢؛ فذكر إرسالاً يعمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله ... فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلّغه العلماء عن الرسول. وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة ... وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة" [(١)].

فشيخ الإسلام يرى أن كلا من الرسول والنبي مرسل من الله ومنبَأ، كما أن كلا منهما منبِئٌ ومبلغ وداع إلى ما أوحي إليه به.

وإنما الفرق بينهما أن:

الرسول: من أرسل إلى قوم مخالفين لأمر الله، ليدعوهم إلى عبادة وحده لا شريك له؛ سواء أرسل بشريعة وكتاب جديدين، أو سابقين.

والنبي: من أرسل إلى قوم مؤمنين، ليعلمهم ويأمرهم بما يعرفون أنه الحق، وهو يعمل بشريعة من قبله، فالنبي مثل العالم.

فما ذهب إليه شيخ الإسلام في الفرق بين الرسول والنبي، هو الراجح، والله أعلم. ورأي النيسابوري يخالف ذلك .

---

(١) النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤- ٧١٨).

الفصل الثاني:

الإيمان بالأنبياء والرسل

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢: " عن النبي ﷺ أنه سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: « ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا» [(١)] " [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ﴾ غافر: ٧٨: " ذهب بعض المفسرين إلى أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. وقيل: ثمانية آلاف، نصف ذلك من بني إسرائيل والباقي من سائر الناس. ولعل الأصح أن عددهم لا يعلمه الا الله لقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ إبراهيم: ٩، لكن الإيمان بالجميع واجب" [(٣)].

وقال في تفسير قوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٢٨٥ : "وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ ﴾ البقرة: ٢٥٣، بل المراد عدم التفريق في الإيمان بهم، وفي اعتقاد نبوتهم، لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم. والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد ﷺ" [(٤)].

---

(١) مسند أحمد، برقم: ٢٢٢٨٨، ابن حبان، برقم: ٣٦١، المعجم الكبير للطبراني، برقم: ٧٨٧١، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٦٧)، وقال الألباني بعد جمع طرق الحديث: فهو حسن لغيره، والله أعلم. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٣٦٢)، برقم: ٢٦٦٨.

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٩٠).

(٣) نفس المصدر (٦/ ٤٤).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٨٨).

ب- الخلاصة:

من خلال هذا العرض يتضح أن النيسابوري يرى أن عدد الأنبياء والرسل مما لا يعلمه إلا الله، مع إيراده الحديث الذي بين عدد الأنبياء والرسل. ويرى وجوب الإيمان بهم جميعا دون تفريق بينهم.

ورأيه لا يبعد عن رأي السلف، بل هو متوافق مع رأيهم، فمذهب أهل السنة أن الإيمان بالأنبياء والرسل ينقسم إلى قسمين: **الإيمان المجمل**: وهو الإيمان بأن لله رسلا غير من سماهم الله تعالى، لا نعلم عدهم، ولا أسماءهم ، ولا أخبارهم، إلا ما أخبرنا الله عنهم، كما أوضحت ذلك الآيات، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾النساء: ١٦٤.

والإيمان المفصل: وهذا لا بد أن يتحقق من جهتين:

الجهة الأولى: الإقرار الجازم ببعثة من سماهم الله في كتابه -وهم الخمسة والعشرون- وتأييدهم من قبل الله ﷻ لدعوة أممهم، وتصديق ما قص الله علينا من أخبارهم.

الجهة الثانية: الإقرار الجازم بنبينا محمد ﷺ أنه مبعوث ومؤيد من قبل الله ﷻ، وتصديقه فيما أخبر، واتباعه وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وذلك بالعمل بشريعته ﷺ.

قال المروزي(١): " وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَرُسُلِهِ» فَأَنْ تُؤْمِنَ بِمَنْ سَمَّى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ رُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِأَنَّ لِلَّهِ سِوَاهُمْ رُسُلًا وَأَنْبِيَاءَ، لَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، وَتُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِيمَانُكَ بِهِ غَيْرُ إِيمَانِكَ بِسَائِرِ الرُّسُلِ، إِيمَانُكَ بِسَائِرِ الرُّسُلِ إِقْرَارُكَ بِهِمْ، وَإِيمَانُكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِقْرَارُكَ بِهِ وَتَصْدِيقُكَ إِيَّاهُ، وَاتِّبَاعُكَ مَا جَاءَ بِهِ" (٢).

---

(١) هو شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ بنِ الحَجَّاجِ المَرْوَزِيُّ، إمام، حافظ، فقيه، أصولي، محدث، مَوْلِدُهُ: بِبَغْدَادَ سَنَةِ: ٢٠٢هـ، وَمَنْشَؤُهُ بِنَيْسَابُوْرَ، وَمَسْكَنُهُ سَمَرْقَنْدُ، وتوفي بها في محرم سنة: ٢٩٤هـ، من مصنفاته: كتاب القسامة، في الفقه، وتعَظِيْم قدر الصَّلاَة، والسنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٢٥)، معجم المؤلفين (١٢/ ٧٨).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣).

الفصل الثالث

خصائص الأنبياء والرسل

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: خصائص الأنبياء والرسل عامة.

المبحث الثاني: خصائص نبينا محمد ﷺ.

المبحث الأول:

خصائص الأنبياء والرسل عامة

تكلم النيسابوري في تفسيره عن ثلاث من خصائص الأنبياء والرسل، وهي نزول الوحي عليهم، وعصمتهم، وأنه تنام أعينهم دون قلوبهم.

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: الوحي:

قال رحمه الله تعالى: "ثم أمر نبيه ﷺ أن يسلك سبيل التواضع، وهو أن حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية، إلا أنه امتاز بنعت الإيحاء إليه، وكفى به بونا ومباينة"[(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فصلت: ٦: " وتوجيه النظم إني لا أقدر أن أحملكم على الإيمان جبرا، فإني بشر مثلكم، ولا امتياز إلا أني أوحي إليّ التوحيد والأمر به." [(٢)].

ثانيا: العصمة:

١. **العصمة في التحمل:** قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٧٩: " والتحقيق أن الأنبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء، لأن النفس ما لم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوي عليه وللحكم، وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٦٤).

(٢) نفس المصدر (٦/ ٤٨).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٩٥).

وقال في تفسير سورة الأعلى: " وحين أمره بالتسبيح، بشره وشرفه بإيتاء آية باهرة، وهي أن يقرأ عليه جبرائيل ما يقرأ من الوحي الذي هو أشرف أنواع الذكر، فيحفظه لا ينساه، إلا ما شاء الله أن ينساه وهو أحد طريقي النسخ" [(١)].

٢. **العصمة في التبليغ:** قال رحمه الله تعالى: وأما ما يتعلق بالتبليغ فاجتمعت الأمة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا وإلا ارتفع الوثوق" [(٢)].

وقال: " وأما الإيمان بالرسل فإن تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد في أمر **التبليغ** وفي الفتيا وفي الأخلاق وفي الأفعال" [(٣)].

٣. **العصمة من ارتكاب الذنوب:** قال رحمه الله تعالى: " واعلم أن الناس اختلفوا في عصمة الأنبياء عليهم السلام ... وأما المتعلق بأفعالهم ... المختار أنهم لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة" [(٤)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤: "وفي الآية دليل على أنه ﷺ كان معصوما عن جميع الذنوب، لأنه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به، وذلك يؤدي إلى كون الفعل الواحد ممنوعا منه مندوبا إليه وذلك محال" [(٥)].

وقال في تفسير: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾النساء: ٦٤: "وفيها دلالة على أن الرسل معصومون عن المعاصي وإلا لم يجب اتباعهم في جميع أقوالهم وأفعالهم" [(٦)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٨٤).
(٢) نفس المصدر (١/ ٢٥٦).
(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٨٨).
(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٥٦– ٢٥٨).
(٥) نفس المصدر (١/ ٣٨٧).
(٦) نفس المصدر (٢/ ٤٣٩).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾المائدة: ٤٩: " قال بعض أهل العلم: في الآية دليل على أن الخطأ والنسيان جائزان على النبي ﷺ، لأن التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق إلّا الخطأ والنسيان فلو لم يكونا جائزين أيضا لم يكن للحذر فائدة" (١).

وقال: " ومن عقائد أهل السنة أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر" (٢).

ثالثا: تنام أعينهم دون قلوبهم:

قال رحمه الله تعالى: " هذا نوع آخر من قبائح أفعال اليهود، والسبب في نزوله أنه ﷺ لما قدم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من أحبار فدك فقال: يا محمد، كيف نومك؟ فقد أُخبرنا عن نوم النبي ﷺ الذي يجيء في آخر الزمان، فقال ﷺ: «تنام عيناي ولا ينام قلبي». قال: صدقت يا محمد (٣)" (٤).

ب- الخلاصة:

يرى النيسابوري أن من خصائص الأنبياء والمرسلين دون سائر البشر: الوحي، وأنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، وكذلك العصمة في: التحمل، والتبليغ، وارتكاب الكبائر من الذنوب.

فيرى أنهم معصومون في التحمل فلا ينسون شيئا مما يوحى إليهم، إلا شيئا قد نسخ، فينساه بسبب نسخه، فنسيانه دليل النسخ. ومعصومون في التبليغ، فلا يكذبون ولا يكتمون.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٦٠١).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٨٣).

(٣) لم أعثر على الحديث بهذا القصة، لكن لفظه ورد في حديث آخر، في صحيح ابن خزيمة، برقم: ٤٨. وصححه الألباني في السلسة الصحسحة، (٢/ ٣١٠)، برقم: ٦٩٦. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»، خرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره، برقم: ١١٤٧. ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي، (١/٥٠٩)، برقم: ٢٥-(٧٣٨).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٣٤١).

قال شيخ الإسلام: "فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا هُوَ مَقْصُودُ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَخَبَرَهُ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، بِحَيْثُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْخَطَأِ" (١).

كما يرى النيسابوري أن الأنبياء والرسل معصومون حال النبوة من الكبائر والصغائر، إلا على سبيل الخطأ والنسيان والسهو، فإنه يرى أنه يجوز أن تصدر منهم صغائر الذنوب بطريق الخطأ أو النسيان.

فبالربط بين أقواله والجمع بينها، يحمل قوله بعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، بالْعِصْمَةِ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ مُطْلَقًا، ولكن قد تقع منهم بعض الصغائر عن طريق الخطأ والسهو، ثم يوفقون للتوبة منها دون تراخٍ أو تأخير، كما قال السلف.

فمذهب أهل السنة أن الأنبياء والرسل معصومون من الكبائر، كالزنى، والسرقة، ونحو ذلك، أما الصغائر فالراجح أنها قد تقع منهم بطريق الخطأ أو النسيان، غير أنهم لا يُقَرُّون عليها، ويوفقون للتوبة منها دون تأخير. واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ طه: ١٢١ – ١٢٢.

فآدم عليه السلام عصى بمخالفته أمر ربه بالأكل من تلك الشجرة، وقد منع من ذلك، لكنه سرعان ما انتبه فتاب واستغفر، فقبل الله توبته، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧ .

وفي حق نبينا ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ التوبة: ٤٣، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ التحريم: ١، وقال: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ عبس: ١ – ٢. ففي كل هذه الحوادث عاتب الله نبيه ﷺ على ما بدر منه، فدل على جواز وقوع الصغائر منهم.

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٤٧٠).

قال ابن عبد البر: " وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُكَفَّرْ عَنْهُ إِلَّا الصَّغَائِرُ مِنَ الذُّنُوبِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ قَطُّ كَبِيرَةً، لَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ" (1).

وجاء في فتح الباري: " وَالْأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ" (2).

قال شيخ الإسلام: "الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ الْكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ، هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، وَجَمِيعِ الطَّوَائِفِ، حَتَّى إِنَّهُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ، كَمَا ذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ الآمدي: (أَنَّ هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْأَشْعَرِيَّةِ، وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ، بَلْ هُوَ لَمْ يَنْقُلْ عَنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ)" (3).

وقال: " هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُقَرُّونَ عَلَى خَطَأٍ فِي الدِّينِ أَصْلًا، وَلَا عَلَى فُسُوقٍ، وَلَا كَذِبٍ، فَفِي الْجُمْلَةِ كُلُّ مَا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِمْ وَتَبْلِيغِهِمْ عَنِ اللَّهِ فَهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَنْزِيهِهِمْ عَنْهُ. وَعَامَّةُ الْجُمْهُورِ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ عَلَيْهِمُ الصَّغَائِرَ يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الْإِقْرَارِ عَلَيْهَا، فَلَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ" (4).

وقال: " وَالْقَوْلُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ النَّاسِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلْآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنْ السَّلَفِ: إِثْبَاتُ الْعِصْمَةِ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ مُطْلَقًا، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ يَجُوزُ إِقْرَارُهُمْ عَلَيْهَا، وَحُجَجُ الْقَائِلِينَ بِالْعِصْمَةِ إِذَا حُرِّرَتْ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ" (5).

* * * * * * * * * * * * * * *

---

(1) التمهيد (٣/ ٢٦٦)، وانظر: الاستذكار (٢/ ٤٩٦).

(2) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩).

(3) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).

(4) منهاج السنة النبوية (١/ ٤٧٢).

(5) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩٣).

المبحث الثاني:

خصائص نبينا محمد ﷺ

أ- عرض رأي النيسابوري:

أورد النيسابوري في معرض تعداد فضائله ﷺ، حديثين في فضله عليه الصلاة والسلام، وهي من خصائصه كذلك، فقال رحمه الله: " وأما الأحاديث في هذا الباب، فعن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه. قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم فقال بعضهم لبعض: عجبا إن الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا، واتخذ إبراهيم خليلا. وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه تكليما. وقال آخر: ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته. فسلم رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وأن موسى نجيّ الله وهو كذلك، وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك، وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول شفيع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرّك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر» [(١)].

---

(١) الترمذي: كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، برقم: ٣٦١٦. وضعفه الألباني. لكن يشهد له حديث أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»، رواه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (١٧٨٢/٤)، برقم: ٣-(٢٢٧٨). وحديث أبي سعيد ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»، رواه ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، برقم: ٤٣٠٨، والترمذي: كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، برقم: ٣٦١٥. وصححه الألباني فيهما.

وفي الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة وطهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة» [1]" [2].

وقال: "ثم أراد أن يحقق عموم رسالته إلى المكلفين فقال: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨، وانتصابه على الحال من إِلَيْكُمْ، وفيه دليل على أن محمدا ﷺ وآله مبعوث إلى الخلق كافة ...

وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي أرسلت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وختم بي النبيون» [3].

ورد بأن مجموع هذه الأمور من خواصه لا كل واحد واحد، وبأن آدم بعث إلى كل أولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا إلى كل الناس وقتئذ.

ولا يخفى ضعف هذا الرد، لأنا نعلم من دين محمد أنه خاتم النبيين وحده، في رواية أخرى: «وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي»، وإذا كان بعض هذه الأمور من خواصه لزم أن يكون كل واحد منها كذلك. وأيضا أن آدم لم يكن مبعوثا إلى حواء، لأنها عرفت التكليف لا بواسطة آدم، بدليل ولا تقربا" [4].

---

(١) البخاري: كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: " جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، برقم: ٤٣٨.
مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بدون باب ، (١/ ٣٧٠)، برقم: ٣-(٥٢١).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤-٥).

(٣) مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بدون باب ، (١/ ٣٧١)، برقم: ٥-(٥٢٣).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٣٠-٣٣١).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾الأنعام: ١٩: " أي لأنذركم يا أهل مكة وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم. وقيل: من الثقلين. وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة" [١].

ب- الخلاصة:

يتضح من خلال هذا العرض أن النيسابوري يرى أن من خصائص نبينا محمد ﷺ، أنه نصر بالرعب مسيرة شهر. وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمته أدركته الصلاة فليصل. وأحلت له الغنائم، ولم تحل لأحد قبله من الأنبياء. وأكرمه الله بالشفاعة الكبرى يوم القيامة. وأنه ﷺ أعطي جوامع الكلم.

كما يرى أن من خصائصه كذلك أنه خاتم النبيين. ويقول بعموم رسالته ﷺ وهو أنه بعث إلى الناس كافة، إلى كل أحمر وأسود، وإلى العرب والعجم، وإلى الثقلين الإنس والجن، إلى يوم القيامة.

وهذا كله مما لا خلاف فيه مع السلف رضوان الله عليهم أجمعين، فلله الحمد أولا وآخرا.

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٩).

الفصل الرابع:

دلائل النبوة

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: المعجزة:

قال رحمه الله تعالى: "وهذا جواب آخر برهاني، وذلك أن طريق معرفة نبوة الأنبياء ظهور المعجز على أيديهم، ولما ظهر المعجز على يد محمد ﷺ، وجب الاعتراف بنبوته، والإيمان به وبما أنزل عليه، كما اعترفوا بنبوة إبراهيم وموسى وعيسى، فإن تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب المناقضة في الدليل" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الأعراف: ١٠٣: " في قوله: ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ دلالة على كثرة معجزاته، وأن النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ الأعراف: ١١٢ " وفي الآية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان، ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر، وإن كانت مخالفة في الحقيقة، كما أن الطب لما كان غالبا على أهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس ذلك، كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وكانت الفصاحة والبلاغة غالبة في عصر نبينا ﷺ فلا جرم كانت معجزته العظمى وهي القرآن من جنس الفصاحة" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤١٣).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٢٩٥).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٢٩٩).

ثانيا: الإخبار بالمغيبات الماضية والمستقبلية:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٥: " ثم في الآية فوائد منها: ... ومنها لما أخبر محمد ﷺ عن هذه القصة مع كونه أميا، تبين أن ذلك من الوحي" [(١)].

وقال: " فمن المعلوم بالضرورة من أحوال عيسى أنه ما كان عالما بجميع المعلومات. فعدم إحاطته بجميع الأشياء فيه دلالة قاطعة على أنه ليس بإله، ولكن إحاطته ببعض المغيبات لا تدل على كونه إلها لاحتمال أنه علم ذلك بالوحي أو الإلهام" [(٢)].

وقال: "وفي قوله: ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ آل عمران: ١٢، وقد وقع كما أخبر، إخبار عن الغيب، فيكون معجزا دالا على صدق النبي ﷺ " [(٣)].

وقال: " قيل: إنه كان من أول أمره يخبر بالغيوب. واعلم أن الإخبار عما غاب معجز، دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحي"[(٤)].

ثالثا: بشارة الأنبياء السابقين باللاحقين:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ البقرة: ٤١: " وفيه تفسيران: ... **والثاني** أنه حصلت البشارة بمحمد ﷺ وبالقرآن في التوراة والإنجيل، فكان الإيمان بمحمد والقرآن تصديقا للتوراة والإنجيل، والتكذيب بمحمد ﷺ والقرآن تكذيبا لهما، وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد ﷺ من جهة أن شهادة كتب الأنبياء لا تكون إلا حقا، ومن جهة أنه ﷺ أخبر عن كتبهم ولم يكن له ﷺ معرفة بذلك الأمر قبل الوحي" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٩١-٢٩٢).
(٢) نفس المصدر (٢/ ١٠٣).
(٣) نفس المصدر (٢/ ١٢٠).
(٤) نفس المصدر (٢/ ١٦٦).
(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٧٢).

رابعا: طبيعة دعوة الرسل واتفاقهم عليها:

حيث قال رحمه الله تعالى: "واعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء بأمور **أحدها**: إظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه ... **والثاني**: أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو، فكل من جاء ودعا الخلق إلى ذلك، وادعى الرسالة، وكان لنفسه قوّة تكميل الناقصين، غلب على ظننا أنه النبي الحق، فأشار سبحانه إلى هذا الطريق بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يونس: ٥٧، الآية.

ثم أشار إلى طريق ثالث في إثبات النبوة فقال: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾ يونس: ٥٩، الآية. وتقريره أنكم تحكمون بحل بعض الأشياء وبحرمة بعضها، فإن كان هذا لمجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق، لأدائه إلى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الأهواء، وإن كان لأنه حكم الله فيكم، فبم عرفتم ذلك، فإن كان بقول رسول أرسله إليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة، وإلا كان افتراء على الله" (١).

ب- الخلاصة:

من خلال هذا العرض يتضح أن النيسابوري يرى أن طريق معرفة نبوة الأنبياء ظهور المعجز على أيديهم، لأنه طريق العلم بصدقهم. لكنه يرى أنه ليس الطريق الوحيد لمعرفة صدق النبي، وإنما هناك طرق أخرى، ك: الإخبار عن المغيبات، وبشارة الأنبياء السابقين باللاحقين، وطبيعة ما يدعو إليه النبي، وهو الدعوة إلى الحق، والعمل الصالح، واتفاق الرسل على ذلك، والحكم بحل بعض الأشياء وبحرمة بعضها، لأنه لا بد أن يخبرهم بذلك رسول من الله عن الله.

إذاً النيسابوري يتفق مع السلف في إثبات دلائل النبوة، وأنها ليست قاصرة على المعجزة فقط، وهو مسلك محمود، نسأل الله أن يرفع درجته في عليين، وإيانا وجميع المسلمين.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٥٩٠).

الفصل الخامس:

تفاضل الأنبياء والرسل

أ- عرض رأي النيسابوري:

١. الأنبياء والرسل أفضل البشر، وهم متفاضلون فيما بينهم:

قال رحمه الله: "وأن تعلم أن النبي ﷺ **أفضل ممن ليس بنبي**، خلافا لبعض الصوفية، وأن بعض الأنبياء أفضل من بعض، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾البقرة: ٢٥٣" [١].

وقال : "كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمدا أفضل من سائر الأنبياء، فكذا انعقد الإجماع بينهم قبل ظهور هذا الإنسان على أن **النبي أفضل ممن ليس بنبي**" [٢].

٢. الرسل أفضل من الأنبياء:

حيث قال: " واعلم أن الأمة أجمعت على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمدا أفضل الكل" [٣].

وقال: " أما قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾البقرة: ٢٥٣، فقيل: المراد بيان أن الرسل مراتبهم متفاوتة، فاتخذ إبراهيم خليلا، وأعطى داود الملك والنبوة، وسخر لسليمان الجن والإنس والطير والريح. وخصّ يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة إلى النسوان، وخصّ محمدا ﷺ بالبعث إلى الثقلين، وكونه خاتم النبيين، إلى سائر خصائصه" [٤].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٨٨).

(٢) نفس المصدر (٢/ ١٧٩).

(٣) نفس المصدر (٢/ ٤).

(٤) نفس المصدر (٢/ ٧).

٣. أفضل الرسل أولو العزم منهم:

حيث قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾الأحزاب: ٧: " أي اذكر وقت أخذنا في الأزل مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ، بتبليغ الرسالة، والدعاء إلى الدين القويم، من غير تفريط وتوان. وقد خصص بالذكر خمسة لفضلهم، وقدم نبينا ﷺ لأفضليته" [(١)].

٤. أفضل أولي العزم من الرسل هو محمد ﷺ:

قال النيسابوري: " واعلم أن الأمة أجمعت على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمدا أفضل الكل "[(٢)].

وقال: " انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمدا أفضل من سائر الأنبياء" [(٣)].

ب- الخلاصة:

يتضح من خلال العرض السابق أن النيسابوري لا يختلف رأيه في تفاضل الأنبياء والرسل مع رأي أهل السنة، فإنه يرى أن الأنبياء أفضل البشر، والرسل أفضل من الأنبياء، وأن أولو العزم منهم أفضلهم، وأن محمدا ﷺ أفضلهم على الإطلاق. فكان رأيه سديدا في هذه المسألة فرحمه الله تعالى، وجميع المسلمين.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/ ٤٤٨- ٤٤٩).

(٢) نفس المصدر (٢/ ٤-٥).

(٣) نفس المصدر (٢/ ١٧٩).

الباب الخامس

الإيمان باليوم الآخر

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد: أهمية الإيمان باليوم الآخر

الفصل الأول: القبر: سؤاله وعذابه ونعيمه.

الفصل الثاني: أشراط الساعة.

الفصل الثالث: أحوال يوم القيامة.

الفصل الرابع: الجنة والنار.

التمهيد:

أهمية الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الاخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت [(١)].

وهو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة، فلا يكتمل إيمان المرء إلا به، فهو عقيدة من عقائد الإسلام الأساسية، فإن قضية البعث والنشر بعد الموت، والحشر للعرض والحساب، ومن ثم الجزاء بالجنة والنار، هي التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد وحدانية الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا** ﴾ النساء: ١٣٦.

وفي حديث جبريل عليه السلام: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» [(٢)].

والإيمان بأحول اليوم الآخر وعلاماته من الإيمان بالغيب الذي لا يدركه العقل، ولا سبيل لمعرفته إلا بالنص الشرعي، ولذلك كان الإيمان بها من صفات المتقين قال تعالى: ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ البقرة: ٢ – ٤.

---

(١) العقيدة الواسطية (ص: ٩٥).

(٢) البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، برقم: ٥٠.

مسلم: كتاب الإيمان، باب لإيمان والإسلام والإحسان، (١/٣٦)، برقم: ١-(٨).

ولأهمية الإيمان به، نجد أن الله تعالى كثيرا ما يربط الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر، كقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ البقرة: ١٧٧. وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء: ٥٩. وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق: ٢.

ومما يدل على أهيته أن الله ﷻ جعل الإيمان باليوم الآخر من أسباب الهداية والإيمان، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ التوبة: ١٨.

فإن الله ﷻ أخبر أن سبب كفر الكافرين، وعدم هدايتهم وإيمانهم أنهم كانوا لا يرجون البعث والحساب بعد الموت، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ النبأ: ٢٧.

كما جعله سبحانه من أسباب نيل الأجر العظيم، ومن أسباب الأمن وعدم الخوف يوم الفزع الكبر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٦٢. وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ١٦٢.

ومن أهمية الإيمان باليوم الآخر، أنه يُقَوِّم ويضبط سلوك المؤمن، ويوجهه للإيمان والصبر، والعمل الصالح، وحسن الخلق، والبعد عن كل ما يسخط الله، فليس هناك قانون يجعل سلوك البشر سويا مستقيما كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالى في وعيد وتخويف المطففين في الكيل: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ .يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المطففين: ٤ – ٦ .

ومما يدل على أهمية الإيمان باليوم الآخر، كثرة ذكره في القرآن بأسماء متعددة، منها:

١. **يوم القيامة**: قال تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ البقرة: ١١٣.

٢. **يوم الدين**: قال تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤.

٣. **يوم الحسرة**: قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ ﴾ مريم: ٣٩.

٤. **يوم البعث**: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الروم: ٥٦.

٥. **يوم الحساب**: قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ص: ١٦.

٦. **يوم التلاق**: قال تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ غافر: ١٥.

٧. **يوم التناد**: قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ غافر: ٣٢.

٨. **يوم الفصل**: قال تعالى: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ الدخان: ٤٠.

٩. **يوم الوعيد**: قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴾ ق: ٢٠.

١٠. **يوم الخلود**: قال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾ ق: ٣٤.

١١. **يوم الخروج**: قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾ ق: ٤٢.

١٢. **يوم الجمع**: قال تعالى: ﴿ وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ الشورى: ٧.

١٣. **ويوم التغابن**: قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ التغابن: ٩.

١٤. **الدار الآخرة**: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ ﴾ العنكبوت: ٦٤.

١٥. **دار القرار**: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾ غافر: ٣٩.

١٦. **الساعة**: قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ الأعراف: ١٨٧.

١٧. **الآزفة**: قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ ﴾ غافر: ١٨.

١٨. **الواقعة**: قال تعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴾ الواقعة: ١.

١٩. **الحاقة**: قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ . مَا ٱلۡحَآقَّةُ . وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ الحاقة: ١ - ٣.

٢٠. **الطامة:** قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ النازعات: ٣٤.

٢١. **الصاخة:** قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ عبس: ٣٣.

٢٢. **الغاشية:** قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾ الغاشية: ١.

٢٣. **القارعة:** قال تعالى: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ . مَا ٱلۡقَارِعَةُ . وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ القارعة: ١ - ٣.

هذا غيض من فيض مما يدل على أهمية الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أموراً، منها:

أ- الإيمان بما يكون قبله، ك: سؤال القبر وعذابه ونعيمه، وأشراط الساعة.

ب- الإيمان بأحوال يوم القيامة، ومن أهمها:

١. النفخ في الصور.

٢. البعث والنشور والحشر.

٣. العرض والحساب ونشر الكتب.

٤. الميزان.

٥. الحوض.

٦. الصراط.

٧. الشفاعة.

ج- الإيمان بالجنة والنار.

وسيكون الكلام في هذا الفصل عن هذه الأمور، بإذن الله تعالى.

* * * * * * * * * * * * * * *

الفصل الأول:

القبر: سؤاله وعذابه ونعيمه

قال رحمه الله تعالى: " ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ آل عمران: ١٤٤، فيه أن الإيمان التقليدي لا اعتبار له، فينقلب المقلد عن إيمانه عند إعدام المقلد من الوالدين أو الأستاذ، وكذا عند موت المقلد، فيعجز عند **سؤال الملكين** في قولهما له من ربك؟ فيقول: هاه لا أدري. فيقولون: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هاه لا أدري كنت أقول فيه ما قال الناس. فيقولان له: لا دريت ولا تليت" [(١)].

وقال في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ غافر: ٤٦:" إما للدوام كما مر في صفة أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ٦٢، وإما لأنه اكتفى في القبر بإيصال العذاب إليهم في هذين الوقتين. وفي سائر الأوقات إما أن يبقى أثر ذلك وألمه عليهم، وإما أن يكون فترة، وإما أن يعذبوا بنوع آخر من العذاب، الله أعلم بحالهم. وفي الآية دلالة ظاهرة على إثبات عذاب القبر لأن تعذيب يوم القيامة يجيء في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ غافر: ٤٦" [(٢)].

الخلاصة: أثبت النيسابوري سؤال القبر وعذابه ونعيمه، وقد أثبت ذلك أهل السنة، قال ابن أبي العز: "وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِهِ، إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ، لِكَوْنِهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ" [(٣)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٢٧٦).

(٢) نفس المصدر (٦ / ٣٨).

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٣٩٥).

الفصل الثاني:

أشراط الساعة

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: أشراط الساعة الصغرى: فذكر اثنتين من علامات الساعة الصغرى، هما:

١. مبعث النبي ﷺ:

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله ﷻ: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾محمد: ١٨ : "وقوله: ﴿أَن تَأْتِيَهُم ﴾ بدل اشتمال من السَّاعَةَ، وأشراط الساعة إماراتها، من انشقاق القمر وغيره. ومنه مبعث محمد ﷺ، فإنه نبي آخر الزمان، ولهذا قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسبابة والوسطى[(١)] "[(٢)].

وقال: " ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ النازعات: ٤٣، أي إرسالك وأنت آخر الرسل، وخاتم الأنبياء، ذكر من أذكارها وعلامة من علاماتها"[(٣)].

٢. انشقاق القمر:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾النمل: ٩٣: "وعن الكلبي: هي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات في الدنيا"[(٤)].

---

(١) البخاري: كتاب الطلاق، باب اللعان، برقم: ٥٣٠١.

مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/٥٩٢)، برقم: ٤٣-(٨٦٧).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ١٣٣).

(٣) نفس المصدر (٦ / ٤٤٤).

(٤) نفس المصدر (٥ / ٣٢٤).

وقال "وقوله: ﴿أَن تَأۡتِيَهُم﴾ محمد: ١٨، بدل اشتمال من السَّاعَةَ، وأشراط الساعة إماراتها، من انشقاق القمر وغيره"[1].

وقال في تفسير أول سورة القمر: " أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ﴾ النجم: ٥٧، إلا أنه ذكر هاهنا دليلا على الاقتراب وهو قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ القمر: ١، في الصحيحين عن أنس أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية، فانشق القمر مرتين[2]"[3].

ثانيا: أشراط الساعة الكبرى:

قال رحمه الله تعال: " ثم قال: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾الأنعام: ١٥٨، وأجمعوا على أن المراد بهذه الآيات علامات القيامة.

عن البراء بن عازب قال: كنا نتذاكر أمر الساعة إذ أشرف النبي صلى الله عليه وآله فقال: «أتتذاكرون الساعة؟ إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفا بالمشرق، وخسفا بالمغرب، وخسفا بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونارا تخرج من عدن»[4]"[5].

وقال: "ثم بين مآل حال عيسى عليه السلام بقوله: وَإِنَّهُ، يعني: عيسى، ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ الزخرف: ٦١، لعلامة من علامات القيامة"[6].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ١٣٣).

(٢) البخاري: كتاب التفسير، باب وانشق القمر، برقم: ٤٨٦٨. ولفظه: فرقتين، بدل مرتين. وبرقم: ٣٨٦٨، بلفظ: شقتين.

مسلم: كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر،(٤/٢١٥٩)، برقم: ٤٦-(٢٨٠٢). ورد باللفظين، في روايتين.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦ / ٢١٦).

(٤) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٤/٢٢٢٦)، برقم: ٤٠-(٢٩٠١)، برواية حذيفة بن أسيد الغفاري، وليس البراء بن عازب.

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٩١)، وانظر: (٦ / ١٠٤).

(٦) نفس المصدر (٦/ ٩٧).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ آل عمران: ٥٥: " والمعنى: إني رافعك إلي ومتوفيك بعد إنزالك إلى الدنيا. ويؤيده ما ورد في الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال، ثم إنه تعالى يتوفاه بعد ذلك" [١].

وقال: " ثم شرع سبحانه في بقية أخبارهم[٢] فقال: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ ﴾ الكهف: ٩٩، أي حين **يخرجون مما وراء السد** مزدحمين في البلاد. ويروى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه، ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به، ممن لم يتحصن منهم من الناس، ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس. ثم يبعث الله نغفاً، وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون" [٣].

ب- الخلاصة:

ما ذهب إليه النيسابوري من إثبات أشراط الساعة العشرة الكبرى، وإثبات العلامات الصغرى، كمبعث النبي ﷺ، وانشقاق القمر في عهده، موافق لما عليه أهل السنة رضوان الله عليهم، فرحمه الله تعالى، وجعل الفردوس مثوانا ومثواه.

قال القرطبي: " وقد ذكر الله الأشراط في القرآن فقال: ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ محمد: ١٨، أي دنت، وأولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بيني وبين القيامة نبي" [٤].

قال ابن كثير: " وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ العلماء، أن انْشِقَاقُ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ" [٥].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٧١).

(٢) أي: يأجوج ومأجوج.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٦٢).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ١٢١٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٧).

الفصل الثالث:

أحوال يوم القيامة

أولا: النفخ في الصور:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ الأنعام: ٧٣: "والصور باتفاق أكثر أهل الإسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة" [(١)].

وقال: " ونفخ الصور من آيات القيامة " [(٢)]. و" الظاهر أن نفخ الصور مرتان، وبعضهم روى أنه ثلاث نفخات: الأولى للفزع كما جاء في «النمل»، والثانية للموت وهو معنى الصعق، والثالثة للإعادة. والأظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه إثبات نفختين" [(٣)].

الخلاصة: يرى النيسابوري أن النفخ في الصور من آيات القيامة، ويرجح أن النفخات اثنتان، الأولى: للموت والصعق، والثانية: للإعادة. وما ذهب إليه لا يخرج عما ذهب إليه أهل السنة، قال ابن عثيمين: " وهما نفختان إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله، والثانية نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم" [(٤)].

وذهب جمع من العلماء، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أنها ثلاث نفخات، قال شيخ الإسلام: "وَالْقُرْآنُ قَدْ أَخْبَرَ بِثَلَاثِ نَفَخَاتٍ: نَفْخَةِ الْفَزَعِ ... وَنَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَالْقِيَامِ"[(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٠٠).

(٢) نفس المصدر (٤/ ٤٦٢).

(٣) نفس المصدر (٦/ ١٥).

(٤) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص: ١١٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠)، و (١٦/ ٣٥).

ثانيا: البعث والنشور والحشر:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ آل عمران: ١٢: " وفيها دليل على صحة البعث والحشر بإخبار الصادق"[١].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨: " واعلم أن هذه الآية دالة على أمور: ... ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر ... لأن الإعادة أهون من الإبداء" [٢].

وقال: "﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ يونس: ٤، وهو استئناف فيه معنى التعليل، كأنه قال: إن الذي قدر على الإبداء يقدر على الإعادة بالطريق الأولى، كقوله: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الواقعة: ٦١، يعني أنه سبحانه لما كان قادرا على إنشاء ذواتكم أوّلا، ثم على إنشاء أجزائكم حال حياتكم ثانيا شيئا فشيئا، من غير أن تكونوا عالمين بوقت حدوثه، وبوقت نموّه، وجب القطع بأنه لا يمتنع عليه إعادة تلك الأجزاء بعد البلى والتفرق" [٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ الأنبياء: ١٠٤: "أي نعيد أول الخلق كما بدأناه، تشبيها للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء. فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم" [٤].

الخلاصة: يرى النيسابوري وجوب الإيمان بالبعث، لأن القادر على الإنشاء أولا، وعلى إنشاء أجزاء الإنسان شيئا فشيئا ثانيا، قادر على إعادة تلك الأجزاء بعد البلى والتفرق، بل الإعادة أهون. وما ذهب إليه موفق وسديد.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ١٢٠).

(٢) نفس المصدر (١ / ٢٠٩).

(٣) نفس المصدر (٣ / ٥٥٦).

(٤) نفس المصدر (٥ / ٥٧)، وانظر: (٤ / ٥٠١)، (٥ / ٦٥)، (٥ / ٣٧٩)، (٥ / ٥٤٧- ٥٤٨)، (١ / ١٦٦).

ثالثا: العرض والحساب ونشر الكتب:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعال: ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ البقرة: ٤: " وفي تقديم الآخرة وبناء «يوقنون» على «هم» تعريض بأهل الكتاب، وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، ومن غير إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل على محمد، وعلى غيره من الأنبياء، وهذا في معرض المدح، ومعلوم أنه لا يمدح بتيقن وجود الآخرة فقط، **بل به وبما يتبعه** من الحساب والسؤال وإدخال المؤمنين الجنة والكافرين النار" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٣٨: " وهذا يدل على أن المكلف الذي أطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت، ولا في القبر، ولا عند البعث، **ولا عند حضور الموقف**، ولا عند تطاير الكتب، ولا عند نصب الميزان، ولا عند الصراط، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فصلت: ٣٠" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ الحاقة: ١٣: " وحين فرغ من بيان القدرة والحكمة، عاد إلى ما انجر منه الكلام، وهو حديث الحاقة، والنفخة الواحدة، عن ابن عباس أنها الأولى التي عندها خراب العالم، وفي رواية عنه أنها الثانية، لقوله بعد ذلك: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٨، **والعرض** عند الثانية" [(٣)].

وقال" وعن النبي ﷺ أنه قال: «من يحاسب يعذب»، فقيل: يا رسول الله: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ الانشقاق: ٨، قال: «ذلكم العرض، من نوقش في الحساب عذب» [(٤)]" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٤٧).

(٢) نفس المصدر (١ / ١٦٦).

(٣) نفس المصدر (٦/ ٣٤٧).

(٤) البخاري: كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم: ٦٥٣٦.

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٦٩)، وانظر: (٦/ ٤٩٢).

رأيه في نشر الكتب والدواوين:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ الأنعام: ٦١: " قالت العلماء: من فوائد هذه الكتبة أن المكلف إذا علم أن الملائكة الموكلين عليه يكتبون أعماله في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك زجرا له عن القبائح" [١].

وقال في قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ الجاثية: ٢٨: "يريد كتاب الحفظة ليقرؤه" [٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ الإسراء: ١٤: "وروي أن يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته، وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها، وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرؤها، حتى إذا ظن أنها قد أوبقته، قال الله تعالى له: فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك، فيعظم سروره، ويصير من الذين قال الله في حقهم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ عبس: ٣٨ - ٣٩ " [٣].

وقال: " وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ الحديد: ١٢، لأن ذلك جعل إمارة النجاة، ولهذا ورد أن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم" [٤].

الخلاصة:

قرر النيسابوري وجوب الإيمان بالحساب والعرض ونشر الكتب والدواوين، ضمن الإيمان باليوم الآخر، فلا خلاف مع أهل السنة في ذلك.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٩٤).

(٢) نفس المصدر (٦/ ١١٤).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٣٣١).

(٤) نفس المصدر (٦/ ٢٥٤).

رابعا: الميزان:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الأعراف: ٨، ثم بيّن أن من جملة أحوال يوم القيامة وزن الأعمال ... وفي كيفية الميزان قولان: الأول ما جاء في الخبر «إنه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها» .

كيف توزن فيه وجهان: أحدهما أن المؤمن تتصوّر أعماله بصور حسنة وأعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس. وثانيهما أن الوزن يعود إلى الصحف التي تكون فيها أعمال العباد ... وعن عبد الله بن عمر[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع في الآخرة فترجح**»[(٢)]"[(٣)] .

الخلاصة: أثبت النيسابوري الميزان، ووزن الأعمال، من جملة أحوال يوم القيامة، ومن رأيه أن الموزون هو: الصحف، أو صور الأعمال.

بينما يرى أهل السنة أن العامل نفسه قد يوزن، قال ابن عثيمين: " ولكن عند التأمل نجد أن اكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه"[(٤)] .

وقال ابن أبي العز: " فَثَبَتَ وَزْنُ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ"[(٥)] .

---

(١) كذا في الأصل: عمر، ولعله: عمرو، وهو ابن العاص، كما في سنن الترمذي وابن ماجة، والله أعلم.

(٢) الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم: ٢٦٣٩.

ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم: ٤٣٠٠. وصححه الألباني فيهما.

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٢٠٢).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٤٣/٢).

(٥) شرح الطحاوية (ص: ٤١٩).

خامسا: الصراط:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦: " وفي اختيار لفظ الصراط دون الطريق أو السبيل، تذكير للصراط الذي هو الجسر الممدود بين طرفي جهنم، سهل الله تعالى علينا عبوره وروده" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ البلد: ١١: " وعن مجاهد والضحاك: هي الصراط يضرب على متن جهنم" [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مريم: ٧١: " وعن ابن مسعود والحسن وقتادة: هو الجواز على الصراط لأن الصراط ممدود عليها" [(٣)].

وقال: "﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٧٩، إنه تعالى سلم على نوح الروح، لأنه يحتاج إلى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم، الذي هو أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، ولهذا يكون دعوة الرسل حينئذ رب «سلم سلم»" [(٤)].

الخلاصة:

أثبت النيسابوري الصراط جسرا ممدودا يُضرب على متن جهنم، يرِدُه الخلائق ويعبرونه. وما قرره موافق لما عليه أهل السنة، فالحمد لله رب العالمين.

قال الأشعري: "وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١١٠).
(٢) نفس المصدر (٦ / ٥٠٣).
(٣) نفس المصدر (٤ / ٥٠٣).
(٤) نفس المصدر (٥ / ٥٦٥).
(٥) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٦٣).

سادسا: الشفاعة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ البقرة: ٤٨: " ثم إن الأمة أجمعت على أن لمحمد ﷺ رتبة الشفاعة في الآخرة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ الإسراء: ٧٩، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ الضحى: ٥" [(١)].

"وفي الصحيحين عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود . . . وأعطيت الشفاعة» [(٢)]" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٥٤: " ثم إنه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله: ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ليدلّ على أن ذلك النفي مختص بالكافرين، وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفسّاق" [(٤)].

وقال: " ثم قال: ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٤٥، احتجوا بهذا على إثبات الشفاعة في حق الفساق من أهل القبلة، لأنه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق، فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق، لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث إنه نفاق" [(٥)].

وقال: " أي لا تنفع الشفاعة، إلا شفاعة من أذن له الرحمن وَرَضِيَ لَهُ، أي لأجله قَوْلًا" [(٦)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٨٠).

(٢) البخاري: كتاب التيمم، باب ١، برقم: ٣٣٦. وكتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا، برقم: ٤٣٨. مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (١/٣٧٠)، برقم: ٣-(٥٢١).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٥).

(٤) نفس المصدر (٢/ ٩).

(٥) نفس المصدر (٢/ ٥٢٠).

(٦) نفس المصدر (٤/ ٥٧٢).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ النجم: ٢٦: " ثم بين أن الشفاعة عند الله لا تكون إلا برضاه ... وقوله ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾، أي لمن يريد الشفاعة له، ﴿ وَيَرْضَىٰٓ ﴾، أي ويراه أهلا أن يشفع له، فههنا أيضا أنواع أخر من المبالغة. الأول: توقيف الشفاعة على الإذن. والثاني: تعليقها بالمشيئة فيهم، منه أنه بعد أن يؤذن في مطلق الشفاعة يحتاج إلى الأذن في كل مرة معينة. والثالث: رضا الله الشفاعة، فقد يشاء ولكن لا يرضاه، كقوله: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾الزمر: ٧، وهذا عند أهل السنة واضح" [(١)].

الخلاصة:

أثبت النيسابوري رتبة الشفاعة للنبي ﷺ في الآخرة، ويرى أنها ثابتة في حق أهل الكبائر والفساق من أهل القبلة، كما أثبت شرطي الشفاعة، وهي: إذن الله، ورضاه، مستدلا بالكتاب والسنة، متوافقا مع السلف. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* * * * * * * * * * * * * * *

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٢٠٦).

الفصل الرابع:

الجنة والنار

خلق الجنة والنار ووجودهما:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٢٥: " إنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام إلى ذكر عقاب الكافرين، شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب، وضم البشارة إلى الإنذار، والجمع بين الوعد والوعيد، والجنة والنار. وهل هما الآن مخلوقتان أم لا؟ ظاهر الآية من نحو قوله: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤، والأحاديث، كقوله ﷺ في حديث صلاة الخسوف: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط»[(١)]، يدل على وجودهما، وكذا سكنى آدم وحواء الجنة" [(٢)].

ورد على مزاعم المعتزلة واستدلالهم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ القصص: ٨٨: على أن الجنة والنار غير مخلوقتين، لأنهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء، فقال رحمه الله: " وهذا يناقض قوله: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ الرعد: ٣٥، وعورض بقوله: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣، ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٣١، ويحتمل أن يقال الكل بمعنى الأكثر ومن هناك قال الضحاك: كل شيء هالك إلا الله والعرش والجنة والنار" [(٣)].

---

(١) البخاري: كتاب النكاح، باب كفران العشير، برقم: ٥١٩٧.

مسلم/ كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، (٢/ ٦٢٦)، برقم: ١٧-(٩٠٧).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١٩٧).

(٣) نفس المصدر (٥/ ٣٦٥).

دوام الجنة والنار وعدم فنائهما:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾هود: ١٠٧، أي مدة بقائهما إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ، وفيه استدلالان: الأول أن مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والأرض المتناهية بالاتفاق. الثاني استثناء المشيئة ...

والجمهور من الأمة على أن عذاب الكافر دائم، وأجابوا عن الآية بأن المراد سموات الآخرة وأرضها المشار إليهما بقوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾إبراهيم: ٤٨، ولا بد لأهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والأرض، وإذا علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام.

وأيضا القرآن قد ورد على استعمالات العرب، وإنهم يعبرون عن الدوام والتأبيد بقولهم: «ما دامت السموات والأرض» ونظيره قولهم: «ما اختلف الليل والنهار» و «ما أقام ثبير وما لاح كوكب» ...

وأما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الأنباري[1] والفراء أن هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشيئة كقولك: و «الله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك» وقد يكون عزمك على ضربه البتة وتعلم أنك لا ترى غير ذلك" [2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾النحل: ٩٦، وفيه دليل على أن نعيم الجنة باق لأهلها لا ينقطع. وقال جهم بن صفوان: إنه منقطع، والآية حجة عليه" [3].

---

(١) هو أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ القَاسِمِ بنِ بَشَّارٍ بن الأَنْبَارِيِّ، المقْرِئُ النَّحْوِيُّ اللّغويّ، ولد سنة: ٢٧٢هـ، وتوفي في: ٣٢٨هـ، من مصنفاته: الوَقْفِ وَالابتدَاء، وَالمشْكل، وَغَرِيْب الغَرِيْب النبوِي، وَالزَّاهر في اللغة، وَالكَافِي.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤- ٢٧٦)، شذرات الذهب (٤/ ١٥٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ٣٣٤).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٥٢-٥٣).

(٣) نفس المصدر (٤/ ٣٠٢).

الخلاصة:

ما ذهب إليه النيسابوري من تقرير أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما باقيتان، فلا تفنيان ولا تبيدان، موافق لما عليه أهل السنة، فرحمة الله عليهم أجمعين.

قال ابن كثير: "والجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن؟ وتواترت بذلك الأخبار عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، المستمسكين بالعروة الوثقى، وهي السنة المثلى إلى قيام الساعة" (١).

وقال شيخ الإسلام: " وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ مَا لَا يَعْدَمُ، وَلَا يَفْنَى بِالْكُلِّيَّةِ، كَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْعَرْشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَلَمْ يَقُلْ بِفَنَاءِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ إلَّا طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمُبْتَدِعِينَ، كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ، وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، يُخَالِفُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا" (٢).

وقال الطحاوي: "وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تبيدان، وأن اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ" (٣).

وقال ابن أبي العز: " فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!!" (٤).

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٢/ ٣٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).

(٣) متن الطحاوية (ص: ٧٣).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ٤٢٠).

الباب السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: القضاء والقدر.

الفصل الثاني: مسألة أفعال العباد.

الفصل الثالث: مسألة تكليف ما لا يطاق.

الفصل الأول:

القضاء والقدر

أ- عرض رأي النيسابوري:

أولا: مرتبة العلم:

قال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة: ٣٣: " وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها، فيبطل مذهب هشام ابن الحكم[١] أنه لا يعلم الأشياء إلا عند وقوعها" [٢].

وقال: " ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ النساء: ١٦٦، تجلى له بصفة العالِمية، حتى علم بعلمه ما كان وما سيكون" [٣].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ الأعراف: ٧: " وفيها أنه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السموات، فالإلهية لا تكمل إلا بذلك" [٤].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ الرعد: ٩: " أي هو عالم بما غاب عن الحس، وبما حضر له، أو بما غاب عن الخلق وبما شهدوه، أو بالمعدومات وبالموجودات"[٥].

---

(١) هو أبو محمد، هِشَامُ بنُ الحَكَمِ الشيباني مولاهم، الكُوْفِيُّ الواسطي البغدادي، الرَّافِضِيُّ المشَبِّهُ، من كبار الرافضة ومشاهيرهم وكان مجسما، توفي بالكوفة سنة: ١٩٠هـ، وقيل ١٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٣)، لسان الميزان (٦/ ١٩٤)، الأعلام للزركلي (٨/ ٨٥)، معجم المؤلفين (١٣/ ١٤٨).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٢٣)، وانظر: (٤١٧/٣).

(٣) نفس المصدر (٥٣٢/٢).

(٤) نفس المصدر (٢٠٢/٣).

(٥) نفس المصدر (١٤٢/٤).

وقال: "وفي قوله: فَأُنَبِّئُكُمْ، دليل على أنه سبحانه عالم بالخفيات، لا يعزب عنه شيء"[١].

وقال: "وفي قوله: وَسِعَ، بلفظ الماضي، دلالة على أنه تعالى **كان في الأزل عالما** بجميع المعلومات، فلا يخرج عن شيء عن مقتضى علمه، وهو معنى جفاف الأقلام، وطي الصحف، ولزوم الأحكام، وسعادة السعيد، وشقاوة الشقي، ويعلم من عموم كل شيء أنه علم الماضي والحال والمستقبل، وعلم المعدوم أنه لو كان كيف يكون" [٢].

وقال: والعلم المحيط ليس إلا لله تعالى" [٣]."وهو نعته بالعلم الكامل" [٤].

ثانيا: مرتبة الكتابة:

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ طه: ٥٢: "وقوله: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ مع قوله: ﴿ فِي كِتَـٰبٍۖ ﴾ ، لا يتنافيان، بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من أحوال الموجودات والمعدومات، ومع ذلك فإن جميع الأحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل أن يقول: لعلها أثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان، فتدارك ذلك بقوله: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ " [٥].

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾الأنعام: ٣٨: "والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال العالم على التفصيل" [٦]. "وهو كتاب أثبت فيه صور تلك المعلومات، والغرض الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات" [٧].

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٧٢/٥).
(٢) نفس المصدر (٢٨٧/٣-٢٨٨). وانظر: (٢٢٣/٦)، (٢٨٦/٦).
(٣) نفس المصدر (٣٥٨/٣).
(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨/٦).
(٥) نفس المصدر (٥٥٢/٤).
(٦) نفس المصدر (٧٦/٣).
(٧) نفس المصدر (٥٩٥/٣).

ثالثا: مرتبة المشيئة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ المائدة: ٤٨: "وفيه دليل على أن الكل بمشيئة الله تعالى" [(١)].

وقال: " ثم بين أن الكفر والإيمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئته وإرادته وتسخيره وتدبيره فقال: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الأنعام: ٣٩ " [(٢)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٣١: " ومعنى الآية أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الكل رهين بمشيئته وتقديره، فيقولون هذا بيمن فلان أو بشؤمه" [(٣)].

وقال: " ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يونس: ٢٥، ومن هنا ذهب أهل السنة إلى أن الهداية والضلالة، والخير والشر، كلها بمشيئة الله تعالى وإرادته" [(٤)].

وقال: " ثم بين بقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الشورى: ٨، إلخ. أن السعادة والشقاوة والهداية والضلالة متعلق بمشيئته وإرادته. وهذا على مذهب أهل السنة ظاهر" [(٥)].

وقال: "واعلم أن العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة، ولكنه بعد السعي البليغ يجب أن يعلم أن كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره، وأن الحذر لا يغني عن القدر" [(٦)]. و" أنه لا يدخل في الوجود شيء إلا بأمر الله ومشيئته" [(٧)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٠٠/٢)، وانظر: (٥٩/٤).

(٢) نفس المصدر (٧٧/٣)، وانظر: (٦١٣/٣-٦١٤).

(٣) نفس المصدر (٣٠٧/٣).

(٤) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٧٥/٣).

(٥) نفس المصدر (٦٨/٦-٦٩)، انظر: (٦/٦-٧)، و (٨٠/٦).

(٦) نفس المصدر (١٠٦/٤).

(٧) نفس المصدر (٤٣١/٤).

رابعا: مرتبة الخلق:

قال رحمه الله: " وذلك أنه تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ البروج: ١٦، خالق لما يشاء كما يشاء، لا اعتراض لأحد من خلقه عليه، وعلى أفعاله، وعلى النظام الذي اخترعه، الكل منه وبه" [(١)].

وقال: " فإن مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الأشياء عن علمه وقدرته وتأثيره وإيجاده، بواسطة أو بغير واسطة، لم يصلح لمبدئية الكل. فالهداية والضلالة، والإيمان والكفر، والخير والشر، والنفع والضر، وسائر المتقابلات، كلها مستندة ومنتهية إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته. والآيات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ النحل: ٩، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ السجدة: ١٣، ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾النساء: ٧٨، كثيرة" [(٢)].

وقال: " كل أثر يصدر عن فلك أو ملك أو جني أو إنسي، فخالق ذلك الأثر في الحقيقة هو الله تعالى، لقوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾الأعراف: ٥٤، ويتفرع على هذا ... أن خالق أعمال العباد هو الله تعالى" [(٣)].

وقال: " قالت الأشاعرة: عموم قوله: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ١٠٢: يدل على أنه خالق أفعال العباد" [(٤)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ الأنعام: ١١٢: " قالت الأشاعرة: لا شك أن تلك العداوة معصية وكفر، وأن جعلها شرفا لآية تدل على أن خالق الخير والشر، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، هو الله" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٦-١٧).

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٥٤-١٥٥).

(٣) نفس المصدر (٣/٢٥٤).

(٤) نفس المصدر (٣/١٣٦).

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/١٤٨).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٧٨: " ولا يخفى أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الأشاعرة أن الهداية والضلال بل جميع الأفعال بخلق الله تعالى" [(١)].

وقال: " احتجت الأشاعرة بقوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ الأنفال: ٥، وقوله: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ الأنفال: ٨، على أن الأعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه" [(٢)].

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾النور: ٢١: "دلالة على أن الزكاء، وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل إلا بالله، وهو دليل على أنه خالق الأفعال والآثار" [(٣)].

ب- الخلاصة:

أثبت النيسابوري القدر لله ﷻ بمراتبه الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، والتي لا يمكن الإيمان بالقدر إلا بها، فمن أنكر شيئا منها فلا يعتبر مثبتا للقدر.

فأثبت العلم الأزلي الكامل لله ﷻ، والشامل والمحيط بكل شيء، وأنه سبحانه كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وأن كل ما يجري في الكون فهو بمشيئة الله النافذة، وقدرته القاهرة، ولا يدخل في الوجود شيء إلا بأمره ومشيئته. وأثبت كذلك أن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد.

وهو بهذا الحد وافق أهل السنة، إلا أنه عند عرض رأيه في مسألة أفعال العباد، من جهة مدى تعلق أفعالهم بهم، يتضح مدى مخالفته لأهل السنة، وموافقته للأشاعرة، كما سيتبين في الفصل التالي.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٤٨).

(٢) نفس المصدر (٣/٣٧٨).

(٣) نفس المصدر (٥/١٧١).

الفصل الثاني:

مسألة أفعال العباد

أ- عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله: " فعل الإيمان يتوقف على أن تحصل في القلب داعية جازمة إلى الإيمان، وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى، وكذا القول في جانب الكفر، فإن سمى الداعيتين أحد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الأسامي" [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾التوبة: ٢٦: "واحتجت الأشاعرة بإنزال السكينة، وهي داعية السكون والثبات، وبقوله: وَعَذَّبَ، على أن الدواعي والأفعال كلها بخلق الله تعالى"[(٢)].

وقال: " ثم استدل على كمال علمه بنوع آخر، قائلا: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾ الملك: ١٤، ومحل «من» رفع: أي ألا يعلم من خلق مخلوقه، وذلك أن خلق الشيء يتوقف على معرفة تفاصيل كمياته وكيفياته وسائر أحواله، لئلا يقع الترجيح من غير مرجح، وهذه مقدمة جلية.

أو نصب: أي ألا يعلم الله من خلقه، وجُوِّز أن يكون «من» بمعنى «ما»، ويكون إشارة إلى ما يُسِرُّه الخلق ويجهرونه ويضمرونه في صدورهم، وهذا يقتضي أن تكون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

وقد يستدل بالوجهين الأولين أيضا على ذلك، لأن العبد لو كان موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها بناء على الآية. ولكنه غير عالم بتفاصيلها، لأنه لا يعرف مقادير حركته

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٦١/٣).

(٢) نفس المصدر (٤٤٨/٣).

وسكونه، وكمية الجواهر الفردة الواقعة على مسافته، بل لا يعرف الأسباب السابقة والغايات اللاحقة، لا بكلها ولا بأكثرها في كل فعل من أفعاله." [(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الملك: ١٩: " قالوا وفي الآية دليل على أن الأفعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى، لأن استمساك الطير في الهواء فعل اختياري لها، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه" [(٢)].

وقال: " قالت الأشاعرة: إن مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الأنعام: ١٢٥: " بيانه أن العبد قادر على الإيمان وعلى الكفر، وقدرته بالنسبة إلى الأمرين سواء، ولا يترجح إلا لداعية، ولا معنى للداعية إلا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة. ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل، ولا بد أن تنتهي تلك الداعية إلى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل" [(٤)].

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢: "شنعت الجبرية على المعتزلة ومن يجري مجراهم بأنكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا، واستحقاق الحمد إنما يكون على أشرف النعم وهو الإيمان، فلو كان الإيمان بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد. **والجواب أن الإيمان باختيار العبد،** لكن الاختيار أيضا مستند إلى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك" [(٥)].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣٢٧/٦).

(٢) نفس المصدر (٣٢٩/٦).

(٣) نفس المصدر (٣٣٥/٤).

(٤) نفس المصدر (١٦٠/٣).

(٥) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ٩٦).

وقال في فوائد قوله:﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة: ٥: " الأولى: لا شك أن للعبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك، وإنما يحصل الرجحان بمرجح. ولو كان ذلك المرجح من عند العبد عاد التقسيم، فلا بد أن ينتهي إلى الله تعالى.

وأيضا كل الخلائق يطلبون طريق الحق مع استوائهم في القدرة والعقل والجد والطلب، ولا يفوز به إلا بعضهم، فليس ذلك إلا بإعانة الحق.

وأيضا قد يطلب الإنسان حاجة من غيره ويدافعه مدة مديدة ثم يقضي حاجته، فإلقاء تلك الداعية في القلب ليس إلا من الله، فثبت أنه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله" [(١)].

وقال: " فأقول: لا ريب أن للإنسان إرادات وقوى بها يتم له حصول الملائم واجتناب المنافي، إلا أن تلك الإرادات والقوى مستندة إلى الله تعالى، فكأنه لا اختيار له" [(٢)].

وقال: " المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية إلى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح" [(٣)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٣٤: " ثم الآية تدل على أن للعبد كسبا، ولكن الأئمة اختلفوا في تفسيره، فالأشعري على أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدور أصلا، لأنه لو كان موجدا لأفعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك، ولما وقع إلا ما أراده العبد وليس كذلك، بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى، لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب ... ومنهم من زعم أن القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل، فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى أنه سبحانه هو الذي وضع الأسباب المؤدية إلى دخول هذه الأفعال في الوجود، والعبد هو المكتسب بمعنى أن المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان به، وإلى هذا

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١٠٦/١).

(٢) نفس المصدر (١٥٧/١).

(٣) نفس المصدر (٢٣٢/٢).

ذهب إمام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة. وزعم جمهور المعتزلة أن القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما إن شاء فعل وإن شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب. فهذا تقرير المذاهب، وقول الأشعري أقرب إلى الأدب، وقول إمام الحرمين أقرب إلى التحقيق لأن نسبة الأثر إلى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا إلى أثر آخر بعيد، ثم إلى أبعد إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب وفاعل الكل ومبدأ المبادئ" (١).

وقال: " وإنما قال: وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب" (٢).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الرعد: ٤٢: "قال الواحدي: لأن مكر جميع الماكرين بتخليقه وإرادته، ولأنه لا يضر إلا بإذنه، ولا يؤثر إلا بتقديره. وقالت المعتزلة: إنه جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره. وقيل: أراد فلله جزاء مكر الماكرين.

قال الواحدي: والقول الأوّل أظهر، بدليل قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾، يريد أن أكسابها بأسرها معلومة لله تعالى، وخلاف معلومه ممتنع الوقوع، فلا يقدر العبد على خلاف معلومه. وناقضت المعتزلة بأنه أثبت لكل نفس كسبا، فدل على أنه مقدور العبد. وأجيب بأن المقتضي للفعل عندنا هو مجموع القدرة والداعي، وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد" (٣).

وقال: " واعلم أن العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وأنه واجب الرعاية في جميع الأشياء ولنذكر له أمثلة: ... وأيضا القول بأن العبد لا قدرة له أصلا جبر محض، والقول بأنه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض، والعدل أمر بين الأمرين، وهو أن العبد يفعل الأفعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه" (٤).

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٤٠٩-٤١٠).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٥٨٦).

(٣) نفس المصدر (٣/ ٥٨٦).

(٤) نفس المصدر (٤/٢٩٨-٢٩٩).

ب - نقد رأي النيسابوري:

من خلال هذا العرض ظهر أن النيسابوري يرى أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، كما يرى أن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة واختيار، بها يتمكن من الفعل والترك، بيد أنه يرى أن المؤثر والموجب في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية إلى تخليق الله، فمشيئة العبد وقدرته تابعة لمشيئة الله وقدرته واختياره، فكأن العبد لا اختيار له، ويقول أن العبد لو كان موجدا لأفعاله لكان عالما بتفاصيلها، ولكنه غير عالم بتفاصيلها، فلم يثبت للعبد قدرة مؤثرة، ومجموع القدرة والداعي هو المسمى بالكسب الحاصل للعبد.

وهو بهذا سلك مسلك الأشاعرة، فإنهم يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وهي كسب للعباد، وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل.

قال الجرجاني: "الْمَقْصد الأول: فِي أَن أَفعَال الْعباد الاختيارية وَاقعَة بقدرة الله ﷻ وَحدهَا، وَلَيْسَ لقدرتهم تَأْثِير فِيهَا، بل الله سُبْحَانَهُ أجْرى عَادَته بِأَن يُوجد فِي العَبْد قدرَة واختيارا.

فَإِذا لم يكن هُنَاكَ مَانع أوجد فِيهِ فعله الْمَقْدُور مُقَارنًا لَهما، فَيكون فعل العَبْد مخلوقا لله: إبداعا وإحداثا، ومكسوبا للْعَبد.

وَالْمرَاد بِكَسْبِهِ إِيَّاه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أَن يكون هُنَاكَ مِنْهُ تَأْثِير أَو مدْخل فِي وجوده سوى كَونه محلا لَهُ" [(١)].

وقال البيهقي: " فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ صَادِرَةٌ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى خَلْقًا، وَمِنْ جِهَةِ الْعِبَادِ كَسْبًا" [(٢)].

فالأشاعرة أرادوا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية، فجاءوا بنظرية الكسب، وهي في مآلها جبرية خالصة، لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير.

---

(١) المواقف للإيجي، مع شرحه للجرجاني (٣/ ٢١٤).

(٢) القضاء والقدر للبيهقي (ص: ١٦٨)، وانظر: الفصل لابن حزم (٣/ ٤٨).

قال شيخ الإسلام: " ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقاً معقولاً، بل حقيقة قولهم قول جهم: إنّ العبد لا قدرة له، ولا فعل، ولا كسب.

والله عندهم فاعل فعل العبد، وفعله هو نفس مفعوله؛ فصار الربّ عندهم فاعلاً لكلّ ما يُوجد من أفعال العباد. ويلزمهم أن يكون هو الفاعل للقبائح" [(١)].

والصواب ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وهو أن العبد له قدرة وإرادة، وهو فاعل حقيقة، كما قال شيخ الإسلام: "وَبِالْجُمْلَةِ فَجُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَهُ قُدْرَةٌ وَإِرَادَةٌ وَفِعْلٌ، وَهُوَ فَاعِلٌ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" [(٢)].

وقال: " وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ . وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ التكوير: ٢٨ – ٢٩" [(٣)].

وقال شيخ الإسلام: "وَأَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورُهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ هَذَا كُلِّهِ. وَالْخَلْقُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ هُوَ الْمَخْلُوقَ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ كَوْنِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةً مَفْعُولَةً لِلرَّبِّ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَفْسُ فِعْلِهِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ فِعْلٍ يَفْعَلُ فِعْلًا، فَإِنَّهَا فِعْلٌ لِلْعَبْدِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، وَلَيْسَتْ فِعْلًا لِلرَّبِّ تَعَالَى بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، بَلْ هِيَ مُفْعُولَةٌ لَهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا يَتَّصِفُ بِمَفْعُولَاتِهِ" [(٤)].

* * * * * * * * * * * * * * * *

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٤٦٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ١١٠).

(٣) العقيدة الواسطية (ص: ١٠٨).

(٤) منهاج السنة النبوية (٣/ ١١٢).

الفصل الثالث:

مسألة تكليف ما لا يطاق

أولا: عرض أراء الطوائف المخالفة:

اختلفت أقوال الطوائف في هذه المسألة، والسبب في ذلك هو عدم تحديد معنى " ما لا يطاق"، وما المقصود منه: هل هو الممتنع عادة؟ أو هو المستحيل كالجمع بين الضدين؟ أو هو ك: تكليف الكافر وهو لا يؤمن؟ ك: تكليف أبي لهب وقد أخبر أنه يموت كافرا.

وأقوال الطوائف المخالفة في المسألة، ثلاثة:

القول الأول: قول الجهم بن صفوان: وهو جواز تكليف ما لا يطاق مطلقا. ك: تكليف الأعمى البصر، والزَّمِن(١) أن يسير إلى مكة (٢).

القول الثاني: قول المعتزلة: وهو عدم جواز تكليف ما لا يطاق لقبحه عقلا.

قال عبد الجبار الهمذاني: " فإن كل عاقل يعلم بكمال عقله أن تكليف الأعمى بنقط المصحف على جهة الصواب، وتكليف الزمن بالمشي قبيح" (٣).

القول الثالث: قول الأشاعرة: جواز تكليف ما لا يطاق.

قال الشهرستاني: " وتكليف ما لا يطاق جائز على مذهبه" (٤)، يقصد مذهب أبي الحسن الأشعري.

---

(١) الزَّمِن: هو العاجز عن السير بقدميه.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص: ٢٦٧)، وانظر: المواقف للإيجي، مع شرحه للجرجاني (٣/ ٢٩٢).

(٤) الملل والنحل (١/ ٩٦).

وحجتهم في ذلك كما قال الإيجي[1]: " تَكْلِيف مَا لَا يُطَاق جَائِز عندنَا، لما قدمنَا آنِفا من أَنه لَا يجب عَلَيْهِ شَيْء، وَلَا يقبح مِنْهُ شَيْء، إِذْ يفعل مَا يَشَاء، وَيحكم مَا يُرِيد لَا معقب لحكمه" [2].

لكنهم يقولون إن ما لا يطاق مراتب.

أدناها: أَن يمْتَنع الْفِعْل لعلم الله بِعَدَمِ وُقُوعه، أَو تعلق إِرَادَته، أَو إخْبَاره بِعَدَمِهِ، والتكليف بِهَذَا جَائِز عندهم إِجْمَاعًا، وَإِلَّا لم يكن العَاصِي بِكُفْرِهِ وفسقه مُكَلّفا بِالْإِيمَان وَترك الْكَبَائِر بل لَا يكون تَارِك الْمَأْمُور بِهِ عَاصِيا أصلا.

وأقصاها: أَن يمْتَنع لنَفس مَفْهُومه، كجمع الضدين، وقلب الْحَقَائِق، والتكليف بهذا مختلف فيه عندهم، فبعضهم جوزه مطلقا، ومنهم من منعه.

وأوسطها: أَن لَا يتَعَلَّق بِهِ الْقُدْرَة الْحَادِثَة عَادَة سَوَاء امْتنع تعلقهَا بِهِ لَا لنَفس مَفْهُومه كخلق الْأَجْسَام أم لَا كحمل الْجَبَل والطيران إِلَى السَّمَاء، والتكليف بهذا جائز عندهم وإن لم يقع بالاستقراء [3].

ثانيا: مذهب السلف: ومذهبهم في هذه المسألة التفصيل، وأنه على وجهين:

الوجه الأول: ما لا يقدر على فعله لاستحالته، وهو نوعان: **النوع الأول**: ما هو ممتنع عادة كالمشي على الوجه، والطيران، وكالمقعد الذي لا يقدر على القيام، والأخرس الذي لا يقدر على الكلام. **النوع الثاني**: ما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين، ونحو ذلك.

فهذا الوجه بنوعيه، قد اتَّفَقَ حَمَلَةُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ فِي الشَّرِيعَةِ.

---

(١) هو قَاضِي الْقُضَاة عضد الدّين، عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد بن عبد الْغفار بن أَحْمد الإيجي الشِّيرَازِيّ، ولد بإيج من نواحي شيراز بعد سنة: ٦٨٠هـ، وَتُوفِّي مسجونا سنة: ٧٥٦هـ، من مصنفاته: المواقف في علم الكلام، وَفِي أصُول الْفِقْه: شرح مُخْتَصر ابْن الْحَاجِب، وَفِي الْمعَانِي وَالْبَيَان: الْقَوَاعِد الغياثية. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٠/ ٤٦)، الدرر الكامنة (٣/ ١١٠)، البدر الطالع (١/ ٣٢٦).

(٢) المواقف للإيجي، مع شرحه للجرجاني (٣/ ٢٩٢).

(٣) انظر: نفس المصدر .

قال شيخ الإسلام نقلا عن أبي الحسن الزعفراني: " تَكْلِيفُ مَا لَا يُطَاقُ لِوُجُودِ ضِدِّهِ مِنْ الْعَجْزِ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يُكَلَّفَ الْمُقْعَدُ الْقِيَامَ، وَالْأَعْمَى الْخَطَّ وَنَقْطَ الْكِتَابِ، وَأَمْثَالَ ذَلِكَ، فَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ تَكْلِيفُهُ، وَهُوَ مِمَّا انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَدَمَ الطَّاقَةِ فِيهِ مُلْحَقَةٌ بِالْمُمْتَنِعِ وَالْمُسْتَحِيلِ وَذَلِكَ يُوجِبُ خُرُوجَهُ عَنْ الْمَقْدُورِ فَامْتُنِعَ تَكْلِيفُ مِثْلِهِ" [(١)].

الوجه الثاني: ما لا يقدر على فعله، لا لاستحالته، ولا للعجز عنه، لكن لتركه والاشتغال بضده، كـ: تكليف الكافر اللإيمان في حال كفره، فهذا جائز لِأَنَّهُ غَيْرُ عَاجِزٍ عَنْهُ وَلَا مُسْتَحِيلٍ مِنْهُ، فَهُوَ كَالَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الْعِلْمِ لِاشْتِغَالِهِ بِالْمَعِيشَةِ، وهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ النَّاسِ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِين، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَد [(٢)].

ولكن هل يطلق على هذا بأنه تكليف ما لا يطاق؟ جمهور أهل العلم منعه، وهو الراجح.

قال ابن أبي العز: " وَاحْتَجَّ مَنْ قَالَ بِوُرُودِهِ بِأَمْرِ أَبِي لَهَبٍ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَأَنَّهُ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، فَكَانَ مَأْمُورًا بِأَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ. وَهَذَا تَكْلِيفٌ بِالْجَمْعِ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَهُوَ مُحَالٌ.

وَالْجَوَابُ عَنْ هذا بالمنع: فلا نسلم بأنه مَأْمُورٌ بِأَنْ يُؤْمِنَ: بِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي بِهَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِيمَانِ كَانَتْ حَاصِلَةً، فَهُوَ غَيْرُ عَاجِزٍ عَنْ تَحْصِيلِ الْإِيمَانِ، فَمَا كُلِّفَ إِلَّا مَا يُطِيقُهُ ... وَلَا يَلْزَمُ قَوْلُهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ البقرة: ٣١، مَعَ عَدَمِ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ، وَلَا لِلْمُصَوِّرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» [(٣)]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ - لِأَنَّهُ لَيْسَ بِتَكْلِيفِ طَلَبِ فِعْلٍ يُثَابُ فَاعِلُهُ وَيُعَاقَبُ تَارِكُهُ، بَلْ هُوَ خِطَابُ تَعْجِيزٍ" [(٤)].

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٩٥- ٣٠١).

(٣) البخاري: كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، برقم: ٢١٠٥.

مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (١٦٦٩/٣)، برقم: ٩٦-(٢١٠٧).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ٤٤٩).

وقال شيخ الإسلام: " قُلْت: وَهَذَا الْإِجْمَاعُ هُوَ إجْمَاعُ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ قَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ إلَى أَنَّ تَكْلِيفَ الْمُمْتَنِعِ لِذَاتِهِ وَاقِعٌ فِي الشَّرِيعَةِ وَهَذَا قَوْلُ الرَّازِي، وَطَائِفَةٌ قَبْلَهُ وَزَعَمُوا أَنَّ تَكْلِيفَ أَبِي لَهَبٍ وَغَيْرِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَيْثُ كُلِّفَ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَهَذَا غَلَطٌ فَإِنَّهُ مَنْ أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَأَنَّهُ يَصْلَى النَّارَ بَعْدَ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ إلَى الْإِيمَانِ فَقَدْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ: كَالَّذِي يُعَايِنُ الْمَلَائِكَةَ وَقْتَ الْمَوْتِ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذَا مُخَاطَبًا مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ" [(١)].

إذاً: الراجح من قول السلف أن الله إنما يكلف العبد بما يطيق، ولا يكلفه بما لا يطاق.

فإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة، قال شيخ الإسلام: " وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَإِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِتَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ مِنْ الْبِدَعِ الْحَادِثَةِ فِي الْإِسْلَامِ" [(٢)].

ثالثا: عرض رأي النيسابوري:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ . خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ البقرة: ٦ - ٧: " الآية الأولى فيها الإخبار بأن الذين كفروا لا يؤمنون، والإنذار وعدمه عليهم سيان. والآية الثانية فيها بيان السبب الذي لأجله لم يؤمنوا: وهو الختم والتغشية، فاحتج أهل السنة بالآيتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق" [(٣)].

وقال: " ومن الناس من تمسك بقوله: ﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ البقرة: ٣١، على جواز تكليف ما لا يطاق، وهو ضعيف، لأنه إنما استنبأهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم، بدليل قوله: ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١" [(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٠٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٦٥)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٢).

(٣) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١ / ١٥٤).

(٤) نفس المصدر (١ / ٢٢٢).

وقال: " أما الأشاعرة فقالوا: تكليف من مات على الكفر، كأبي لهب مع العلم بعدم إيمانه تكليف بالجمع بين النقيضين. والجواب أن العلم بعدم الإيمان ليس تكليفا بعدم الإيمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين، والتكليف بأمر ممكن لذاته ممتنع لغيره، غير التكليف بأمر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع" [١].

وقال: " الدعاء: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾البقرة: ٢٨٦، ومن الأصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق، إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء"[٢].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ آل عمران: ١٢: " وفي الآية حجاج للقائل بتكليف ما لا يطاق، فإنه تعالى أخبر عنهم بأنهم يحشرون إلى جهنم، فلو آمنوا وأطاعوا لانقلب الخبر كذبا" [٣].

وقال: " ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ المسد: ٣، وطالما استدل به أهل السنة في وقوع تكليف ما لا يطاق، قائلين إنه تعالى كلف أبا لهب بالإيمان، ومن جملة الإيمان تصديق الله في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن وأنه من أهل النار، فقد صار مكلفا بأن يؤمن وبأن لا يؤمن وهو تكليف بالجمع بين النقيضين.

وأجيب بأنه كلف بتصديق الرسول ﷺ فقط، لا بتصديقه وعدم تصديقه، حتى يجتمع النقيضان، وغاية ذلك أنهم كلفوا بالإيمان بعد علمهم بأنهم لا يؤمنون" [٤].

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢ / ٩١).

(٢) نفس المصدر (٢ / ٩٤).

(٣) نفس المصدر (٢ / ١٢٠).

(٤) نفس المصدر (٦ / ٥٩١).

رابعا: الخلاصة:

يتضح من العرض السابق أن النيسابوري يرى عدم جواز تكليف ما لا يطاق، فإنه عندما يمر بالآيات التي احتج بها القائلون بجواز تكليف ما لا يطاق، يبين احتجاجهم بها بصيغة توحي بأنه لا يوافقهم في رأيهم: كقوله: احتج أهل السنة، و: ومن الناس من تمسك بقوله، و: ومن الأصحاب من تمسك به، و: وفي الآية حجاج للقائل بتكليف ما لا يطاق، و: وطالما استدل به أهل السنة في وقوع تكليف ما لا يطاق.

كما أنه قد يعترض على أقوالهم، ويضعف استدلالهم، ويبين وجه الضعف، ثم يذكر الصواب في المسألة.

وموقفه هذا من هذه المسألة متوافق مع الراجح من رأي أهل السنة الذي تم تقريره، وهو أن الله إنما يكلف العبد ما يطيق، ولا يكلفه ما لا يطاق.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، الذين هم للحق والهدى المنار والأعلام، ... أما بعد:

فبعون الله تعالى تم إعداد هذه الرسالة، التي رجوت بها إتقان عقيدة السلف والصحب الكرام، واكتساب التأصيل والملَكة العلمية الكافية في هذا التخصص فبذلت لأجل ذلك ما قدر الله لي من الجهد، جعلها الله ذخيرة العقبى، للفوز برياض الصالحين، والنجاة من دار الهالكين.

فاللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، لك الحمد على كل نعمة أنعمت بها علينا من نعمك العظيمة، وآلائك الجسيمة، لك الحمد كثيرا كما تنعم كثيرا.

ثم إنه مما يجدر في ختام هذه الرسالة، ذكر أهم النتائج والتوصيات، فمن أبرز نتائج هذه الرسالة، ما يلي:

أولا: حياة النيسابوري الشخصية والعلمية:

تبين من خلال البحث أن كُتُب التراجم لم توف النيسابوري حقه من التعريف، وأن أوسع من ترجم له هم الشيعة، خاصة الخوانساري في كتابه روضات الجنات، ومنه استقى أكثر من ترجم له.

كما أنه لم يعرف من نسبِهِ إلا أنه: الحسن بن محمد بن الحسين، ويلقب بـ: نظام الدين، أو نظام الأعرج، أو النظام الأعرج، أو النظام النيسابوري، وأنه ولد في قم، ونشأ في نيسابور.

ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته، واختلف في وفاته اختلافا كبيرا. غير أنه أمكن من خلال البحث تحديد وتقريب الفترة التي عاشها، وأنها ما بين (٦٦٠هـ - ٧٤٠هـ).

ولم تذكر من مشائخه إلا شيخا واحدا، هو القطب محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي الشيرازي. ولم يعرف من تلامذته أحد البتة، غير أنها ذكرت عددا لا بأس به من مؤلفاته، وتتميز أنها في فنون متنوعة.

ثانيا: تفسيره: غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

أما تفسيره فقد تضمن خلاصة جهود من سبقه من العلماء والمفسرين خاصة الإمامين الزمخشري والفخر الرازي، وتفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وما فتح الله عليه.

وحوى الكثير من الفوائد والغرائب في شتى الفنون، بدأً بالقراءات، والوقف والابتداء، وأسباب النزول، ثم اللغة والبلاغة والنحو، ووصولا إلى الفقه، والعقيدة وعلم الكلام، وغير ذلك من العلوم، إضافة إلى التفسير.

ثالثا: منهج النيسابوري:

يتميز النيسابوري بأنه ذا شخصية مستقلة، فيناقش ويرجح، متحررا من التعصب والتقليد.

وسلك في مسائل الاعتقاد منهج المتكلمين، وعلى أصول الأشاعرة بوجه خاص، ومع ذلك فقد خالفهم في مسائل كثيرة، ووافق فيها أهل السنة.

أما بخصوص التوصيات: فإنه إن كانت من توصية بعد ختام هذه الرسالة، فإنني أحث وأدعو إلى تحقيق هذا السفر، وهو تفسير النيسابوري، تحقيقا علميا شاملا، فالطبعات الموجودة غير محققة التحقيق العلمي المعتبر.

فإن تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، يحتاج ويستحق العناية والاهتمام، وأن يخدم بالتحقيق والدراسة والنشر، وبيان الصواب من الخطأ، خدمة للعلماء وطلبة العلم، لينهلوا من معينه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتشتمل على:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الفرق.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

١٢	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾البقرة: ٣٠	٢١٠، ٢٢٠
١٣	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا البقرة: ٣١	١٦٧، ٣٦٠، ٣٦١
١٤	﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ البقرة: ٣٣	٣٤٧
١٥	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ البقرة: ٣٤	٢٢٠، ٢٩٣
١٦	﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧	٣١٦
١٧	﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة: ٣٨	٣٣٧
١٨	﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ البقرة: ٤١	٣٢٢
١٩	﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٤٦	٢٢٢
٢٠	﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ البقرة: ٤٨	٣٤١
٢١	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ البقرة: ٥٥	٣٢٢
٢٢	﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾البقرة: ٦٠	٩٥
٢٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ البقرة: ٦٢	٣٢٨
٢٤	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٦	١٩٢
٢٥	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾البقرة: ١١٣	٢٩٩، ٣٢٩
٢٦	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ﴾ البقرة: ١١٥	٢٥٧، ٢٥٨
٢٧	﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا . . لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾البقرة: ١٢٤	٣١٤
٢٨	﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ ﴾ البقرة: ١٣٤	٣٥٤
٢٩	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة: ١٤٣	٤٠
٣٠	﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾البقرة: ١٦٣	٥٦، ٦٣، ٩٧
٣١	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ البقرة: ١٦٤	٩١، ١٠٨، ١١٠

سورة آل عمران		
٥٠	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ آل عمران: ٣ – ٤	٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣
٥١	﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ . . ﴾آل عمران: ٧	٢٣٥
٥٢	﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ﴾ آل عمران: ١٢	٣٢٢، ٣٣٦، ٣٦٢
٥٣	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ آل عمران: ١٨	١٨٠
٥٤	﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٢٦	٢٦٣، ٢٦٦
٥٥	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١	١٤٦، ١٤٩
٥٦	﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٤٠	١٩٦
٥٧	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ آل عمران: ٥١	١٢٦
٥٨	﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ٥٤	٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩
٥٩	﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ آل عمران: ٥٥	٢٣٠، ٣٣٤
٦٠	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ آل عمران: ٧٩	٣١٣
٦١	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران: ٨٥	١٤٤، ٣٠٦
٦٢	﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٩٥	١٣٧
٦٣	﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٣١	٤٣٤
٦٤	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ﴾ آل عمران: ١٣٣	٤٣٤
٦٥	﴿ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾آل عمران: ١٤٤	٣٣١
٦٦	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٢	٢٨٠
٦٧	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣	٢٧٢، ٢٧٥

٦٨	﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٥	١٥٠
٦٩	﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: ١٩١	٨٩
سورة النساء		
٧٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾النساء: ١	٦٢
٧١	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ . . . أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ النساء: ٣	٣٩
٧٢	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ النساء: ٢٦	١٩٨
٧٣	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ النساء: ٤٨	١٥٦، ١٥٨، ٢٧٩، ٢٨٠
٧٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٨	٢٦٠
٧٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ النساء: ٥٩	٣٢٨
٧٦	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾النساء: ٦٤	٣١٤
٧٧	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النساء: ٨٢	٨٦
٧٨	﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣	٢٥١
٧٩	﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾النساء: ١٠٤	١٩٩
٨٠	﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ النساء: ١٠٨	٢٠١
٨١	﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ النساء: ١١٠	١٣
٨٢	﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النساء: ١١٥	٣٠٥
٨٣	﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء: ١٢٢	٢١٠
٨٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾النساء: ١٣٦	٢٩٧، ٣٢٧
٨٥	﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ النساء: ١٤٢	٢٠٧
٨٦	﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ النساء: ١٤٥	٣٤١

١٢١	﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: ٣١	٣٠٥
١٢٢	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأعراف: ٣٣	١٦٨
١٢٣	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الأعراف: ٥٤	٢١١، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٣٥٠
١٢٤	﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾الأعراف: ٥٥	١٤٣، ١٤٦
١٢٥	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾الأعراف: ٥٧	٢٦٦
١٢٦	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الأعراف: ٥٩	١٢٦، ١٣١
١٢٧	﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الأعراف: ٩٩	١٥٠
١٢٨	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ الأعراف: ١٠٣	٣٢١
١٢٩	﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ١٠٥	٩٥
١٣٠	﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ الأعراف: ١٠٧– ١٠٨	٩٥
١٣١	﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ الأعراف: ١١٢	٣٢١
١٣٢	﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾الأعراف: ١٢٧	١٣٢
١٣٣	﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٣١	٣٤٩
١٣٤	﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾الأعراف: ١٤٣	٢١٦، ٢٢٣
١٣٥	﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا ﴾الأعراف: ١٤٨	٢١٢، ٢١٦
١٣٦	﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى ﴾ الأعراف: ١٥٠	٤٩
١٣٧	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨	٣١٩
١٣٨	﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ ﴾ الأعراف: ١٧٨	٣٥١

١٣٩	﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٠	١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٧
١٤٠	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ الأعراف: ١٨٧	٣٢٩
١٤١	﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٩٩	٣٠٥
	سورة الأنفال	
١٤٢	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢ – ٤	٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٧
١٤٣	﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ الأنفال: ٥	٣٥١
١٤٤	﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ ﴾ الأنفال: ٨	٣٥١
١٤٥	﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَـٰكِرِينَ ﴾ الأنفال: ٣٠	٢٠٩
١٤٦	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الأنفال: ٧٢	٢٧٣
	سورة التوبة	
١٤٧	﴿ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦	٢١٢، ٢١٣، ٢١٧
١٤٨	﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ التوبة: ١٨	٣٢٨
١٤٩	﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ التوبة: ١٩	١٥٨
١٥٠	﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ التوبة: ٢٤	١٤٩
١٥١	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ التوبة: ٢٦	٣٥٢
١٥٢	﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ التوبة: ٣٩	١٩٢، ١٩٥
١٥٣	﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة: ٤٠	٢٠٣
١٥٤	﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ التوبة: ٤٣	٣١٦

١٧٤	﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ . . . فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود: ١٠٧	١٩٦، ٣٤٤
سورة يوسف عليه السلام		
١٧٥	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ يوسف: ٤٠	١٧٨
١٧٦	﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ يوسف: ٨٧	١٥٠
سورة الرعد		
١٧٧	﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الرعد: ٢	٢٣٢
١٧٨	﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ ﴾ الرعد: ٤	٩٢
١٧٩	﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد: ٩	٢٢٦، ٣٤٧
١٨٠	﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ الرعد: ١١	٢٨٩
١٨١	﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا . . . سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ الرعد: ٢٣ – ٢٤	٢٨٨
١٨٢	﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ الرعد: ٣٥	٣٤٣
١٨٣	﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ الرعد: ٤٢	٣٥٥
سورة إبراهيم عليه السلام		
١٨٤	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ إبراهيم: ٤	٦٠
١٨٥	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ إبراهيم: ٩	٣١٠
١٨٦	﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إبراهيم: ١٠	٨٠، ٨١، ٨٤
١٨٧	﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥	١٥٦
١٨٨	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ﴾ إبراهيم: ٤٨	٣٤٤
سورة الحجر		
١٨٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩	٣٠٣

	سورة طه	
٢٢٥	﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ . . . ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ طه: ٤ – ٥	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥
٢٢٦	﴿ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ . . . إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ طه: ١٢ – ١٤	١٧٠، ٢١٥
٢٢٧	﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ طه: ٣٩	٢٦٠، ٢٦٢
٢٢٨	﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤	٨٢، ٨٦
٢٢٩	﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ طه: ٤٦	١٩٩، ٢٠١
٢٣٠	﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ طه:٥٢	٣٤٨
٢٣١	﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ طه: ٨٩	٢١٦
٢٣٢	﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ طه: ٩٠	٤٨
٢٣٣	﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ طه: ١١١	١٨٥
٢٣٤	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا . . . ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ طه: ١٢١ – ١٢٢	٣١٦
	سورة الأنبياء	
٢٣٥	﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ الأنبياء: ٢	٢١٤
٢٣٦	﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٠	٢٨٧
٢٣٧	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢	١١١، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٥
٢٣٨	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ ﴾ الأنبياء: ٢٥	١٣١
٢٣٩	﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ . . . لَا يَسْبِقُونَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٢٦ – ٢٧	٢٨٦
٢٤٠	﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ الأنبياء: ٣٧	٩٠
٢٤١	﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء:٨٧	١٧٠

٢٥٦	﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ٢٣	٢٣٦
٢٥٧	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . . . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٥	٦٠
	سورة النمل	
٢٥٨	﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل: ١	٣٠٢
٢٥٩	﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾النمل: ٩٣	٣٣٢
	سورة القصص	
٢٦٠	﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ القصص: ١٤	٢٤١
٢٦١	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾القصص: ٨٨	٣٤٣
	سورة العنكبوت	
٢٦٢	﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ العنكبوت: ٤٤	٩٧، ١٠٠
٢٦٣	﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ العنكبوت: ٦٤	٣٢٩
٢٦٤	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ العنكبوت: ٦٥	٨٣، ١٤٩
	سورة الروم	
٢٦٥	﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم ﴾الروم: ٢٨	١٢٣
٢٦٦	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ الروم: ٣٠	٧٢، ٨٢، ٨٣، ٨٦
٢٦٧	﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ الروم: ٣٨	٢٥٨
٢٦٨	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ ﴾ الروم: ٥٤	٩٠
٢٦٩	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ ﴾ الروم: ٥٦	٣٢٩
	سورة لقمان	
٢٧٠	﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣	١٥٦، ١٥٨

	سورة السجدة	
٢٧١	﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ السجدة: ٤	٢٣٢
٢٧٢	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ السجدة: ١٣	٣٥٠
٢٧٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ السجدة: ٢٧	٩٤
	سورة الأحزاب	
٢٧٤	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ الأحزاب: ٧	٣٢٥
٢٧٥	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الأحزاب: ٤٠	١٧٨
٢٧٦	﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الأحزاب: ٥٣	٢٤٨
	سورة سبأ	
٢٧٧	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ سبأ: ٢	١٨٧
	سورة يس	
٢٧٨	﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ يس: ٦٥	٢٢٠
٢٧٩	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ يس: ٧١	٢٦٣، ٢٦٥
٢٨٠	﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ يس: ٨٣.	٢٦٣
	سورة الصافات	
٢٨١	﴿ وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴾ الصافات: ١	٢٨٨
٢٨٢	﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٧٩	٣٤٠
	سورة ص	
٢٨٣	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ ص: ١٦	٣٢٩

٣١٩	﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ الزخرف: ٤٥	١٢٠
٣٢٠	﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ الزخرف: ٥٥	٢٥١، ٢٥٤
٣٢١	﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ الزخرف: ٦١	٣٣٣
٣٢٢	﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ الزخرف: ٧١	٢٢٣
٣٢٣	﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ الزخرف: ٧٧	٢٩٠
٣٢٤	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ الزخرف: ٨٧	٨١
	سورة الدخان	
٣٢٥	﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الدخان: ٤٠	٣٢٩
	سورة الجاثية	
٣٢٦	﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ الجاثية: ٢٨	٣٣٨
	سورة الأحقاف	
٣٢٧	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الأحقاف: ٤	١٢٠
	سورة محمد ﷺ	
٣٢٨	﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ محمد: ١٨	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤
٣٢٩	﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ محمد: ٣٨	٩٧، ١٠٠
	سورة الفتح	
٣٣٠	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ الفتح: ٤	٨٣، ٨٦، ٥٥٥، ٢٧٣، ٢٧٦
٣٣١	﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ الفتح: ٦.	٢٥٣
٣٣٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠	٢٦٣، ٢٦٦،

٣٤٧	﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٤٢	٩٧، ١٠٠
٣٤٨	﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ النجم: ٥٧	٣٣٣
	سورة القمر	
٣٤٩	﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ القمر: ١	٣٣٣
٣٥٠	﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ القمر: ١٤	٢٦٠، ٢٦١
	سورة الرحمن	
٣٥١	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الرحمن: ٢٦ – ٢٧	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩
	سورة الواقعة	
٣٥٢	﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ الواقعة: ١	٣٢٩
٣٥٣	﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الواقعة: ٦١	٣٣٦
	سورة الحديد	
٣٥٤	﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ الحديد: ٤	٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٣٢، ٢٣٤
٣٥٥	﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ الحديد: ١٢	٣٣٨
٣٥٦	﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ ﴾ الحديد: ١٨	٢٧٣
	سورة الحشر	
٣٥٧	﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ الحشر: ٢	٢٤٤، ٢٤٦، ٣٠٥
٣٥٨	﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧	١٤٥

فهرس الأحاديث النبوية

٣٦	«خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»	٢٨٤
٣٧	«رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»	٢٨٦، ٢٨٧
٣٨	«فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ . . . »	٢٩١
٣٩	«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ»	١٣٠
٤٠	«فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ . . . »	٢٥١
٤١	«قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك . . . »	٣١٨
٤٢	«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ . . . »	٧٣، ٨٣
٤٣	«لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . . . »	١٧٠
٤٤	«لا يصلين أحدكم في ثوب واحد وليس على عاتقه منه شيء»	٦٣
٤٥	«لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا . . . »	١٦٠
٤٦	«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: . . . »	٢٢٧، ٢٣٣، ٢٥١
٤٧	«اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ . . . »	١٨٦
٤٨	«مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا . . . »	٣١٠
٤٩	«مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»	١٢٩
٥٠	«المصلي يناجي ربه»	٢١١
٥١	«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ . . . »	٢٦٣
٥٢	«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»	١٤٩
٥٣	«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»	١٣٠
٥٤	«مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»	١٥٦

٥٥	«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»	١٢٩
٥٦	«من يحاسب يعذب»	٣٣٧
٥٧	«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ . . .»	١٩٧
٥٨	«نزلت صحف إبراهيم أوّل ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين . . .»	٢٩٩
٥٩	«هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»	٢٢٥
٦٠	«وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»	٢٥٧، ٢٥٩
٦١	«. . . وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا . . .»	٢٤٤
٦٢	«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا . . .»	٢٠٠
٦٣	«يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي»	٣١٥
٦٤	«يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟»	١٢٩
٦٥	«يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ . . .»	٢١٨
٦٦	«يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا . . .»	٣٣٩
٦٧	«يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . . .»	٢٦٣
٦٨	«يطوي الله تعالى السماوات بيمينه والأرض بيده الأخرى»	٢٦٥
٦٩	«يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ . . . .»	٢١٦

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهرس الأعلام

اسم العَلَم **رقم الصفحة**

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهرس الفرق

اسم الفرقة **رقم الصفحة**

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم** .

٢. آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، المؤلف: إسحاق بن الحسين المنجم، عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ، الأجزاء: ١.

٣. الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة، ط: ١، ١٣٩٧هـ، الأجزاء: ١.

٤. الإبانة الكبرى، المؤلف: ابن بَطَّة العكبري، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر، الرياض، الأجزاء: ٩.

٥. إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، المؤلف: عبد السلام اللقاني، المحقق: أحمد بن فريد المزيدي، معه دار الكتب العلمية: بيروت– لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م.

٦. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، المؤلف : ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) - ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط: ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الأجزاء : ١٩.

٧. إثبات الحد لله ﷻ وبأنه قاعد وجالس على العرش، المؤلف: أبو محمد محمود أبي القاسم الدشتي (ت ٦٦٥هـ)، تقديم: مسلط العتيبي، وعادل آل حمدن، ط:١، ١٤٣٠هـ.

٨. إثبات صفة العلو، المؤلف : ابن قدامة المقدسي، المحقق : أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، السعودية، ط : ١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، الأجزاء : ١.

٩. اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ط: ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، الأجزاء: ٢.

١٠. الاحتجاج بالقدر، المؤلف: ابن تيمية، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الأجزاء: ١.

١١. الأدب المفرد المؤلف: الإمام البخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: ٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، الأجزاء: ١.

١٢. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، المؤلف: صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: ٤، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الأجزاء: ١.

١٣. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، المؤلف: أبو المعالي الجويني، المحقق: د. محمد يوسف موسى – و علي عبد المنعم، مكتبة الخانجي: ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

١٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: ٧، ١٣٢٣هـ، الأجزاء: ١٠.

١٥. أركان الإسلام، المؤلف: الشيخ عبد العزيز بن باز، إعداد ومراجعة: د. محمد لقمان السلفي، دار الدعوة للنشر، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

١٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – للشيخ محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – ط: ٢، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م .

١٧. أساس التقديس في علم الكلام، المؤلف: فخر الدين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

١٨. أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن الواحدي، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩. الاستقامة، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٣، الأجزاء: ٢.

٢٠. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: ابن الأثير، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، الأجزاء: ٨.

٢١. أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، دار الشريعة، ط: ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، الأجزاء: ١.

٢٢. الأسماء والصفات، المؤلف: أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، ط: ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، الأجزاء:٢.

٢٣. الأسماء والصفات نقلا وعقلا، المؤلف: محمد الأمين الشنقيطي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: ٥، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، الأجزاء: ١.

٢٤. الأشاعرة في ميزان أهل السنة، المؤلف: فيصل بن قزار الجاسم، المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، ط: ١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٢٥. أشراط الساعة، المؤلف: يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، السعودية- الدمام، ط: ٢٧، ١٤٣٠هـ.

٢٦. الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: ابن حجر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل — بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الأجزاء: ٨.

٢٧. أصول السنة، المؤلف: أحمد بن حنبل، دار المنار - الخرج - السعودية، ط: ١، ١٤١١هـ.

٢٨. أصول السنة، المؤلف: ابن أبي زَمَنِين، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - السعودية، ط: ١، ١٤١٥هـ، الأجزاء: ١.

٢٩. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، المؤلف: د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار أصول السلف، الرياض- السعودية، ط: ٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، الأجزاء: ٣.

٣٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف : صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط : الطبعة ٣، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، الأجزاء : ٢.

٣٢. الاعْتِصَام، المؤلف: الشاطبي، تحقيق: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م، الأجزاء: ٣.

٣٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: فخر الدين الرازي، المحقق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت، الأجزاء: ١

٣٤. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر البيهقي، المحقق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط: ١، ١٤٠١، الأجزاء: ١.

٣٥. الأعلام ، المؤلف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، ط: ١٥، ٢٠٠٢ م .

٣٦. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، المؤلف: حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط: ٢، ١٤٢٢هـ، الأجزاء: ١.

٣٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – ييروت، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الأجزاء:٤.

٣٨. أعيان الشيعة، المؤلف : محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت – لبنان، ط: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الأجزاء: ١٠.

٣٩. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان،المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، الأجزاء: ٢.

٤٠. الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: عبد الغني المقدسي، المحقق: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط: ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، الأجزاء: ١.

٤١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الأجزاء: ٢.

٤٢. إنباء الغمر بأبناء العمر، المؤلف: ابن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، عدد الأجزاء: ٤

٤٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٤ هـ، الأجزاء: ٤.

٤٤. الأنساب، المؤلف: عبد الكريم السمعاني المروزي، المحقق: عبد الرحمن المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م، الأجزاء: ١.

٤٥. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، المؤلف: أبو بكر الباقلاني، المحقق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الزهرية، ط: ٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، الأجزاء: ١.

٤٦. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف: ابن الوزير، عز الدين اليمني، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٩٨٧م.

٤٧. الإيمان، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان - الأردن، ط: ٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، الأجزاء: ١.

٤٨. الإيمان، المؤلف: محمد بن مَنْدَه، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦، الأجزاء: ٢.

٤٩. الإيمان، لابن أبي شيبة.

٥٠. الإيمان، لابن أبي عمر العدني.

٥١. الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٥٢. الإيمان، لأبي يعلى الفراء.
الأربعة ضمن مجموع رسائل في مسائل الإيمان، تحقيق: طارق بن عاطف، دار المودة، المنصورة- مصر، ط: ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٥٣. الإيمان، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: ٢، ١٩٨٣م، الأجزاء: ١.

٥٤. الإيمان، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: حمد بن حمدي الجابري الحربي، الناشر: الدار السلفية – الكويت، ط: ١، ١٤٠٧.

٥٥. الإيمان: ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٥٦. الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه. د.محمد نعيم ياسين، دار التوزيع والنشر.

٥٧. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مدار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، الأجزاء: ١.

٥٨. الإيمان بالقضاء والقدر، المؤلف: د. محمد الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض- السعودية، ط: ٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥٩. الإيمان عند السلف، المؤلف: محمد بن محمود آل خضير، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط: ٤، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٦٠. بدائع الفوائد، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الأجزاء: ٤.

٦١. البداية والنهاية، المؤلف: ابن كثير، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، د. علي نجيب عطوي، أ. فؤاد السيد، أ. مهدي ناصر الدين، أ. علي عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ، ط: ٣: ١٤٠٧هـ – ١٠٨٧م.

٦٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة – بيروت، الأجزاء: ٢.

٦٣. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

٦٤. بدع التفاسير، المؤلف: عبد الله الصديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط: ٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، المؤلف: جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا ، الأجزاء: ٢ .

٦٦. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، المحقق: عبد الكريم ال الدريني، مكتبة الرشد ، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٦٧. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: ١، ١٤٢٦هـ، الأجزاء: ١٠.

٦٨. بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها في ضوء الكتاب والسُّنَّة، المؤلف: د. سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ومؤسسة الجريسي، الرياض، الأجزاء: ١.

٦٩. تاج التراجم، المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: ١، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١.

٧٠. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: مرتضى، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة، دار الهداية.

٧١. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٥.

٧٢. تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي - الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الأجزاء: ١٦.

٧٣. تاريخ الجهمية والمعتزلة، الشيخ جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: ١: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٧٤. تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الأجزاء: ٨٠ .

٧٥. التاريخ الكبير، المؤلف: الإمام البخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

٧٦. تأويل مختلف الحديث، المؤلف: ابن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الأجزاء: ١.

٧٧. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المؤلف: طاهر الأسفراييني، المحقق: كمال الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الأجزاء: ١.

٧٨. التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الأجزاء: ١.

٧٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: المباركفورى، دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٠. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المؤلف: جمال الدين المزي، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط: ٢: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨١. تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء:٤.

٨٢. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المؤلف: ابن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م. الأجزاء: ١٠.

٨٣. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: ٦، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٨٤. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط: ١، ١٤٢٥ هـ، الأجزاء: ١.

٨٥. التسعينية، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: د. محمد العجلان، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، الطبعة: ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، الأجزاء: ٣.

٨٦. التَّصَوُّفُ .. المنشَأ وَالمِصَادر، المؤلف: إحسان إلهي ظهير (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الأجزاء: ١.

٨٧. التعريف لمذهب أهل التصوف، المؤلف: أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري (المتوفى: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الأجزاء: ١.

٨٨. التعريفات، المؤلف: علي بن محمد الشريف الجرجاني، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: ١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، الأجزاء: ١.

٨٩. التعريفات الاعتقادية، المؤلف: سعد بن محمد آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الرياض- السعودية، ط:١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٩٠. تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: محمد بن نصر المَرْوَزِي، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٦، الأجزاء: ٢.

٩١. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد، المؤلف: ابن عثيمين، المحقق: أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف، ط: ٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

٩٢. تفسير أسماء الله الحسنى، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهلالزجاج، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية، الأجزاء: ١.

٩٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة: بيروت – لبنان، طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الأجزاء: ٤.

٩٤. التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الأجزاء:٣،.

٩٥. تقريب التدمرية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط: ١، ١٤١٩هـ، الأجزاء:١.

٩٦. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، المحقق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة: الرياض – السعودية، ط: ١، ١٤١٦هـ.

٩٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ، الأجزاء: ٢٤.

٩٨. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، دار طيبة - الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ، الأجزاء: ١.

٩٩. التوحيد، المؤلف: أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، الأجزاء: ١.

١٠٠. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، المؤلف: ابن خزيمة ، المحقق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، ط: ٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، الأجزاء: ٢.

١٠١. التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، المؤلف: محمد بن مَنْدَه، تحقيق: د. علي الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، ط: ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الأجزاء: ١.

١٠٢. توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

١٠٣. التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب - القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، الأجزاء: ١.

١٠٤. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المؤلف: محمد بن أحمد المَلَطي، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، الأجزاء: ١.

١٠٥. تهذيب التهذيب، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: ١، ١٣٢٦هـ، الأجزاء: ١٢.

١٠٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: جمال الدين المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: ١، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الأجزاء: ٣٥.

١٠٧. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م، الأجزاء: ٨.

١٠٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط: ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: ١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، الأجزاء: ١.

١١٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف : أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط : ١.

١١١. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، الأجزاء: ٢٤.

١١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، بهامشه: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، المصحح: نصر العادلي، المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق — مصر. ط: ١: ١٣٢٩هـ، الأجزاء ٣٠.

١١٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين ابن رجب الحنبلي، المحقق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الأجزاء: ٢.

١١٤. الجامع، المؤلف: معمر بن راشد، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط: ٢، ١٤٠٣ هـ.

١١٥. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية — القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١١٦. الجنة والنار، المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان — الأردن، ط: ١، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

١١٧. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين — بيروت،ط: ١، ١٩٨٧م، الأجزاء: ٣.

١١٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط: ٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، الأجزاء: ٦.

١١٩. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

١٢٠. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: ابن القيم، مطبعة المدني، القاهرة، الأجزاء: ١.

١٢١. حاشيتا قليوبي وعميرة، المؤلف: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، دار الفكر – بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، الأجزاء: ٤.

١٢٢. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، المؤلف: قوام السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية – السعودية- الرياض، ط: ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الأجزاء: ٢.

١٢٣. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، المؤلف: مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط: ١٤٢٣ هـ، الأجزاء: ١.

١٢٤. الحسنة والسيئة، المؤلف: ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأجزاء: ١.

١٢٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني، دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ١٠.

١٢٦. خلق أفعال العباد، المؤلف: الإمام البخاري، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية - الرياض ، الأجزاء: ١.

١٢٧. الداء والدواء الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المؤلف: ابن قيم الجوزية ، حققه: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي، تخريج: زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط دار عالم الفوائد بجدة، ط: ١، ١٤٢٩، الأجزاء: ١.

١٢٨. درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط: ٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، الأجزاء: ٤.

١٢٩. دراسات في التصوف، المؤلف: إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد للنشر، ط: ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الأجزاء: ١.

١٣٠. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: ٦، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، الأجزاء: ١٦.

١٣١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، المحقق: مراقبة: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد/ الهند، ط: ٢، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، الأجزاء: ٦ .

١٣٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: السيوطي، دار الفكر – بيروت، الأجزاء: ٨.

١٣٣. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، المؤلف : محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، توزيع : مكتبة الخراز – جدة، ط : ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣٤. دقائق التفسير، الجامع لتفسير ابن تيمية، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن - دمشق، ط: ٢، ١٤٠٤، الأجزاء: ٦.

١٣٥. دلائل النبوة، المؤلف: أبو بكر جعفر الفِرْيابِي، المحقق: عامر حسن صبري، دار حراء - مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٦هـ، الأجزاء: ١.

١٣٦. دلائل النبوة، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الأجزاء: ٢.

١٣٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت،ط: ١ - ١٤٠٥ هـ، الأجزاء: ٧.

١٣٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، المؤلف : آغا بزرگ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، ط: ١، ١٣٧٤ - ١٩٥٣ م ، المطبعة : چاپخانه مجلس – طهران، الأجزاء: ٢٦.

١٣٩. ذم التأويل، المؤلف: ابن قدامة المقدسي، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية – الكويت، ط: ١، ١٤٠٦، الأجزاء: ١.

١٤٠. ذم الكلام وأهله، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي، المحقق: عبد الرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم - المدينة، ط: ١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، الأجزاء: ٥.

١٤١. الرد على الجهمية، المؤلف: أبو سعيد عثمان الدارمي السجستاني، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط: ٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

١٤٢. الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط: ١، الأجزاء: ١.

١٤٣. الرد على المبتدعة، المؤلف: أبي علي الحسن بن أحمد المعروف بـ: البناء الحنبلي، المحقق: عادل آل حمدان، دار الأمر الأول، الرياض- السعودية، ط: ١، ١٤٣١هـ.

١٤٤. الرد على المنطقيين، المؤلف: ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الأجزاء: ١.

١٤٥. رسائل في العقيدة، المؤلف: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض- السعودية، ط: ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٤٦. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، المحقق: عبد الله الجنيدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، السعودية، ط: ١٤١٣هـ.

١٤٧. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، المؤلف: عبيد الله السجزيّ، المحقق: محمد با كريم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط: ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، الأجزاء: ١.

١٤٨. رسالة في القضاء والقدر، المؤلف: بن عثيمين، دار الوطن، ط: ١٤٢٣هـ، الأجزاء: ١.

١٤٩. الرسل والرسالات، المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، ط: ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، الأجزاء: ١.

١٥٠. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، المؤلف: ابن تيمية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - السعودية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية — بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ، الأجزاء: ١٦.

١٥٢. روضات الجنات في أصول العلماء والسادات، المؤلف: محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، الدار الإسلامية ، بيروت — لبنان، ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٥٣. الروض المعطار في خبر الأقطار، المؤلف: محمد بن عبد الله الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط: ٢، ١٩٨٠ م ، الأجزاء: ١.

١٥٤. رؤية الله، المؤلف: أبو الحسن الدارقطني، المحقق: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعين مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ١٤١١هـ.، الأجزاء: ١.

١٥٥. زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: ٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، الأجزاء: ٥.

١٥٦. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، السعودية، ط: ١ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الأجزاء: ١.

١٥٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط: ١، الأجزاء: ٦.

١٥٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط: ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥٩. سليمان بن عبد الله آل الشيخ، المؤلف: عبد الله بن محمد الشمراني، دار الوطن للنشر، الرياض — السعودية، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦٠. السنة، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي — بيروت، ط: ١، ١٤٠٠، الأجزاء: ٢.

١٦١. السنة، المؤلف: أبو بكر الخَلَّال، المحقق: د. عطية الزهراني، دار الراية – الرياض، ط: ١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، الأجزاء: ٧.

١٦٢. السنة، المؤلف: عبد الله بن أحمد حنبل، المحقق: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم — الدمام، ط: ١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الأجزاء: ٢.

١٦٣. السنة، المؤلف: محمد بن نصر المرْوَزِي، المحقق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية — بيروت، ط: ١، ١٤٠٨، الأجزاء: ١.

١٦٤. سنن ابن ماجة، المؤلف: الإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني — مكتبة المعارف : الرياض — ط: ١.

١٦٥. سنن أبي داود، المؤلف: الإمام أبي داوود السجستاني، تحقيق : صدقي محمد جميل — دار الفكر : بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

١٦٦. سنن الترمذي، المؤلف: الإمام محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني — مكتبة المعارف : الرياض – ط: ١.

١٦٧. سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن الدارقطني، المحقق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ط: ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م .

١٦٨. سنن الدارمي — للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي — تحقيق: محمود أحمد عبد المحسن — دار المعرفة ، بيروت — لبنان — ط: ١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١٦٩. السنن الصغير للبيهقي، المؤلف: أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، ط: ١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، الأجزاء: ٤.

١٧٠. السنن الكبرى، المؤلف: أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ط: ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٧١. سنن النسائي، المؤلف: الإمام أحمد بن علي بن شعيب النسائي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط: ١. ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

١٧٢. سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين الذهبي، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان – ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٧٣. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي، الرياض، الأجزاء: ١.

١٧٤. شرح أسماء الله الحسنى وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، المؤلف: د. حصة بنت عبد العزيز الصغير، دار القاسم للنشر، السعودية – جدة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

١٧٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم اللالكائي، تحقيق: أحمد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط: ٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الأجزاء: ٩.

١٧٦. شرح الأصول الخمسة، المؤلف: القاضي عبد الجبار المعتزلي، ط: ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

١٧٧. شرح حديث النزول، المؤلف: ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: ٥، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، الأجزاء: ١.

١٧٨. شرح الرسالة التدمرية، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار أطلس الخضراء، ط: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، الأجزاء: ١.

١٧٩. شرح السنة، المؤلف: أبو محمد الحسن البربهاري، الأجزاء: ١.

١٨٠. شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني، المؤلف: إسماعيل بن يحيى المزني، المحقق: جمال عزون، مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية، ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

١٨١. شرح السنة، المؤلف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

١٨٢. شرح الشافية لابن الحاجب، المؤلف: الحسن بن محمد النيسابوري، المحقق: ثريا بنت مصطفى عقاب، رسالة دكتوراة من قسم اللغة- جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٨٣. شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، المؤلف: الإمام علي بن سلطان الهروي القاري، شرح نخبة الفكر المسمى: " نزهة النظر" لابن حجرالعسقلاني، المحقق: محمد نزار تميم ، وهيثم نزار تميم ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت — لبنان .

١٨٤. شرح صحيح البخارى لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الأجزاء: ١٠.

١٨٥. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، المؤلف: الحافظ خلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٨٦. شرح العقيدة الأصبهانية، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة المنهاج — السعودية — الرياض، ط: ١، ١٤٣٠هـ. الأجزاء: ١.

١٨٧. شرح العقيدة السفارينية - الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، المؤلف: بن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط: ١، ١٤٢٦ هـ، الأجزاء: ١.

١٨٨. شرح العقيدة الطحاوية . للعلامة أبي العز الحنفي . تحقيق : مجموعة من العلماء . تخريج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي . ط: ٩ . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٨٩. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، المؤلف: د. سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة، الرياض، الأجزاء: ١.

١٩٠. شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: د. الشيخ صالح الفوزان، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط: ٦، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٩١. شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل هرّاس، تخريج: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة– الخبر، ط: ٣، ١٤١٥ هـ، الأجزاء:١.

١٩٢. شرح العقيد الواسطية، المؤلف: محمد صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية– الدمام، ط: ٤، ١٤٢٤هـ.

١٩٣. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، المؤلف: عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٠٥ هـ، الأجزاء: ٢.

١٩٤. شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ١ - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، الأجزاء: ١٦.

١٩٥. شرح معاني الآثار، المؤلف: أبو جعفر الطحاوي، حققه: محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق، من علماء الأزهر الشريف، عالم الكتب، ط: ١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٩٦. شرح المقاصد في علم الكلام، المؤلف: سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية — باكستان، ط: ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الأجزاء: ٢ × ١.

١٩٧. شرح المواقف للشريف الجرجاني، المتن: المواقف للإيجي، المحقق: محمد بدر الدين النعساني، ط: ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.

١٩٨. الشريعة، المؤلف: أبو بكر الآجُرِّيُّ، المحقق: الدكتور عبد الله الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، ط: ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الأجزاء: ٥.

١٩٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد العَكري (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، تخريج: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق — بيروت، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الأجزاء: ١١.

٢٠٠. شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر البيهقي، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٤.

٢٠١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المؤلف: عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء – عمان، ط: ٢ – ١٤٠٧ هـ، الأجزاء: ٢.

٢٠٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، الأجزاء: ١.

٢٠٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، الأجزاء: ١.

٢٠٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الأجزاء: ٦.

٢٠٥. صحيح ابن حبان، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان، تحقيق: خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٠٦. صحيح ابن خزيمة: للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة – تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤هـ - ١٩٠٣م.

٢٠٧. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حققه محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط: ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الأجزاء: ١.

٢٠٨. صحيح أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، ط: ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، الأجزاء: ٧.

٢٠٩. صحيح البخاري: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، السعودية – الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢١٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: ٣: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الأجزاء: ٢.

٢١١. صحيح مسلم ـ بشرح النووي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م .

٢١٢. صريح السنة، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، ط: ١، ١٤٠٥، الأجزاء: ١.

٢١٣. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، المؤلف: محمد أمان بن علي جامي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، السعودية، ط: ١، ١٤٠٨هـ، الأجزاء: ١.

٢١٤. صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، المؤلف: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، ط: ٣: ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، السعودية– الثقبة.

٢١٥. الصفدية، المؤلف : ابن تيمية، المحقق : محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط: ٣، ١٤٠٦هـ، الأجزاء : ٢.

٢١٦. الصلاة وأحكام تاركها، المؤلف: ابن قيم الجوزية، مكتبة الثقافة بالمدينة، الأجزاء: ١.

٢١٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤٠٨هـ، الأجزاء: ٤.

٢١٨. الضعفاء الكبير، المؤلف: أبو جعفر، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار المكتبة العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الأجزاء: ٤.

٢١٩. ضعيف أبي داود، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ، مؤسسة غراس للنشر، الكويت، ط : ١، ١٤٢٣هـ، الأجزاء : ٢.

٢٢٠. ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، حققه محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط: ٤، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الأجزاء: ١.

٢٢١. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت — لبنان، ط: ٣: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، الأجزاء: ١.

٢٢٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، الأجزاء: ٦.

٢٢٣. طبقات أعلام الشيعة، المؤلف: آغا بزرك الطهراني.

٢٢٤. طبقات الحفاظ، المؤلف: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٠٣، الأجزاء: ١.

٢٢٥. طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين السبكي، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، ط: ٢، ١٤١٣هـ، الأجزاء: ١٠.

٢٢٦. الطبقات الكبرى، المؤلف: ابن سعد، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط: ١: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الأجزاء: ٩.

٢٢٧. طبقات المفسرين، المؤلف: أحمد بن محمد الأدنه وي، من علماء القرن:١١، المحقق: سليمان الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، ط: ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٢٨. طبقات المفسرين العشرين، المؤلف: عبد الرحمن السيوطي، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط: ١، ١٣٩٦، الأجزاء: ١.

٢٢٩. طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية - بيروت، الأجزاء: ٢.

٢٣٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط: ٢، ١٣٩٤هـ، الأجزاء: ١.

٢٣١. الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى، إعداد: غريب بن محمد علي أبو عارف، الناشر:مطبعة سفير ط: ٢، ١٤٣٠هـ.

٢٣٢. عالم الملائكة الأبرار، المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، ط: ٧، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٣٣. العبودية، المؤلف: ابن تيمية المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٧، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٣٤. العرش، المؤلف: شمس الدين الذهبي، المحقق: محمد بن خليفة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، السعودية، ط: ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الأجزاء: ٢.

٢٣٥. العرش وما رُوِي فيه، المؤلف : محمد بن أبي شيبة، المحقق : محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط : ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، الأجزاء : ١.

٢٣٦. عقيدة أهل السنة والجماعة، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الأسلامية المدينة المنورة، ط: ٤، ١٤٢٢ هـ، الأجزاء: ١.

٢٣٧. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، دراسة وتحقيق د.ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ط١، دار العاصمة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٣٨. العقيدة الطحاوية، المؤلف: أبو جعفر الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط: ٢، ١٤١٤ هـ، الأجزاء: ١.

٢٣٩. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي القحطاني، ط: ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٤٠. العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، ط: ٢ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٤١. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين الذهبي، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط: ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، الأجزاء: ١.

٢٤٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين العينى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأجزاء: ٢٥ × ١٢.

٢٤٣. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، المؤلف: أبو بكر بن العربي، تقديم: محب الدين الخطيب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية، ط: ١، ١٤١٩هـ، الأجزاء: ١.

٢٤٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٤١٥ هـ، الأجزاء: ١٤.

٢٤٥. العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الأجزاء: ٨.

٢٤٦. غاية المرام في علم الكلام، المؤلف: أبو الحسن الآمدي، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، الأجزاء: ١.

٢٤٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، المؤلف : الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري، ضبط: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، الأجزاء: ٦.

٢٤٨. غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط:١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، الأجزاء: ٤.

٢٤٩. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، المؤلف: ابن قيم الجوزية، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس، الكويت، ط: ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الأجزاء: ١.

٢٥٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٢٥١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن رجب الحنبلي، تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد

عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، ط: ١، ١٤١٧ هـ - ٩٩٦ م.

٢٥٢. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، المؤلف: ابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض.

٢٥٣. فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، ضبط: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٥٤. الفتوى الحموية الكبرى، المؤلف: ابن تيمية الحراني، المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي – الرياض، ط: ٢، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، الأجزاء: ١.

٢٥٥. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل: (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب) - المؤلف: سليمان بن عمر الأزهري، المعروف بالجمل (المتوفى: ١٢٠٤هـ)، دار الفكر.

٢٥٦. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: ٢، ١٩٧٧، الأجزاء: ١.

٢٥٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد ابن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي – القاهرة، الأجزاء: ٥ × ٣.

٢٥٨. فضائح الصوفية، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، الأجزاء: ١.

٢٥٩. فقه الأسماء الحسنى، المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط: ٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٦٠. الفوائد، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م الأجزاء: ١.

٢٦١. الفهرست، المؤلف: ابن النديم، ضبط: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ٢، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٦٢. قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الأجزاء: ١.

٢٦٣. القاموس المحيط، المؤلف: الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت – لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٦٤. القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، ط: ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، الأجزاء: ١.

٢٦٥. القضاء والقدر، المؤلف: أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان – الرياض- السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الأجزاء: ١.

٢٦٦. القضاء والقدر، المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، ط: ١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢٦٧. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط: ٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٢٦٨. القواعد الحسان لتفسير القرآن، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الأجزاء: ١.

٢٦٩. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، المؤلف: ابن عثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: ٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الأجزاء: ١.

٢٧٠. القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، المحقق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط: ٣، الأجزاء: ١.

٢٧١. القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: ابن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: ٢، محرم ١٤٢٤هـ، الأجزاء: ٢.

٢٧٢. القيامة الكبرى، المؤلف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان – الأردن، ط: ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٧٣. الكامل في التاريخ، المؤلف: ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، الأجزاء: ١٠.

٢٧٤. الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية - بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢٧٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ - ١٤٠٧ هـ، الأجزاء: ٤.

٢٧٦. كشف شبهات الصوفية، المؤلف: شحاتة محمد صقر، مكتبة دار العلوم، البحيرة.

٢٧٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: حاجي خليفة ، مكتبة عباس أحمد الباز - مكة ، ط: ١: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، الأجزاء: ٧.

٢٧٨. الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، المؤلف: أبو الوليد ابن، المحقق: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٩٩٨م.

٢٧٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الكفوي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأجزاء: ١.

٢٨٠. الكنى والألقاب، المؤلف : عباس القمي، مكتبة الصدر – طهران، الأجزاء: ٣.

٢٨١. لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط: ٣ - ١٤١٤ هـ.

٢٨٢. لسان الميزان، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط: ٢، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م، عدد الأجزاء: ٧.

٢٨٣. لمعة الاعتقاد، المؤلف: ابن قدامة المقدسي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط: ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الأجزاء: ١.

٢٨٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين – دمشق، ط: ٢ - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٨٥. متن القصيدة النونية " الكافية الشافية"، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: ٢، ١٤١٧هـ، الأجزاء: ١.

٢٨٦. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، المؤلف: أبو حاتم ابن حبان البُستي، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي - حلب، ط: ١، ١٣٩٦هـ، الأجزاء: ٣.

٢٨٧. المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة ابن عثيمين، المؤلف: كاملة بنت محمد الكواري، دار ابن حزم، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الأجزاء: ١.

٢٨٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، الأجزاء: ١٠.

٢٨٩. المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، تحقيق وتكملة: محمد نجيب المطيعي، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٩٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٢٩١. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط: ١ - ١٤١٨ هـ.

٢٩٢. المحلى بالآثار، المؤلف: ابن حزم الظاهري، دار الفكر - بيروت، الأجزاء: ١٢.

٢٩٣. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، الأجزاء: ١.

٢٩٤. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، المؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية، اختصره: ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط: ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الأجزاء: ١.

٢٩٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: ابن قيم الجوزية.

٢٩٦. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، المؤلف: د. إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم، الدمام – السعودية، دار ابن عفان، القاهرة – مصر، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٢٩٧. مذكرة التوحيد، المؤلف: عبد الرزاق عفيفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط: ١، ١٤٢٠هـ. الأجزاء: ١.

٢٩٨. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف : ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية - بيروت، الأجزاء : ١

٢٩٩. مسألة الإيمان دراسة تأصيلية، المؤلف: علي الشبل.

٣٠٠. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١ – ١٩٩٠، لأجزاء: ٤.

٣٠١. مسند ابن أبي شيبة، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، ط: ١، ١٩٩٧م، الأجزاء: ٢ .

٣٠٢. مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان الطيالسي، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، ط: ١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الأجزاء: ٤.

٣٠٣. مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الأجزاء: ١٣.

٣٠٤. مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية : لبنان ، ٢٠٠٥م.

٣٠٥. مسند الحميدي، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي المكي، المحقق: حسن الدَّارَانيّ، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا، ط: ١، ١٩٩٦ م، الأجزاء: ٢.

٣٠٦. مسند البزار = البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط: ١، الأجزاء: ١٨.

٣٠٧. مسند الشافعي، المؤلف: محمد بن إدريس الشافعي، رتبه: سنجر الجاولي، المحقق: ماهر ياسين فحل، شركة غراس للنشر، الكويت، ط: ١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، الأجزاء: ٤.

٣٠٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، الأجزاء: ٢.

٣٠٩. مصنف ابن أبي شيبة — المسمى الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار –، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد — الرياض، ط: ١، ١٤٠٩، الأجزاء: ٧.

٣١٠. معارج القبول بشرح سلم الوصول، المؤلف: حافظ بن أحمد حكمي، تخريج: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام — السعودية، ط: ١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٣١١. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، المؤلف: محمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، ط: ١ – ١٤١١ هـ، الأجزاء:١.

٣١٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف : الحسين بن مسعود البغوي، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط : ١ ، ١٤٢٠ هـ.

٣١٣. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط: ١ ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٣١٤. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، المؤلف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، الأجزاء: ١.

٣١٥. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، المؤلف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣١٦. المعجم، المؤلف: أبو يعلى الموصلي، المحقق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد، ط: ١، ١٤٠٧، الأجزاء: ١.

٣١٧. المعجم الأوسط، المؤلف: أبو القاسم الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، الأجزاء: ١٠.

٣١٨. معجم البلدان، المؤلف: ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ، ط: ٢، ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ٧.

٣١٩. المعجم الصغير (الروض الداني)، المؤلف: أبو القاسم الطبراني، المحقق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت ، عمان، ط: ١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

٣٢٠. المعجم الكبير ، المؤلف: أبو القاسم الطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، الأجزاء: ٢٥.

٣٢١. معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة، ط: ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢٢. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المؤلف: أبو عبيد البكري، عالم الكتب، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٣ هـ، الأجزاء: ٤ .

٣٢٣. معجم مؤلفات القرآن الكريم، المؤلف: د. علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي للنشر، الرياض —السعودية، ط: ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٣٢٤. معجم المؤلفين ، المؤلف: عمر بن رضا كحالة (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، الأجزاء: ١٣.

٣٢٥. معجم المطبوعات العربية والمعربة، المؤلف: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م، الأجزاء:٢.

٣٢٦. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، الأجزاء: ٦.

٣٢٧. معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، المؤلف: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، ط: ٣، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٣٢٨. المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى– أحمد الزيات– حامد عبد القادر – محمد النجار، الناشر: دار الدعوة .

٣٢٩. المعرفة في الإسلام: مصادرها ومجالاتها، المؤلف: د. عبد الله القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة. السعودية، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٣٣٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، المؤلف: الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، الأجزاء: ٦.

٣٣١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.

٣٣٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأجزاء: ٢ × ١.

٣٣٣. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: الراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: ١ - ١٤١٢ هـ.

٣٣٤. المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي، المحقق: محي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، وبيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٣٣٥. مفهوم الأسماء والصفات، المؤلف: سعد بن عبد الرحمن ندا، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٣٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن الأشعري، المحقق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط: ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الأجزاء: ٢.

٣٣٧. مقالة التعطيل والجعد بن درهم، المؤلف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، جزاء:١.

٣٣٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد الغزالي، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط: ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الأجزاء: ١.

٣٣٩. الملل والنحل، المؤلف: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ط: ٧، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٣٤٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد الزرقاني، المحقق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي، ط: ٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٤١. منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، المؤلف: ابن عثيمين، دار الشريعة، ط: ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الأجزاء: ١.

٣٤٢. المواقف، المؤلف: عضد الدين الإيجي، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – لبنان – بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الأجزاء: ٣.

٣٤٣. مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، المؤلف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، الأجزاء: ١.

٣٤٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، ط: ٤، ١٤٢٠ هـ.

٣٤٥. موطأ الإمام مالك، دار إحياء التراث العربي ، بيروت — لبنان — ط: ١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٣٤٦. موقف ابن تيمية من الأشاعرة،، المؤلف: د. عبد الرحمن المحمود، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: ١، ١٤٣٣هـ.

٣٤٧. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، المؤلف: سليمان الغصن، الناشر: دار العاصمة، الرياض– السعودية، ط:١، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

٣٤٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، ط: ١، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م، الأجزاء: ٤.

٣٤٩. النبوات، المؤلف: ابن تيمية، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط: ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الأجزاء: ٢.

٣٥٠. النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الأجزاء: ٦.

٣٥١. نهاية الإقدام في علم الكلام، المؤلف: الشهرستاني، حرره: الفرد جيوم.

٣٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى - محمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الأجزاء: ٥.

٣٥٣. النهاية في الفتن والملاحم، المؤلف: ابن كثير، لمحقق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الأجزاء: ٢.

٣٥٤. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المؤلف: شمس الدين الرملي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الأجزاء: ٨.

٣٥٥. نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: أبو المعالي الجويني، المحقق: أ. د. عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، ط: ١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

٣٥٦. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، المؤلف: محمد حمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، ط: ٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الكويت — حولِّي، الأجزاء: ٣.

٣٥٧. نواقض الإيمان القولية والعملية، المؤلف: د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، السعودية- الرياض، ط: ٢، ١٤١٥هـ.

٣٥٨. النيسابوري ومنهجه في التفسير، المؤلف: ماجد بن زكي الجلاد، دار الفكر للطباعة، عمان — الأردن، ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥٩. نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الأجزاء: ٨.

٣٦٠. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المؤلف: إسماعيل بن محمد البابابي، مكتبة عباس أحمد الباز — مكة، ط: ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٧.

٣٦١. الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث — بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

٣٦٢. الوحي المحمدي، المؤلف: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، الأجزاء: ١.

٣٦٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: ابن خلكان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الأجزاء: ٧.

٣٦٤. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، المؤلف: عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، ط: ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، السعودية- الرياض.

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فهرس الموضوعات

والله المستعان .... وعليه التكلان

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم